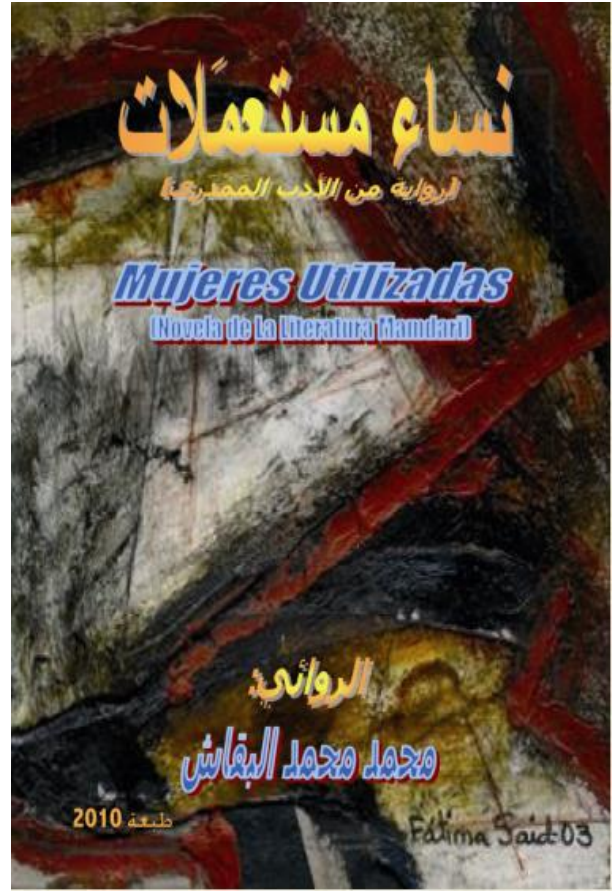
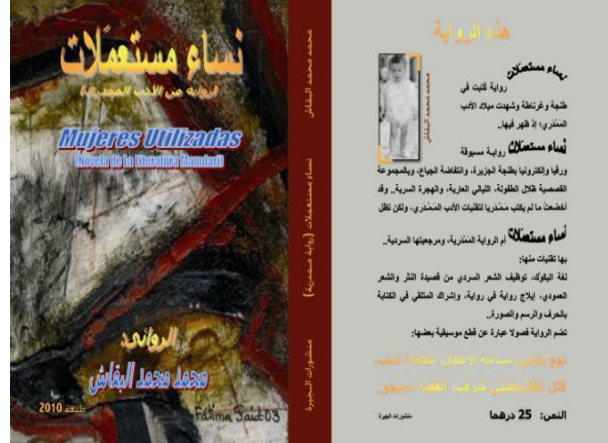


سلسلة الجيرة الإلكترونية، إصدار رقم: (15)



نساء مستعملات

(رواية من الأدب المقصري)
Mujeres Utilizadas
(Novela De La Literatura Mamdari)



الروائي:

محمد محمد البقاش

منشورات الجيرة

الروائي: محمد محمد البقاش
(أديب باحث وصحافي)

الكتاب: نساء مستعملات
(رواية من الأدب المئذري للصغار والكبار)

Mujeres Utilizadas
(Novela De La Literatura Mamdari)

الحقوق: محفوظة للمؤلف.

الطبعة الورقية الأولى: 2010.

القطع الموسيقية: من تأليف الكاتب.

التصنيف والإخراج ووضع الرسوم والصور: للمؤلف.

الإيداع القانوني في إسبانيا: 2001 / 2091 GR Legal Deposit

الإيداع القانوني في المغرب: 98.462

ردم ISSN 8640 – 1114

الغلاف: للرسم الإسبانية من أصل لبناني : فاطمة سعيد مغير

Fatima Said Moguir

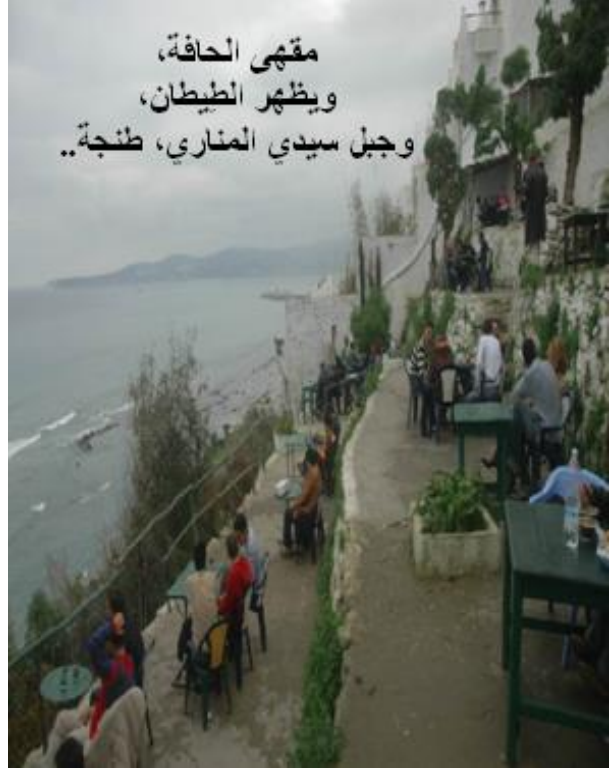
C / Castillo N° 40 Santa Cruz De Tenerife C. P 38003

_ Telf. Mob: +34650484429

السحب: إفزارن للطباعة والنشر 94 شارع فاس، تجزئة صولار . ب .

فويتو رقم 3 . طنجة . الهاتف 0539336909 / الفاكس:

0539937131



نساء مستعملات (رواية من الألب المندري للصغار فوق الرابعة عشرة)



مغارة هرقل الأسطورية
طنجة..

استهلال

رواية: نساء مستعملات من الأدب الممّدرى، وفيها نشأت النظرية الممّدرية. هذه الرواية بعثتُ بها إلى مجلة دبي للتباري بها مع زملائي الروائيين في جائزة دبي الثقافية للإبداع لسنة 2008، وكان ذلك بتاريخ: 23 يونيو 2007. ولكنها لم تصل إلى وجهتها رغم بعثها بالبريد المضمون، بل حملها البريد المغربي مشكورا إلى مدينة زاكورة المغربية، ثم استفسرتُ عنها مجلة دبي الثقافية وبالكاد وصلني رد بالبريد الإلكتروني لأنهم لا يردون على الرسائل، ولا يُشعرون الكاتب بوصول مادته. بعثتُ بها مرة أخرى من بلجيكا مخافة التلاعب بها مرة أخرى بتاريخ: 26 نوفمبر 2008 لمسابقة الدورة السادسة لسنة: 2009 . 2010، ولضمان وصولها إلى وجهتها، ولكنني لم أتلق ردا بوصولها، وحين اطلعت على نتائج المسابقة لم تكن روايتي محظوظة. هذه المعلومات للناقد الباحث في المسابقات الأدبية في عالمنا العربي فربما يجد فيها ما يفيد..

RE: مجلة دبي الثقافية

De : Mohammed bakkach
(mohammed_bakkach@hotmail.com)
Envoyé :
jeu. 19/06/08 21:55

À :

rania hhhhhh
(rony_darsh@yahoo.com)

تحية وبعد

شكرا رانيا على رسالتك وإليك ما يلي:
جوابا على سؤالك بشأن من تلاعبوا بروايتي التي بعثت بها
الرجاء فتح ملف وورد وقراءة ما جاء فيه.
وعن الأدب الممدري ففي الملف أيضا شرح له.
والتلاعب الذي حصل لروايتي فقد حصل من طرف البريد
المغربي إذ بعثوا بها إلى مدينة زاكورة، ثم ردوها إلي بعد أكثر
من شهر على بعثها.
أشكر لك الترحاب، ولكن هل أفهم أنني أستطيع التباري بروايتي
رغم السن الذي حددتموه في هذه السنة؟ وهل يكون ذلك
استثناء لحقي في الأولى التي لم تتوصلوا بها؟
هذا وقد نشرت عن هذا في منتديات عربية.
مع المودة

محمد محمد البقاش

Date: Mon, 9 Jun 2008 02:20:45 -0700

From: rony_darsh@yahoo.com

Subject: مجلة دبي الثقافية

To: mohammed_bakkach@hotmail.com

أهلا بك وبروايتك: ولكن ماذا تقصد بحدوث تلاعب في روايتك؟
ومن هم الذين تلاعبوا فيها؟
وما معنى الأدب الممدري؟



نتمنى لك قراءة ممتعة
يتلّمظ بها الأديب الممّدرى
ويستروح منها الزمان والمكان.



فصل:

الكليوجين

قُطُوبُ:

تحركًا بنقص شديد في الكليوجين، عضلاتهما لا تزال تستطعم
النسيج العضلي لقلبيهما وما تذوقا قِرى الحشرة الكريمة.

The image displays three systems of piano sheet music, each consisting of a treble staff and a bass staff. The first system shows a complex texture with rapid sixteenth-note passages in both hands. The second system features a more melodic line in the treble and a dense, rhythmic accompaniment in the bass. The third system continues with intricate patterns, including some sixteenth-note runs in the bass line. The notation includes various note values, rests, and dynamic markings, typical of a technical or virtuosic piano piece.



"عياؤ" .. "عياؤ" ..

اختلطت رنات الخشب برنات الحديد والنحاس، رن الكلس
والجبر، صوّت الطين والصخر، فُتحت النوافذ، وتخلخلت
الشناكل، أطلت النساء والفتيات، أطلن بعدما تنامى إلى
سمعهن صوت "الطّراح".

تردّد صداه وسط أزقة ضيقة، اخترق الجدران والشقوق
حاملا معه لغة الجماد من معدن وخشب، من صخر وحجر،
رتبها الهواء ونظّمها بعدما عزفتها أيد بشرية، كانت أنغاما
متمرّدة على مفتاح "فا"، طيّعة في يد "صول"، غير آبهة
بنوعية أدوات العزف..

وابتدا النداء. شرعت الفتيات والنساء ينادين على الطراح
وكل واحدة منهن تود أن تظفر بخدمته..

يقفن إلى الأبواب، إلى النوافذ رافعين أصواتهن: "الطّراخ..
الطّراخ.. أجي..".

تختلط الكلمات في لُسنهنّ وبالكاذ ينطقن العامية، منهن من
تحمل وُصلة من عجين مخبوز، بعضهن يمسكن صحونا
وصينيّات بها فلفل أخضر يُرجى تسويده، وأخريات بأيديهن

يرجى طهيه..

طواجين من "الطّراخان" يفحصان بذكاء ما
بأيّد النساء والفتيات.

"الطّرايح" يرتدون الطّرايش للتخفيف من ثقل العجين
المخبوز فوق رؤوسهم، وهذان الطّراخان برأسين حاسرين
وحماس في المنافسة على كسور خبز أعجف، أطلقا نظرها
في محاولة انتقاء ما يريدان، استقرا على امرأتين تحملان
طاجينين، وفتاتين تنوءان بصحنين..

حملا الطاجينين وبهما سمك، والصحنين؛ واحد به بطاطا
حلوة، والآخر به فلفل وطماطم للصلادة، ذهبا إلى الفرن بما
حملا وقد تركا النساء والفتيات اللات لم يحظين بخدمتهما
قلقات مناديات مترجيات ملحّات بالعودة على جناح أسرع

طائر، ذهباً لا يمنعان صدى الكلام من ولوج الآذان، لا
يمنعان العقل من إدراك أقوال
ستقال، أو آراء ستبدى..



من النساء من تقول: "قريباً
يعود زوجي للغذاء ولا خبز
لدي". وأخرى تقول: "سيفسد

الخبز". والثالثة رافعة صوتها: "من عاد قبل فساد العجين
أكرمه زيادة".. تحركاً بنقص شديد في الكليكوجين،
عضلاتهما لا تزال تستطعم النسيج العضلي لقلبيهما وما
تدوّقا قرى الحشرة الكريمة. ينسّ يكاد يصيبهما وكأنما اختل
في دمهما مستوى الأَسّ الهيدروجيني. قصدا فرنا حتى
دخلاه. طلبا من "المعلم" أن يحمل طراحا أو اثنين إلى
الذهاب إلى حومة تَنْظارة، ضللاه كي لا يبعث إلى مساكن
تطل على شارع كيفيدو Quevido بها نساء وفتيات ينتظرن
من يحمل عنهن العجين والطواجين إلى الفران.. عاد
الطراحان بعد جولة في شوارع وأزقة المدينة. تخللا أحياء
غاصة بالإسبان والإنجليز والبرتغيز.. بها أجناس شتى

غالبيتها أوروبية.. بها أقلية من آسيا وأمريكا يستوطنون
المدينة الدولية وقد أحبوها وأعجبوا بها.. حملا الطاجينيين
وذهبوا إلى حي الدرادب، قصدا منتزه عَشَابَة وتركوا النساء
ينتظرن عودة الطَّراحيين بالغذاء. يسيران على خَرَس مُجَفَّف
كما لو كانا خلية هاجرت قَلَوَيْتها. ظل السكون آمنا على
نسيجه لا يخشى مِرْقًا، وظل الموظفون ورجال المال
والأعمال في ترقُّب لقطقة الطرايح على مصارع الأبواب.



فصل: العود الدوني

نُظْمُهُ

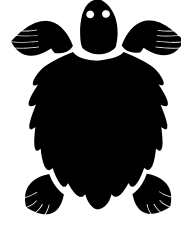
قعد أسفل رأسه فحار له الموضع واستغلق له الفهم.

The image displays a musical score for a piece titled 'Al-Udud al-Duni'. The score is written for piano and consists of two systems of music. The first system begins with a treble clef and a common time signature (C). The piano part is marked 'Piano' and features a complex, rhythmic accompaniment with many sixteenth notes. The melody in the treble clef is more melodic and includes some grace notes. The second system continues the piece, showing further development of the piano accompaniment and the melodic line. The notation includes various musical symbols such as beams, slurs, and dynamic markings.

First system of musical notation, consisting of a treble clef staff and a bass clef staff. The treble staff contains a melodic line with eighth and sixteenth notes, while the bass staff provides a harmonic accompaniment with chords and single notes.

Second system of musical notation, consisting of a treble clef staff and a bass clef staff. The treble staff features a melodic line with some notes highlighted in red. The bass staff contains a complex accompaniment with many sixteenth notes.


Third system of musical notation, consisting of a treble clef staff and a bass clef staff. The treble staff contains a melodic line with eighth and sixteenth notes, and the bass staff provides a harmonic accompaniment with chords and single notes.



يركب الدوّار ولم يزل؛ منزلته الفلاحية لإكمال دورته.
هلّ "سعد السعود". خرج من مخبئه عن يمين الزمن، قدم
في فصل الشتاء من قلب "الليالي" اتكأ على "سعد ابلع"
بعدهما أجرى الماء في رأس الأقرع، أصمّ أذن المستخر فلم
يعد يسمع، وأرخى بطن الآكل فلم يعد يشبع، ودّع "سعد
الدّابح" الذي لا وجوه فيه تشابهه، ولا كلاب فيه تتباح،
تخطى "سعد البلدة" الذي تصير العروس فيه قردة، والعجوز
جلدة، يستبد بمساكن القصدير والصفيح فيه البرد، تتلبد
السماء بغيوم سوداء، يلمع فيه البرق ويوشك أن يخطف
الأبصار، يصوّت الرعد مسبحاً ومرّوعاً، ترتاح لديه الأرواح
وتثور فيه الرياح، يحلو الجو للكلاب والقطط في دورة
لقاحية، تنتقل الروائح من إفرازات تشتمها الحيوانات.

يتصارع ذكور الققط على إناثها، تدخل في معارك دامية، لا تبالي بقلة أديها مع أصحابها والجيران، تجوب سطوح البراريك وتتخذ مضمرا للأعراس المشهودة، تسلك فوق القرميد والقصدير والزنك غير آبهة بمن ينامون أسفل، قد عرس الكثير منهم وربما لحظتها يتلاقحون.. تتعارك الققط في ضجيج مدوّ لا يترك نائما إلا أيقظه، ولا حالما إلا أزعجه..

اعتاد الناس على معاركها الجنسية، ألفوا ملاحمها الغزلية، وبطولاتها الغرامية.. في الجانب الآخر على حين غفلة من قانص الكلاب؛ الشرطي "بُريك"، وبهدوء يستجمع الصمت لبناء العاصفة، توجد أعراس أخرى وأفراح ذات طقوس عريقة، تقف مخلوقات على مضمار متحرك، حركته نجمة من حركة الإناث، تسير وتسير في دوران محوره الجنس، تقوم الكلاب بنفس دور الققط، ولكن بأسلوب آخر..

في ليلة أريد أن يُتَوَّج فيها إمبراطور على الجنسين، كان غاية في السخف، وآية في الخوف، أبدى بطولات مهدت لها ذبابة "التُسي"  "Tsetse".

كان مهووسا بممارسة الجنس لا يفتر أو ينقطع.
في انتظار مرور موكب الشاه إلى قصر الحشرجة وقفت
الكلاب والقطط الضالة تنتظر نظرة إمبراطورية تقلب النحاس
سعدا، والفقر غنى..

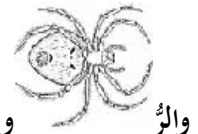
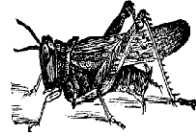
وقفوا على الرصيف، ثم بانث طليعة الموكب تشق طريقها
حتى ظهر الشاه، عندها ومع ما غشي الحضور من رهبة
هبت ريح شديدة خصبت هي الأخرى السحاب ففاض بماء
منهمر، ابتدأت السماء تمطر بنية مبيّنة، لانتوي الإقلاع،
انسكب الماء لا يبغي الفتور، وفارت العيون لا تنوي
الانقطاع عن الفوران إلا بعد الطوفان، أريد أن تبقى جزيرة
واحدة وطنا، ولكن للكلاب فقط، تشبثت الحيوانات
ببعضها البعض صابرة محتسبة تنتظر تقدم الزمن إلى حتفه،
تخاف على شاهها، وترجو له الأمن والأمان، تخشى عليه من
عدوان زعيم غير شرعي من جنس القردة.. بدا الموكب
متماسكا يسير شاقا طريقه وسط الشرعية، وحين توسط
الطريق، وانتصف الزمن بين البداية والنهاية اخترقت الجموع

كوكبة من الخنازير تقودهم خنزيرة ضخمة، بزازيلها متدلية
كعناقيد العنب العفنة.

سارت في مقدمة الموكب تقرع طبلا من جلد بشري دُبح
على النُصْب، ثم أكل..

رُكب المركب من جديد، تارة يمشر عباب الغبار والحصا،
وثنتاها يمشر عباب المياه الحلوة والمالحة، وطورا آخر
يمخر عباب الفضاء والأجواز، غالبا ما يسير منحدرًا متكورًا
كشراع سفينة تغور في الآفاق.. نزل النازل وانحدر
المنحدر، ثم سقط، سقط لينهض من جديد، توقف قلبه
مرتين، استسمحه حتى يتخلص من أبخرة ضارة غشيته،
نزل عتبة قاصدا جلب كسرة خبز يمرغها في الزيت والسكر
ويركض بها نحو العراء.. درج ثانية، وعندما كان يدلف
استوقفته "هبة"، وقف بجوارها يطوف ببصره يلتقط صورا
يريد غرزها في ذاكرته ليحدّث بها أجيالا قادمة، يريد أن
ينقشها حتى لا تنسى، يقف إلى بركة لأخوين نصف
شقيقين، تجاوزت أخوتهما التصور، يفصل بين بيتيهما
الصفحيين جدار من خشب، به نافذة صغيرة يستعملانها

لتبادل الطعام والشراب، لا يستطيع كلاهما جلب رزق
وتسويغه دون أن يُذَقَّ منه أخاه، يستحيل الطعام حنظلا لو
استُسيغ من طرف واحد، بين الحين والآخر يحمل الهواء
صدى لجذاذ الطوب والحجر المتساقط على القصدير، ينزل
متدحرجا، ثم يستقر على السطح، يتكسر له القرميد أحيانا،
من الداخل يدعو عمي عبد الرازق على الفاعل دون أن
يتبينه، يُسمع الجالس والواقف والمار سجعا عذبا بالعامية،
ينطق الحكمة ويقسو في دعائه كلما استُفِرَّ، يقطع عليه
تركيزه في وِردِه ما يتساقط على براكته من طوب وحجر، كلما
رُمي بشيء منه دعا على الرامي: "الله يعطيك بلا من عند
الكريم تعالى" .. إلى اليمين من بركة عمي عبد الرازق باب
بمصرع واحد مطلي بالجير والتبلا، إذا فُتحت غنَّت
"زبيط"، وإذا سُدَّتْ أطربت "فَجَجَج". على الأرض في
فنائها تراب يابس وحجر مداس، تتحسسه القدم أول أمرها
في حذر، ثم ما يلبث أن يداس باطمئنان، تجوب أرضية
"البرّاقة" حشرات، جباح،



والجدجد والجعلان
والحراذين في ألفة
معهودة، كل يعرف زمن
حركته، وكل يتحرك
بغريزته، حتى الفئران لا
تتجاوز حدود ما يقدم لها



ويترك ملفوظا أو ساقطا، تلتزم للجدّة فاطمة كرها وإلا
تعرضت للمقاضاة، لا يعيقها سوى متعجرف يلتهمها بشهية
مفتوحة..

إلى الأسفل من الفناء ققط جميلة لا يُعرف لها أصحاب،
ققط عن حماها ذائدة، فيها عمهاء تثير الشفقة، ومنها ذكور
تنزف عيونها لمعاركها الدامية، هررة تجوب الحي كله، ثم
تستقر ببراعة جدي عبد السلام، تموء مواء يجلب لها اهتمام

عجوز طيبة ودود، لا يمنعها عن الحضور مسرعة ملبية غير ركعات الفريضة والنافلة..

في أقصى الشمال شجرة تين ظليلة.

تمتد أغصانها بقطوف دانية، قراها جاهز يغري بتعطيل الأيدي لآزدراد الثمار، نضرة برقاء كأنها مدهونة بزيت الزيتون.

في ظلالها تجلس الطيبة الحنون عمتي تغزل الصوف، عندها يحلو الخلاف على ما يلتقط بين الدجاج والقطط ينتهي أحيانا بالنقر على الجماجم، وبخشخشة لافتة تعقبها أوامر ونواه من جدتي الفاضلة فاطمة يستجيب الجميع ويمتثل، أم مثالية للإنسان والحيوان والطير..

تقف "هبة" شبه راکعة، تحتفي بمجمر به وقاد من شجر الدردار تؤجج ناره بـ"رابوز" في يدها، عليه طاجين به عشاء من سمك مجلوب من بحر "مرقالة"، كلما خمدت ناره أجتتها بالمنفاخ الذي في يدها..

تحرك محمد من مكانه وقد استجمع تاريخا يريد روايته، ولكن بعد حين، حاذى زوج عمه وهي منحنية، تارة تنفخ

بالرابوز، وأخرى تحرك بملعقة خشبية، دفع بذراعه من تحت "فلضتها" حتى لامس كفه لحمها وشعرها فانقضت مسرعة خائفة لا تدري بم ابتليت، ولا تعرف ما البلوى، لم تجد تفسيراً لما فاجأها، ولا تأويلاً لما أربعها، فاستدارت ملتفتة إلى اليمين مستطلعة لا ترى شيئاً، ثم استدارت إلى اليسار لتجد محمداً يركض ويدرج صاعداً مسرعاً حتى غاب عن أنظارها مختلطاً بالصبيان والأطفال..

حين علمت اطمأنت وغطست في الطفولة، ثم شرعت تضحك وتضحك حتى أضحكت..

قعد أسفل رأسه فحار له الموضوع واستغلق له الفهم، ثم امتطى مركبه من جديد وتوغل به في المحيط، خاضه يقصد أعماق قاع فيه، لا يمنعه الضغط عن سيره إذ لا ضغط فيه، عند محطة وقف، وفي جزيرة رسي..

تحركت به جزيرته فتبين أنها سلحفاة ضخمة تسير على غير عادة السلاحف، تمتد في الكون على قدر امتداد الزمان، تتطلع نحوه مسرعة، رضي بسيره مستمراً غير متأفف.. استلقى على قفاه متحسناً أرضه وسماؤه، لم يجد رفعة

بفضلاته، الطير تسمو بالفضلات، والإنسان يصنع الفضلات
بالسامية، ولكنه لا يسمو..

يحدث نفسه عن السمو المستهدف، يمدّ يده إلى الثرى
ويرغب في أخذ مكانتها، أشفق عليه نجم جوال فسَلَط عليه
إشعاعه، استنهضه واستفزه لاستبدال المركب، ثم استبدله..

فصل

احتفاء المماويت

نظرة

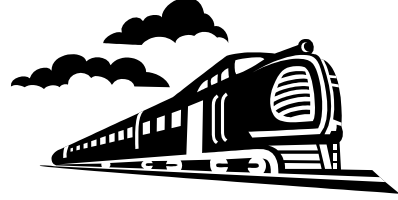
ينظر إلى رؤوسهم ويحصي غطاءها الأشقر فيجد مليون
شعرة محتفية به.



The first system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains a melody of quarter and eighth notes. The lower staff is in bass clef and features a complex accompaniment with sixteenth-note runs and chords.

The second system of musical notation consists of two staves. The upper staff continues the melody with some sixteenth-note passages. The lower staff continues the accompaniment with similar rhythmic patterns.

The third system of musical notation consists of two staves. The upper staff shows a more active melodic line with sixteenth-note runs. The lower staff continues the accompaniment with dense chordal textures.



غشيه كائن من مجرة الممدرية يسكن كوكب اليكوك،
قرر الاستقرار على لسانه، سأله إن كان جنيًا فأجاب:
لا.
سأله إن كان طيفا زوارا فرد:
لا.
فكر فيمن يكون فلم يهتد إلى جواب..

بين الحين والآخر يعقد لسانه ويتكلم نيابة عنه، يبهم ويعجم
فلا يفصح، سكنه ويطمع في سكن قارئه..
ترانٌّ سريع، حجز فيه واستقلَّ عربية لا تستبدل عند نقطة
حدود "هانداي" Handay، تُحمل بواسطة رافعة إلى جهة
أخرى، ثم تُجرّ بواسطة قاطرة غير التي كانت تجرها من
إسبانيا، جلس إلى النافذة، ثم شرع يلقي بصره، يرسله إلى
الأفق البعيد فينقلب إليه البصر منتشيا بما شاهد، اندحت
تحت أرض بعدما دحاها بارؤها، تتشابك فيها حقول حبكتها
يد الفلاح والمزارع، بدت جميلة رائعة، فاتنة أخاذا،
تستهوي العقل لمتابعة هندستها، تستحث الشعور على أن
يطرب ويهتّز لها.. فجأة بدأت الألوان تتغير، ولكن إلى
البياض، إلى اللون المحيَّب، فتّاح القلوب ونصّاح الورود،
يتساقط في كل الجهات كعهن نفشه "القرشال"، كصوف
داعبته أسنان المحسّنة وبعثرته أنامل حسناء قروية، منه ما
يساقط متماسكا بحجم بؤبؤ العين ناعما إذا لمس، وباردا
يقرص إذا ديس، ظل يستمتع بما يُحدثه من تغييرات على
الأرض، وما يبدعه من لوحات على الأشجار والجبال

والمراعي إلى أن جاع.. جاب ممرات العربات يلج بابا
ويدخل أخرى، يتزاحم في المماش مع المسافرين، يعبرها
فتتصيد عيون فضولية متشككة، ثم وجد نفسه عند باب
مطعم فاخر، مجرد أن وقف على باب مدخله تحرك فضول

جميع من
بداخله،
النادل
مندھشا
كانوا
وقف
صامتا
لا يكاد



ينتظر، لم يرحب به، أو يتودد إليه كعادة التُّدُل، إلى اليمين
يجلس شاب برفقة خضراء العوادم يتناولان وجبة، بجوارهما
مائدة عليها أربع عجائز في نجوى لا تستر انزعاجهنَّ
وحذرهنَّ من بهيم الشَّعر، إلى العمق رجال أنيقون ربما أرباب
أعمال؛ "بزنازون" قد فرغوا من طعامهم وشرابهم، في الوسط
مائدة فارغة فوقها باقة و و
خمر وبطاقة

الطلب وضعوا جميعا على قماش مُخَرَّم من وسطه، مُطَرَّر
من جوانبه، رسومه مصلوب لم يصلب، وعذراء لم تطمئث..
وجد نفسه مُخرجا في موقفه، لم يكن يرغب إلا في فنجان

قهوة وقطعة حلوى يقتل بهما جوعه إلى حين.. استحيى أن يتراجع كما خجل أن يتقدم، نظر إلى نفسه يعيد حسابات للنظرات الجارحة التي أصابته، ولخُماشات السهام الحاقدة التي نالته، يتحسس بذلته وربطة عنقه فلا يجد بهما بأسا، لم يكن "موضيا" يتأنق ويتحذلق بحسب الموضة، ولكنه كان كلاسيكيا، ظل يحسب ويحسب، ثم اندفع كمن دُفع، يسبّ المقدمات ويمرغ البروتوكولات مبقيا على بعضها، اختار مائدة فارغة، ثم جلس.. قدم إليه النادل ليعرض عليه خدمته، هكذا ظنه به بادي الرأي، تقدم في أدب لا ودّ فيه، ابتسم مغيظا في وجهه ففضحته ابتسامته، لم تتحرك عضلات الوجه عند الابتسامة على قلتها، تحركت عضلات العيوس تخفي ضجرها في تجاعيد لا يرسمها تقدم العمر، تبرق بلون بقرة موسى فيأضة بالحقد، نتانة بالعنصرية، طلب منه أن يغادر قائلا: "من فضلك انسحب من مطعمنا". فرد عليه وقد انتفض لكلامه وانتصب مسرعا: "ولم؟". فقال له: "هكذا". فأردف محمد: "كياستك هذه، كان يجب أن تمنع عنك قلة أدبك"..

— لن أخدمك فلا داعي للبقاء بمطعمنا.

❖ لن أذهب وستخدمني رغما عنك، أو يخدمني البوليس.

— سيقدمون لإخراجك.

❖ إذا كانوا غير عنصريين مثلك فسينصفونني وسيرغمونك

على خدمتي ما دمت في مطعم عام.

— سترى.

❖ سأريك.

غاب النادل عن الأنظار، ذهب في حاجته، وبعد دقائق بعدد

حروف الاسم الذي اشتقت منه الحكمة، وبينما محمد

مطمئن بيده قلم يكتب شعرا يسجل به ما يجري إذ سمع

صوتا وقد صدر عن نادل آخر وقف بين يديه يقول: "بونجور

مسيو **Bonjour Monsieur**"، رفع رأسه يرد على التحية

بخير منها وهو مندهش، ثم أضاف النادل: "اطلب حاجتك

سيدي". تعجب لهذا الموقف، ولذاك التلؤن، لم يفهمه،

ربما لعدم اكرائه، أو لجهله بسلوك المتحضرين، تناول المنو


(Menue)، واختار وجبة من سمك وصلادة وقبينة مشروب

غازي..



بسرعة عاد ووضع بين يديه طلباته، وحين خطا خطوة المتعجّل وهو ذاهب من عنده؛ ناداه وطلب منه أن يحمل بعيدا عن مائدته قنينة الخمر، ففعل، استجاب بسرعة، لم يسأل أو يتساءل، لم يمانع.. شرع يهبي نفسه لوجيته وهو يتجول بنظره خفية، ينظرون إليه مرتابين مستغربين، يتطلعون منتظرين شيئا لم يفصحوا عنه، ولم يتبينه هو، لم يدرك مرادهم أو يهتدي إلى خبيثة نفوسهم، سرت على لسانه كلمات تؤنبه وتعاتبه على غلظته، وهي ليست غلظة، أو قد تكون، وربما لا تكون.. تناول السكين والشوكة وانكب على طعامه، يقطع منه قطعة صغيرة يستوعبها فمه في يسر، ثم يتناولها، يتناول طعامه في هدوء وبتؤدة، ثم انعطف بعينه يظن أن الاحتفال به قد زال ليجد الاهتمام أكثر وأكبر، استرق نظرتين إلى هندامه لعله يجد فيه ما يخرجه عن الأناقة والذوق فلم يجد، تعجّب وازداد تعجّباً، نظر إلى طريقة أكله فكانت كما يحب، ازداد فضوله لمعرفة السبب، تساءل في نفسه وتساءل والعجب يسكنه، همّ بسؤال النادل ولكنه لم يشدّ عنهم، وإن فعل فلعلها غباوة، ظل على حاله يتناول

طعامه حتى استوقفته خاطرة ملحاحه تسأله قائلة: لماذا لا تكون طريقة أكلك هي السبب؟ وجد نفسه مخالفا لهم في أسلوب الأكل، أدرك أنه هو السبب، لم يشأ أن يستبدل السكين من يسراه إلى يميناه، أو

يستبدل  من اليمنى إلى اليسرى، فالآن يقطع طعامه ويفتته والسكين في يميناه أو يسراه فلا حرج، أما أن يتناول طعامه بشماله فلا.. توقف عن تناول وجبته فوضع السكين والشوكة على المائدة جانبا، ثم نهض، نهض فارتبك لنهوضه الحضور لأنه كان لافتا، قصد أن يحملهم على متابعتة حتى النهاية، ذهب إلى لافابو Lavabo وغسل يديه جيدا وسدّ صنوبر المغسل، ثم عاد إلى قعدته.

أدنى صحنه إليه وشرع يأكل بأصابع اللقمة. يتناول طعامه ويتجرّع شرابه بيمينه مستغنيا عن الأدوات، شرب وأشعل سيجارته، وتركهم في غيظ لم ينالوا خيرا، ثم انصرف.



ولكنه عاد لسقوطه أسير غيظه، تسمر مشرق الجبين واثق النفس كريم المعاملة شهما ففزع لحركته الحضور، ثم خاطبهم مغيضا: "أنتم هنا آمنون، ولكنكم لم توفروا لي الأمن النفسي بعنصريتكم، فلماذا؟ أما تعلمون أن أمانكم من صنع أبناء بلادي؟ أنسيتم خطايف الموت كما كان يسميهم الألمان لشدتهم في القتال وثباتهم والذين كانوا دائما في الصفوف الأولى بجميع الجبهات وجنودكم يحتمون بهم ويتخذونهم متارس؟ عمن كانوا يقاتلون؟ أليس من أجل تحرير فرنسا من النازية؟ أبهذا الجميل يعامل حفيدهم؟

ولكن لا بأس، فحكومتكم تنهج نهجكم العنصري، تفرض عليهم غرامات لاطاقة لهم بها إن هم مكثوا في المغرب وخالفوا موعد الحضور إلى فرنسا والمانع دائما مرضهم وكبر سنهم ومنهم من وصل التسعين من العمر، للأسف أقل من أورو واحد كان يتقاضاه كل فرد منهم على خدمته في الجيش الفرنسي في كل خمسة عشر يوما كأجرة، والآن في بورذو يهانون وأنتم تنعمون بالأمن بسببهم، لولاهم لهلكتم،

لولاهم لأكلكم هتلر لحما طريا كما يأكل السبع حمارا وحشيا".

حط رحاله في محطة ميدي Medi، وجد الجو صحوا، ولكن البرد صقيع، يحمل على كتفه حقيبة صغيرة من النيلون تستوعب ملبسه الداخلية، درج إلى الأعلى من النفق ووقف إلى جوار الناس غريبا ينتظر مثلما ينتظرون، محطة للحافلات والترام، يريد عنوانا مكتوبا في حافظته، ولكنه لا يعرف الاتجاه إليه، انبرى بأدب لشاب وسأله:

"سلفولي كيل نوميرو دو ترام أو بوس جو برون بور ألي أسط أدغس؟"

S' il vous plait quel numéro du tram ou bus je prends pour aller à cette adresse?

ناول الشاب ورقة مكتوب عليها عنوان في شارع خوسافات بيروكسيل 1030، تفحصه الشاب، ثم نطق بعامية طنجاوة ولكتتهم لا ييهم، حضر الترام وطلب الشاب من محمد امتطاءه الى نفس الاتجاه..

دخل على صديقه حسن، وجده بمعية خليلته، رحب به وفرح بمقدمه، لم يتحرّج، ولكن محمداً تحرّج، إذ لم يكن يعلم، سأله عن بعض الأصدقاء لعله يذهب إليهم، سأل عن عَزَاب لا يستقدمون خليلات إلى بيوتهم، فرد عليه حسن:

"ستبيت الليلة عندي، بل وسائر الليالي، أنت ضيفي دائماً، وسأجد لما أخرجك حالاً، اطمئن، اجلس".

فرد عليه:

"ولكن" ..

❁ لا تتحرّج فأنت كما عهدتك في حين الدرادب؛ لم تتغير، سأحترم جميع رغباتك.

— لا أريد أن أسبب لك إزعاجاً.

❁ هكذا نحن هنا يا محمد، اللعنة، لقد أفسدتنا الغربية ودمرنا التيه وها قد سكننا الخواء ..

— لست وحدك ممن وقع يا حسن ..

في الصباح الباكر استيقظ محمد على صوت أنين لم يتبينه أول أمره، أنصت ممعنا فعرفه وأدرك مصدره، كان حسن يتوجّع، نهض إليه واستأذن في الدخول إلى غرفته، فأذن له،

طلبت خلييلة حسن أن يفعل شيئاً ما لصديقه، تفحصه وسأله فأدرك أنه مصاب بعسر البول، أسرع إلى التلفون وهو يسأل عن رقم الإسعاف فأشار عليه حسن:

"لا، لا داعي، فالمستشفى على بعد عدد عضلاتك من الأمتار".

فقال محمد:

"وهل تستطيع السير راجلاً؟"

لا، ولكن سأحاول.

— هيا سأحملك فوق ظهري إن عجزت عن السير.



وضع ذراعه تحت إبط حسن ورافقه بلطف،

يسير به في تؤدة حتى أدخله المستشفى،

ثم ألقيت له الصوندا..

ظل طوال يومه يبحث عن عناوين لأصدقاء ينوي المبيت

عندهم، ينتقل من شارع إلى آخر حتى جن عليه الليل في...



يجنّ من غير استئذان، غالبا ما يختلط بالنهار فلا يعرف
أيهما ليل وأيهما نهار، يعيش الناس في الأنوار، لا يُروا خارج
بيوتهم وأعمالهم إلا كمن يلقي عليه دثار.

يستدفنون بملابس ناعمة وأخرى خشنة اتقاء للبرد وتجنباً
لسياط الصقيع المؤلم، يرتادون الحانات والمراقص، ويقبعون
أمام الشاشات ساعات طوال..

عاد صديقه في المستشفى واطمأن على صحته وكان بخير،
ثم انصرف..

ظل ليلته يطوف بالمقاهي، يكثر من احتساء القهوة ويمعن
في شرب الدخان، ظل منتقلا من مقهى إلى آخر رافضا
المبيت تحت سقف به خلية صديقه المريض، لم يرد تكرار
ليلة قضائها محرجا رغم عفّته حتى تزحزح الظلام يبغي
الرحيل وقد تنفّس له الصبح في لا بورس..



فصل:

الخويلة

قطعة:

تركها في عمر الثماني شهور، ولا يزال يذكر وداعها ابنته، حمل حوائجه، وودع أهله، وقبلها من وجنتيها صغيرته، نظر إليها وهي تحبو وتزحف، حتى استقامت تستعين بركبته، فأنزلها أرضا برفق أحسه، وقال: وداعا، وداعا خويلته، وسارت معه حيث يسير وينزل، تلازمه لزوم قلبه لمهجته، وتونسه في وحدته ذكريات، وينقصه لحظ صباها صبيته، وطيف جميل لا يداعب حسا، ولكن معناه يخفف لوعته، ويقرض شعرا في فتاته الجميلة، ويستشعر الحنان عند أبوته، وشوقه إليها أنكر البعد عنها، وأذن في الشعر فقال قصيدته، ويحفظها الله ونعم الحفيظ، ويرعاها من ليس سواه خليفته..



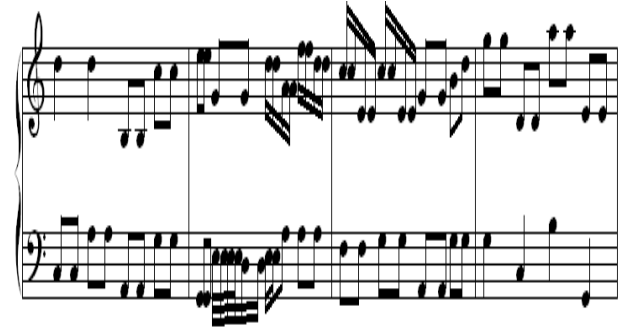
Piano



The first system of the musical score consists of two staves. The upper staff is in treble clef and begins with a whole rest, followed by a series of eighth and sixteenth notes, including a complex sixteenth-note run. The lower staff is in bass clef and contains a sequence of eighth and sixteenth notes.



The second system of the musical score consists of two staves. The upper staff continues the melodic line with eighth and sixteenth notes. The lower staff continues the accompaniment with eighth and sixteenth notes.



The third system of the musical score consists of two staves. The upper staff continues the melodic line with eighth and sixteenth notes. The lower staff continues the accompaniment with eighth and sixteenth notes.



يجلس القرفصاء فوق زريبة شهدت عهرا كثيرا، يكتب شعرا تهيج له مشاعره، تجري به دموعه، لوعته بصييته لا تقاوم، شوقه إليها لا ينقطع، تركها في عمر الثماني شهور، ولا يزال يذكر وداعها ابنته، حمل حوائجه، وودع أهله، وقبلها من وجنتيها صغيرته، نظر إليها وهي تحبو وترحف، حتى استقامت تستعين بركبته، فأنزلها أرضا برفق أحسه، وقال:

وداعا، وداعا حُويلته، وسارت معه حيث يسير وينزل، تلازمه لزوم قلبه لمهجته، وتؤنسه في وحدته ذكريات، وينقصه لَحْظ صباها صبيته، وطيف جميل لا يداعب حسا، ولكن معناه يخفف لوعته، ويقرض شعرا في فتاته الجميلة، ويستشعر الحنان عند أبوته، وشوقه إليها أنكر البعد عنها، وأذن في

الشعر فقال قصيدته، ويحفظها الله ونعم الحفيظ، ويرعاها
من ليس سواه خليفته..

تجري أمامه صور وتتعاقب في التلفزيون ولا يلتفت إليها،
يسكن ليلا يشك في ذكوره، الكون عنده ليل، والليل أصله،
والنهار ضياء، والضياء فرعه، يداعب طيفا كالكفيف البصير،
يسترهبه فلا يسترهب، ويستبهه فلا يستبهه، الاستباح
عداء، والاستعداد ظلم، ولكن الليل نهار، والكفيف بصير،
والعذب آسن، والباهت لامع..

طيفه خشن الملمس، ولكنه لم يلمس..
يمعن في القرفصاء عند ليل باهت لَمَاع، هُدُوْهُ يغري
بالتأمل، سكينته تثير شيطان الشعر..

وانتهى في لحظات، ثم عاد، ولكن لولا الفضول..
عند العسيسة تدحرج في درج خشبي، نزل فيه كالمنفلت
من القيد، هوى كجذع مُدْحَى من الأعلى، درَّجَه السقوط
كالدُّلُو في الجُبِّ، كبا كما لو قُدْف في كركرة من جُذاذ
الجدوع، قُدْف مدفوعا من عدوِّ يعشق تظليم العقل، أحدث
هديرا يُسمع، خَلْف خريرا يَصوت، ثم سكن كل شيء إلا

من الخبير، يغري بالتجسس ولا يفتأ أن يهجر، يلح على الوحدة مناوئا ولا يتركها، يريد مشاركة مكرهه، من الأسفل إلى الأعلى يصعد الصوت، ومن الأعلى إلى الأسفل هوى المصيت..

فتح الباب مصغيا إلى مصدره، ضاع عليه في مضمار الأبواب الموصدة، صدها يتردد في كل مكان، أغراه الكسل بالهبوط وقد يصعد، تبع آثارا حتى وقف على دماء. دماء صنعت بركة من نزيق لشيوخ نحيف، مدرجا فيها يخور والدم منه يفور، رأسه على حافة فوق عتبة لأول درج يحظى بالوطء عند الصعود، لا يزال واقعا فاقدًا وعيه، إلى جواره تقف عجوز في الثمانينيات من عمرها، تقف مذهولة إلى باب مشرعة كأنها نجمة البحر لا تكاد تحرك نفسا..

اقتحم بيتها، ثم أخرج منخدة ومنديلا، وضع الوسادة تحت رأس الناظر ليعدل من هيئته حتى تساعده على تسهيل الزفير والشهيق، ووضع المنديل في كف العجوز وشرع يدفع بها نحو الطريح، حملها على الانحناء وتركها تضغط برفق على موضع النزيق، ثم انطلق..

يعدو في الشارع بنبض المائة، ويركض في رشاقة عزت عن إحساس المتسابق، تستولد إحساسا لا يطاله متصدروا القمم ولوكانوا أمثال كارل لويس، سعيد عويطة، أو هشام الكروج.. اقتحم خمارة عصرية حضارية، توجه إلى النُّدل يبغي حملهم على طلب الإسعاف دون جدوى.. ركض ثانية، ثم اقتحم حانة أنيقة وسعت ثلاثمائة ألف مليار خلية ممن يرقصون، تخللهم، وجاس مضمارهم يسأل ويسأل ومات السؤال في أكف الأذرع وهي تشير إلى الباب..

ركض ثالثة، ثم اقتحم بارا آخر ودخله، ألفاه لامرأة، تفهمت طلبه، ورقت له، ولولا أنها طالق لما استجابت..

قدمت تطارد الزمن وتسرع أقل بعشر كيلومترات عن سرعة



حيوان "التشيطا"، حضرت فنقل العجوز في ساعفته إلى المستشفى، ثم نجا..

في كل مرة يلقي فيها محمدا يوقفه ليشكره، وإذا كان مرافقا تحوّل إلى سارد يحكي قصته.

فصل

مساءلة الاعتقال

قطعة

صعدو (الفورغونيط) وبها مختار الحي يقود القوات المساعدة
ويصطفي لهم ولاد السوق، يقوم بدورية ليلتها في "لاراف"
يجمعون كالصياد بشباكه؛ شبيبة دون مساءلة.. تركوا صديقهم
أستاذ الخياطة يجتر مشاهد راقبها وأشرف عليها يوم كان سجّانا
بالسجن السياسي بالقنيطرة، لو حضرها أو فقير لأبكته دما، يعذب
فيه الحزبيون والمنتمون بأساليب يعجز عن إبداعها داهية
الأبالسة، كلما أخرسوا لسانا، أو قطعوا قلبا، أو مزقوا عقلا،
أو غيّبوا روحا أحاطوه بمواد ثقيلة، ولفوه بها لفا محكما، ثم
حملوه في المروحيات وقذفوا به بعيدا في المحيط الأطلسي..

The image shows a musical score for the piece 'Masaala al-I'tiqal'. It consists of two staves: 'Temps' (top) and 'Flûte' (bottom). The tempo is marked as '♩ = 60'. The time signature is 4/4. The music is written in a key with one flat (B-flat major or D minor). The 'Temps' staff features a melody with eighth and sixteenth notes, while the 'Flûte' staff provides a harmonic accompaniment with similar rhythmic patterns. The score is divided into measures by vertical bar lines.

1

2

2

2



رُكِبَ البساط على عجل، انحدر به إلى بيت أمه، فهناك
يريد، جاء الخبر من غير سعة الوزارة، ساعي البريد موظف
بغير سلم في الانتخابات، ينجح دائماً، يتأفف من التزوير،
ويتعفف من الارتشاء، ونعم السلوك فلا هه، وهو ذا المثال
فهنيئاً له، ولكن يُرْوَرُ ويُرتشى له..

استدعاه قائد المقاطعة الحضرية المتدعرة، قائدها ميدود
بالرشوة، مجبوه بالخسة، ومعنوق بتظلمات الأيامى والأرامل،
جيبى بِخَرِّ أَبِي لإجراء عملية جراحية كتلك التي تجرى بسبب
انسداد الشرايين، ولكن على الفم والأذن. طلب منه في
تفنن أن يتحول إلى جاسوس يتبع عورات الناس ويأتيه
بأسرارهم، أغراه بقدرته على توظيفه وتوظيف أخيه حميدو،
يعمل عنده مختار كالخيرزان في فراغته، وكالصَّبْع في قباحتته

والطَّربان في نثانته، مرضت له بنت بالسرطان في عنقها،
فعالجها والد محمد بدواء تقليدي ناجع، ثم شفيت..
أوعز مقدم الحي إلى القوات المساعدة باعتقال محمد، كان
في حي عين الحياي ينحدر إلى بيت أمه مع صديقين،
أحدهما مخلص ودود وأمين غيَّاث، والثاني خبيث غدار
ولصّ مكار، لطالما بزّا في غفلة عنه عزيزا عليه (خاي أحمد
الرايس)، عند ثمائه يقتحمان جيوبه ويشطبَّانها، كان
الوعدان مغمومين بالنميمة، ومأبوظين بالخيانة يتلصصان عند
الوثوق بهما، كانا أقبح من القبح، وأخبث من الخبث..
صعدوا (الفورغونيط) وبها مختار الحي يقود القوات
المساعدة ويصطفي لهم ولاد السوق، يقوم (المقدم) بدورية
ليلتها في "لاراف" يجمعون كالصياد بشباكه؛ شبيبة دون
مسألة.. تركوا صديقهم أستاذ الخياطة يجترّ مشاهد راقبها
وأشرف عليها يوم كان سجّانا بالسجن السياسي بالقنيطرة، لو
حضرها أوفقيير لأبكنه دما، يعدّب فيه الحزبيون والمنتمون
للمنظمات السرية بأساليب يعجز عن إبداعها داهية
الأبالسة، كلما أخرسوا لسانا، أو قطعوا قلبا، أو مزّقوا عقلا،

أو غيّبوا روحا أحاطوه بمواد ثقيلة، ولقّوه بها لقا محكما، ثم حملوه في المروحيات وقذفوا به بعيدا في المحيط الأطلسي..

اطمأن جالسا في الفورغونيط، ثم سأل مختار الحي قائلا:

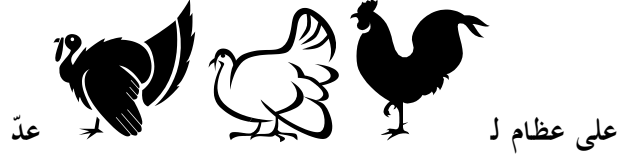
— ما هذا يا محمدا؟

فرد عليه:

● أنا نفسي معتقل..

سيقوا جميعا إلى الدائرة الثالثة بسوق البقر، ثم زج بهم عند نقلهم في دهليز ولاية الأمن.. راح المختار يكمل مهامه الليلية بأمر من صاحب الثقافة المتورمة؛ سعادة القائد.

يلبس أسمالا تخفي بعض معالمه، وتجنبه الإثارة، يطوف في الأزقة، ويتسكع في الشوارع يحصي على الناس حركاتهم، إذا رمق ضوءا يخرج من غرفة في ساعة متأخرة من الليل رامه مستطلعا متجسسا، يقلب حاويات الأزيال حسب تعليمات القائد، يجوس بعضا باحثا عن فضلات، فإذا عثر



عدّدا يعرف كم طير أكلت وازدردت مستنتجا بها، يعرف أعضاء الأسرة وعددها، فإذا زاد الاستهلاك، وتجاوز أفراد الأسرة عرف مستنتجا أن ضيوفا كانوا عندهم.. ثم من هم؟ وكم عددهم؟ وماذا فعلوا؟ ومن دعاهم بالضبط؟

ظل محمد في زنزانة ولاية الأمن معتقلا من غير جنابة، دعاه داع الحاجة فطلب من الشرطي الذي يحرس زنزانتة أن يسمح له بالذهاب إلى المرحاض فرفض، أرّ في إلحاح شديد صديقا له ليسلك سلوكه مع نفس الشرطي فكانت فائدة واحدة إذ أخرجه من زنزانتة وحمله على تنظيف الممر والمرحاض.. اضطر محمد إلى التبول في ركن للزنزانة، كانت مثانته باللونا، تم تقليده فتحولت أرضية الزنزانة إلى حوض لا يحتاج إلا إلى سباحة الجرذان. جيء بشمل ليلتها فأقحم معهم وهو يسب ويشتم، أشبعوه ضربا بالأيدي والأرجل، يخرجونه كلما تمادى في سبه وشتمه،



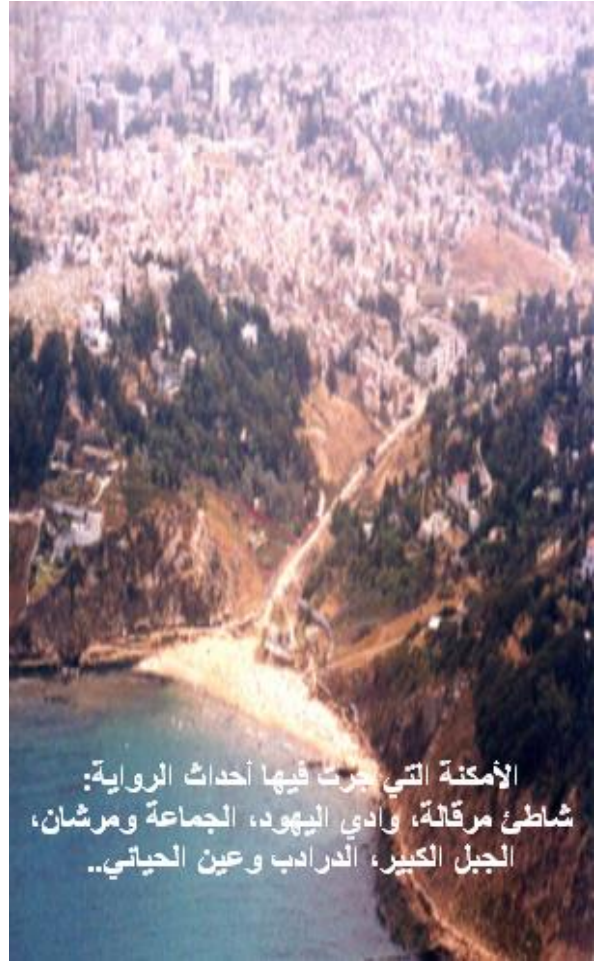
تأزّه مظالم دولته، يتمادى كثيرا ويتناول على الدولة،
يخرجونه من ثيابه، ويكبكبونه في مرحاض يشبه مختبرا
كيميائيا لا يحتاج إلا إلى كامات واقية يفتقد وجودها،
يسمع صراخه ممتزجا بسبه وشتمه، نحيف رشيق، معاند
مشاكس، شاب من طينة تستأثر الموت في شرود وغفلة،
تركوه بعدما يئسوا من إسكاته، لا يسكت عن السب أو
يفتر عن الشتم أو يتوقف عن تسديد اللعنات إلا بإدخاله في
غيبوبة مؤقتة أو دائمة، أو تركه كما لو كان بطارية تستنفذ
طاقتها..

غلب النوم محمدا فاتخذ بلغته مهادا، وضع فردة منها تحت
رأسه والأخرى تحت إيلته.. ولما أطلق سراحهم غادروا في
الحادية عشرة صباحا.

درج محمد من مستنقع إلى الأعلى ليترك فضاء نقياً.
سار والألم يقطع أمعاءه، منعه عن الاستقامة من شدته، وحال
بينه وبين السير المتزن.

مشى متوجعا يضع يده على بطنه من شدة الألم. يمشي
محدودبا حتى أسعفته أمه بمنسانيا Manzanía..





الأمكنة التي جرت فيها أحداث الرواية:
شاطئ مرقاة، وادي اليهود، الجماعة ومرشان،
الجبل الكبير، الدرادب وعين الحياتي..

فصل

الهجرة من الشمال إلى الجنوب

قطعة

كان مضيق جبل طارق يشهد هجرات سرية للإسبان والبرتغاليين فرارا من اليأس والجوع، حظيت الراينة بهجرة سرية موفقة في زورق نجح في تهجير الناس إلى غاية غرقه في البوغاز سنة:1951م، هوى إلى قاع المتوسط وهو غاص بالمهاجرين السريين، كانوا ينوون الاستقرار بطنجة الدولية.. استقرت الملكة هنا وعملت في المدينة ببيت أحد أبناء جنسها وقوميتها رافانيل؛ شغالة، عملت عنده لا تملك ورقة تثبت هويتها، لم تكن تملك بطاقة التعريف التي تمنح من طرف السلطات العمومية، ولا البطاقة الوطنية فيما بعد، ظلت كذلك حتى ألح عليها سالفادور وطلب منها الذهاب إلى القنصلية البرتغالية لإثبات هويتها، صارت برتغالية بأوراق صحيحة بنيت على أقوال صادرة عنها من دون وثيقة إثبات واحدة..



The first system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and the lower staff is in bass clef. Both are in common time (C). The music features a complex texture with many sixteenth and thirty-second notes, including some triplets and slurs. The bass line is particularly active with many sixteenth-note runs.

The second system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and the lower staff is in bass clef. Both are in common time (C). The music continues with similar rhythmic complexity, featuring many sixteenth and thirty-second notes. The bass line has a more rhythmic, steady feel compared to the first system.

The third system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and the lower staff is in bass clef. Both are in common time (C). The music continues with similar rhythmic complexity, featuring many sixteenth and thirty-second notes. The bass line has a more rhythmic, steady feel compared to the first system.



عشية يوم صائف، بنسيم بحري منعش، في يوم أهلّ بعد



تحرير القدس بثمانية قرون دخل محمد
دخلها لزيارة صديق اعتاد زيارته، وألف
الاختلاف إليه..

ضرب له موعدا عند التاسعة ليلا، لم يكن الموعد بمعنيين،
كان بمعنى واحد لا يتجاوز هدف المناقشة في الفكر
والسياسة، اعتاد محمد مناقشة أصدقائه ومحاورتهم، كان
محط أنظار شبيبة طموحة، شبيبة متلهفة لمعرفة الجديد
ومتابعة الأحداث. كانت أياما وليالي بأجواء يغلب عليها
الاهتمام والجدية، تناقش فيها قضايا الساعة وأحداث
العالم..

جلس إلى صديقه السوسي يحتسيان القهوة، ويدخن هو
مارلبورو منتشيا به وبمحتوياته، يحبه كثيرا بسبب الإدمان،
يطلب ممن يدعون له بالتخلي عنه في قولهم:

"الله يعفو عليك"، بأن يقولوا: "الله يرزقك ثمنه". عُوْض به
عن إدمان من نوع آخر، ظل أسيرا له طوال سنوات، وعبدا
للشراب المتلاف حتى وفاة والده.. عرض أحمد على محمد
عملا مع يهودي يسكن شارع مولاي عبد الله، طلب أن
يعرفه على "خوديو Judio" طنجة ومثالها في البذخ والترف،
ثم يقرر بعد ذلك ما سيكون.. صعدا المصعد، ثم دخلا.
تقدم أحمد للسلام على صديقه، ثم قدم له صديقه محمدا
وعرف به وتمنى عند الإسماع أن يكون صديقا متميزا له،
صافحه وعند المصافحة جبهه إلى صدره، ثم قبله من
وجنتيه، بدا فرحا مغتبطا لم يتردد في سؤاله:

❖ ما اسمك؟

فأجابه:

— محمد

ثم أردف:

﴿ وأنا سلفادور، تشرّفنا بك وبلقائك، وأسعدنا بطلعتك، وأرجو أن تتوطد علاقاتنا وتستمر، اجلسا، ماذا تشربان؟
ينادي علي عجزوز تعمل عنده.

خدوج، خدوج هات مشروبات غازية. يخاطبها بالإسبانية، لم يطلب أن تحضر خمرا أو جعة لمعرفة المسبقة أن السوسي لا يقرب الخمر مستنجا أن صديقه هو الآخر لا يقربها، فلم يخطئ في استنتاجه.. سلفادور عجزوز محدودب الظهر، أزرق العينين، يحمل فوق كتفيه رأسا يعلوه البياض حتى لكأنه مستعار من شعر الدب القطبي، أنيق في مظهره، مؤدب في حوار، متودد في حديثه.. يجلس إلى مكتبه وسط صور فوتوغرافية موزعة هنا وهناك، عن يمينه وعن شماله، على الحيطان وفوق المنضدات والرفوف والمكاتب صور تذكارية لعائلته من يهود طنجة وتطوان.. أمامه صورة رجل من عائلة أمه يقدم لملك المغرب أوراقا وهو منح عليه. سأله محمد عن صاحب الصورة فأجابه: "ابن زاكن، وزير البريد المغربي في عهد محمد الخامس". صار محمد يختلف إلى اليهودي دون معية، توطدت علاقاتهما ومنتت لدرجة أن بدأ سلفادور

يصرح لمحمد بمحبته له، يعلن ذلك بمعينه ومعينه الراينة ورافائيل.. عرف محمد أن صديقه الجديد مصاب بمرض الباركنسون parkinson، أشفق عليه وبدأ يساعده على مرضه، يشجعه على مقاومته وتحديده، يفعل ذلك معه من دون خلفية عقديّة أو فكرية، ينظر إليه من الناحية الإنسانية متفهّما عطاء الربوبية، يستحق منه الإشفاق والمساعدة، يتشدد معه إن هو خالف تعاليم "برونو". يحمله مرغما على التقيد بتعاليم طبيبه، يرأسه آما ناصحا من فرنسا كلما استفسره وطلب رأيه ومشورته..

فرح سالفادور فرحا شديدا بصديقه الجديد.

شكر لأحمد هديته هذه. وضع له محمد برنامجا وسعى إلى تطبيقه معه. يخرجهم من منزله كل يوم ويذهب به إلى منتزه سيدي المناري، إلى خميلة الرّميلات، غالبا ما كان يتردد على "مالاباطا" عند أشجار ظليلّة، يمشيه متوكأ على ذراعه، يفعل ذلك لمساعدته على الحركة والسير نزولا عند رغبة طبيبه برونو، يركض به أحيانا في رفق رغم تخطيه سن الثمانين.. ظل محمد وفيًا لصديقه. يساعده ويسمر معه،

يؤنسه بمجالسته وينسيه مرضه بمحاورته، سأله مرة عن اسم كوهين وما يقال بشأنه في طنجة، ألقى إليه: "هل تعلم أن أبي كان يردد كثيرا اسم كوهين، يردده حين يريد ضرب مثال عن الأناقة والترف، هل تعلم أن أهل طنجة يرددون كلمة كوهين بقولهم:

"ولد كوهين" كناية عن الرفاهية والترف والتبذير فما قولك؟

❖ كوهين اسم عائلي أحمله، ويعني الشريف بالعبرية.

— عرفتك سخيا "كاباييرو"، وهذه صفة لا يحملها اليهود عبر التاريخ، فهل لست يهوديا؟.

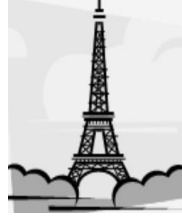
❖ سخائي وأناقتي وكرمي هو تقليد طنجاوي، فأنا يهودي أكره اليهود، وأكره أن أنتسب إليهم، وهذه هي ديانتني.

— ما علة ثروتك؟.

❖ لست ثريا كما تتصور، كان أبي كذلك، فيوسف والدي من تطوان أنجبني في طنجة بحي مرشان. كانت شمس المغرب الجميلة مدينة دولية تستقطب التجار ورجال الفكر والثقافة والفارين من العدالة.. قدم إليها أبي وصار يتاجر في المواد الغذائية. كان يملك خزائن للمؤن بزئقة تطوان.

يستقدم بواخر محملة بالزيوت والسكر والدقيق والزبدة والنفط وغير ذلك، ظل كذلك حتى وفاته، ثم وزعت ثروته وكانت حصتي منها جيدة.

سافرت بفضلها إلى إيطاليا والبرتغال والبرازيل.. وحين مرضت بالباركينسون Parkinson ضيّقت علي عائلتي وخصوصا الحقيرة صونيا..



— ومن صونيا هذه؟
— إنها عمتي تسكن أسكنه يعود إليها.

حجروا علي ومنعوني من التصرف في أموالي، خصّصوا لي مبلغا شهريا يسدّ حاجتي من الطعام والشراب والدواء.

— لم تجد من يساعدك على رفع الظلم؟
— التجأت إلى فقيه لنا، المسؤول عن الجالية اليهودية يتاجر في الذهب والفضة والعملية الصعبة بطريق الصياغين..

— هل تعني اليهودي الشامة والعلامة في الصياغين صاحب
الدكان الواقع قبالة التاجر بورزين؛ الجاسوس، مهرب
الأطفال إلى إسرائيل كما يشاع في طنجة؟

❖ ولكن من أخبرك أنه جاسوس؟

(يسأله شائحا عنه)

— إن شئت فهو ليس كذلك، ولكنه ينتقل بين طنجة وجبل
طارق وفرنسا وإسبانيا خدمة للجالية اليهودية، يعمل مترجما
وعدلا، يتردد عليه أفراد من المخابرات ربما للاستعانة به..

❖ لا تلمح فلست إلا صريحا.

— إذن فلم تدافع عنه؟ أليس حجة تبديها لي؟ أنا أعرفه
من تجربتي..

❖ ماذا تعني بتجربتك؟ هل أنت عضو في المخابرات
المغربية؟

— ثلاثة أشياء كأنها جينات أحملها هي: كرهى للكذب،
وبغضى للتجسس، ومقتي للشذوذ الجنسي، ماذا تقول؟ لا،

لا يمكن أن أكون كذلك، ولكن كم دعيت للتحقيق بسبب
أنشطتي السياسية والثقافية..

❖ كيف ذلك؟

— كنت إذا انتهيت من إلقاء محاضرة أو عرض في ندوة
استدعاني قسم الاستعلامات، يستدعيني إلى ولاية الأمن
للتحقيق معي، يتكرر ذلك معي باستدعاء رسمي وغير
رسمي. بنوا ملفا خاصا عني يتحدث عن حركتي في الحياة
منذ ولادتي إلى تاريخ التحقيق معي. لم يكتفوا بذلك، بل
حملوني على الذهاب إلى الرباط فاجتمع بي رجل اسمه
الأندلسي وهو اسم مستعار. سجل أقوالي في فندق أمام
مجلس النواب، وكان قد طالبني بمنحه بعض الدوريات التي
نشرت لي مقالات كجريدة الشرق الأوسط ومجلة الناقد..
على أساس أن يردها علي، ففعلت، ولكن أنى لمتله أن
يكون وفيا.

❖ طيب، دعنا من هذا، ودعنا من "مميز" فأنا أكرهه
لتواطؤه مع عائلتي في منعي من التصرف بأموالي، لقد
اتهمني بسوء التدبير والتصرف، اتهمني بالسفه..

— لا أعتقد أن هذا هو السبب.

❖ لقد حقد علي لشيء آخر، ولكن لا أعتقد أنه سبب مباشر في موقفه هذا، فلقد امتنعت في كل مرة عن دفع أي درهم لمساعدة الجمعيات اليهودية في طنجة وخارجها..

ترك محمد صديقه ينادي على الراينة وخرج. تركه تحت رحمة برتغالية من ملته، تنهوه وترهبه، تسبه وتعنفه. يخافها كثيرا حين تتنابه نوبات المرض وأعراضه. كانت نوبات تجمده وتمنعه عن الحركة. يظل أسير وضع لا يتحرر منه إلا بواسطة، كانت الراينة عجوزا تعول أختين لها، شكلهما محفور في ذاكرة طنجاوة، كانتا بشكل يثير الفضول، خلقتهما مشوهة، يحملان جسما نحيفا مقوسا كأنه ينوء بوزر السامري، ورأسا كأن عليه جثث قتلى دير ياسين، لا يشبه وجههما وجه الرجل الفيل، ولكنه دونه في الصورة والشكل. الاثنان تثيران الإشفاق لدرجة الاستئثار به، تسكنان شارع المكسيك فوق مقهى النهضة، تتردد عليهما الراينة وتزورهما في كل يوم لتقدم لهما الطعام والشراب، تسرقه وتستقدمه من بيت سالفادور، لطالما نصحهما بالانتحار كلما استقدمتهما

أختهما التي تحوطهما برعايتها.. قدمت الراينة إلى طنجة في هجرة سرية. كانت الهجرة السرية من الشمال إلى الجنوب. كان مضيق جبل طارق يشهد هجرات سرية للإسبان والبرتغاليين فرارا من البؤس والجوع، فرارا من ملاحقة الجنرال الذي لم يكن يتوانى في حمل الشباب القادر على حمل السلاح بالقوة، يسوقهم من قرى وبوادي بني حَرْشِين وأنجرة وبني مُصَوَّر ووذراسٍ وغيرها من الشمال الغربي لبلاد المغرب للقتال معه، ينخرطون في الجيش الإسباني بغية التحرر من المتربة، حظيت الراينة بهجرة سرية موفقة في زورق نجح في تهجير الناس إلى غاية غرقه في البوغاز سنة 1951م هوى إلى قاع المتوسط غاصا بالمهاجرين السريين، كانوا يبنون الاستقرار بطنجة الدولية.. استقرت الراينة هنا وعملت في المدينة ببيت جنسها وقوميتها رافائيل؛ عملت عنده طيلة عقود تملك ورقة تثبت هويتها. لم تكن تملك بطاقة التعريف البلدي ولا البطاقة الوطنية. ظلت



أحد أبناء
شغالة.
أربعة لا
تكن

طوافة على بيوت اليهود في طنجة، ظلت كذلك حتى بداية التسعينات.

وبعد حرب الخليج الثانية ألح عليها سالفادور في الذهاب إلى القنصلية البرتغالية لإثبات هويتها.

صارت برتغالية بأوراق صحيحة بنيت على أقوال صادرة عنها من دون وثيقة إثبات واحدة.. كانت الرابطة تحقد على أصدقاء سالفادور الذين لا تملك يدا في استقدامهم، تكرههم وتمقتهم وترى فيهم لصوصا وشواذا.

فصل

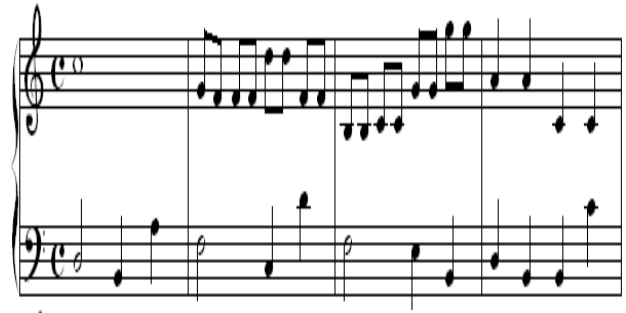
مَمْدَرِيَّةُ الكون

نُظْمَةٌ

- هذا الكون مجموعة من الأجرام بصرف النظر عن الكبير والصغر، وهي تسبح في فضاء شاسع واسع لا يستطيع الخيال تصوره لدرجة بروز الوهم بسبب هذا أنه غير محدود كما يزعم الكثيرون، ولكن إذا أدركنا أنه مجموعة من الأجرام، وأن كل جرم مهما صغر أو كبير يبدأ من نقطة وينتهي إلى أخرى، فيتأكد في النهاية أنه محدود..

Piano

The image displays three systems of piano sheet music. The first system, labeled 'Piano', shows a melodic line in the right hand and a bass line in the left hand. The second system features a more complex texture with sixteenth-note runs in both hands. The third system shows a simpler texture with chords and single notes.



دخل كعادته على سالفادور محييا، وجده غاطسا في
 الحيرة، لقيه نشوان يتحرك بسهولة، يمشي بيسر في توازن
 يكاد يغنيه عن المساعدة، يكاد الناظر إليه يحكم بسلامته
 ومعافاته، دخل عليه الصالة فوجده واقفا فاتحا ذراعيه
 مبتسما ينادي عليه: تعال يا أعزّ صديق وأحبّ صاحب.
 مدّ إليه يده للمصافحة فارتدى سالفادور في أحضانه وضّمه
 إليه يعانقه كطفل يحتاج إلى عناية وحنان، استقبله استقبال
 الأجابة بمودّة ظاهرة، سأله محمد عن سر سعادته فأجابه:

"إنه يوم عيد
 هنا، ثم
 سالفادور أن
 إلى آخرها،
 .."
 جلس إليه، طلب منه
 يسمر معه تلك الليلة
 حمله حملا على
 الذهاب لإخبار زوجه حتى لا تقلق على تأخره.. غشي
 الظلام سماء طنجة، خرج أبوامها ووطاويطها، لفّ السواد
 جلودا، ثم عبرها من خلال فتحات الجلود إلى القلوب،
 دكنت آفاق أناس مرضى لم يعودوا يرون غير السواد، ليلة
 ظلماء فوق يقين من نور وضياء، وانتصف الليل، انتصف



وساد السكون ومحمد إلى جانب سالفادور عند مكتبه
فبادره:

— هل أنا محبوب عندك حقًا كما تزعم؟

✂ نعم، لا شك.

— إن كنت كذلك فبرهن لي بقبول شرط سأسمعك إياه..

✂ ما هو؟

— أحب أن أتسامر معك، ولكن بجديّة نناقش فيها عدة

أمور، فهل تقبل؟

✂ تفضل.

— اسمح لي بسؤال.

✂ هَيَّ.

— هل تؤمن بالله ربًّا للعالمين حقيقة موجودة قطعية و يقينية؟

✂ لست متيقنا لدي تردد، فتارة أومن به وبوحدانيته،

وتارة أنكر وجوده، وإذا أقررت بوجوده ينتابني الغضب

والإحباط إذ أقول: إذا كان موجودا حقا فهو موجود، ولكن

انظر إلى ما فعل بي، انظر إلى مرضي، انظر إلى حالي..

— مهلا، حسنا، سالفادور حين ينظر إلى محمد يكون قد نظر إلى واقع يدركه بسبب وسائل الإدراك لديه كإحساس والدماغ وخاصة الربط والمعلومات السابقة إلخ. **صحيح.**

— وعليه وببساطة فأنا مسبب سبب، ومعلول علة، وهذا يقين قد يقنت فيه وعليه الأشياء، أليس كذلك؟ **نعم.**

— حياتنا، عيشنا، وجودنا في أرض وعلى أرض نسميها كوكبا في مجموعة شمسية، والمجموعة الشمسية تقع في مجرة نسميها سكة التبانة، والمجرة إلى جانب ملايين المجرات توجد في الكون، هذا مؤكد يا سالفادور، ويقيني أليس كذلك؟ **نعم.**

— هذا الكون مجموعة من الأجرام بصرف النظر عن الكبير والصغر، وهي تسبح في فضاء شاسع واسع لا يستطيع الخيال تصوره لدرجة بروز الوهم بسبب هذا أنه غير محدود كما يزعم الكثيرون، ولكن إذا أدركنا أنه مجموعة من

الأجرام، وأن كل جرم منها مهما صغر أو كبير يبدأ من نقطة وينتهي إلى أخرى، فيتأكد في النهاية أنه محدود..

❖ ولكن من يستطيع تلمس المحدودية؟

— العقل.

❖ كيف؟

— إذا أخذت قطرة ماء لمعرفة عدد ذراتها من الأوكسيجين

والأيدروجين فهل يمكن ذلك؟

❖ نعم.

— ولكن إذا طلب منك معرفة عدد الذرات التي يتكون

منها الماء الموجود في الأنهار والبحار والمحيطات، فهل

يمكن تلمس ذلك، ومعرفة العدد؟ هل هناك رقم يستطيع

الإحاطة بذلك؟ هل هناك لسان يستطيع النطق برقم يكتب

فقط من طنجة إلى حدود كوكب القمر؟ هل هناك حاسوب

يستطيع قراءة محتويات الشمس من أعداد ذرات

الأيدروجين أو الهيليوم؟ هل هناك؟ وهل هناك؟

❖ هذا مدهش.

— أليس الماء على الأرض؟ أليست الأرض محدودة؟ أليس الحكم اليقيني أن ما فيها جميعه محدود بما في ذلك الذرات التي يتكون منها ماء كوكب الأرض؟
❖ صحيح.

— إذن فالعقل لن يخطئ في هذا، وعليه فالكون مادام مجموعة أجرام تصغر عن الأرض ككوكب القمر، أو تكبر ككوكب المشتري فهو محدود.

❖ نعم كل شيء محدود، الكون محدود ومحتوياته من باب أولى؛ محدودة..

— بما أن الكون محدود إذن فالمحدودية صفة لازمة له، يحملها معه. وعليه فهو محتاج، والاحتياج يدل على عدم الاستغناء بحيث يحتاج في وجوده إلى غيره يستند إليه، وهذا كاف لإدراك أنه مخلوق.

❖ لا، ليس هذا كاف لإدراك أنه مخلوق، لأن الكون يحتاج إلى نفسه، إلى جنسه.

لا يحتاج إلى غيره..

— طيب، ليكن، لنأخذ الطبيعة.

ففي الطبيعة الكون كمادة وطاقة، سواء كانت مرئية للعين المجردة، أو لم تكن.

وفيها الحركة والقانون أو النظام، فالانتظام الذي يظهر فينا جزء من الكون، وكذلك في غيرنا من مستويات الكون، يبدو على درجة عالية من الدقة والإحكام، يدل على بديع الصنع وجمال الخلق، به إتقان، به إعجاز، به وحدة وتفرد في التصرف وقدرة على تسييرها والتحكم بها، كل هذا يتعلق بالطبيعة، فهي الشيء والنظام مجتمعين، والانتظام نتيجة لهذا الاجتماع أو الجمع، وعليه لا يوجد شيء قبلها، ولا يوجد شيء بعدها، فهي الخالق والمخلوق، هي الإله، هي الصانع والمبدع..

﴿ أراك على وشك أن تكون ملحدا، أراك في طرحك هذا تساعد الملاحدة على الاستدلال العقلي لنفي الخالق..

— رويدك، تمهل قليلا، هل تسيير معي بإنصات جيد ومركز،

أم لا؟

﴿ استمر.

— هل دخلك اليأس من الحديث؟ هل ننهي حديثنا؟ هل نقف ونؤجل؟

— استمر، استمر، أريد النتيجة بسرعة.

— لا، لا تطلب النتيجة بسرعة، فقد يمنعك ذلك عن إدراك أمور دقيقة تعتبر كوابح وحصارات للمادي في إطلاق الأحكام بشكل متسرع، قد تفوتك أمور وجب ألا تفوتك، قد تجعل منك مؤمنا بخالق الكون والإنسان والحياة حقيقة وعن قناعة، أو كافرا بكل هذا حقا، ولكن عن جحود، فلا تعجل.

— إنك فريد أصدقائي، فأنت حبيبي، لم تشرب قهوتك، دعها وخذ غيرها، خذ مشروبا غازيا مثلا، لن أطلب منك أخذ الجعة، أو الويسكي، اطمئن.

قطعت حديثهما الراينة. نهضت من نومها مستطلعة، أشاح عنها سالفادور وطلب منها الذهاب إلى فراشها وهو يقول: "استمر يا محمد، لا أريد النتيجة حتى تأتي طبيعية وتستبين" ..

— إذا نزعنا النظام عن الأشياء فماذا يظهر؟ علام نحصل؟ هل يظهر الانتظام؟ خذ سيارة مثلا وهي شيء، وخذ نظاما وهو قانون السير وافصلهما عن بعضهما البعض، فهل يظهر الانتظام؟ لا أفترض سطح البحر تسير عليه السيارة ولا الفضاء، أفترض طريقا معبدا صالحة للسير، ولكن بدون قانون، فلن يحصل انتظام السيارة في الطريق، فهذه الأشياء جميعها تشكل الانتظام حين تجتمع، وتشكل الفوضى حين تفترق، إذن فلا النظام مستغن عن الأشياء، ولا الأشياء مستغنية عن النظام، ولا الانتظام نفسه مستغن عن الإثنين وهما مجتمعين لا مفترقين. ألا ترى يا سالفادور أن مجرد وجود حاجة في شيء إلى شيء آخر يدل على عدم الاستغناء؟ ألا ترى أن غير المستغني لا يستطيع سدّ حاجته أو جلبها من تلقاء نفسه؟ ألا ترى أن الحاجة نقص يحمله المحتاج، والنقص ضعف، والضعف هوان؟ ألا تراه صفة لازمة لكل محتاج كيفما كان نوعه وشكله ووزنه وحجمه وكثافته؟ ما هي النتيجة العقلية؟

أليست حتمية حاجة المحتاج إلى غير المحتاج، ولن يكون من جنسه، ولن يكون الكون ولا الطبيعة، صحيح أن حاجة المحتاج قد تكون للمحتاج مثله، ولكنه ليس موضوعنا.



انظر إلى الكون والإنسان والحياة،
دقق النظر مستنتجا إلى هذا
أليس محتاجا إلى أمه؟

❖ استدلالك هذا راق ومدهش
وبسيط بنفس الوقت.

— خالق الكون لا يحتاج

الإستدلال على وجوده إلى دراسة وتحصيل، يحتاج الأمر إلى إعمال العقل انطلاقا من الحس ووصولا إلى الإقرار بالموجود بشكل قطعي ويقيني.

❖ لم أقرأ أو اسمع قط شيئا يشبه استدلالك هذا.

— وهل كنت إلا بشرا بالعلم شغوبا ولأساتذتي تلميذا مهذبا؟ العقل يا سالفادور لا يخطئ في الحكم على وجود الشيء إذا كان سليما معافى، قد نختلف على حقيقة الشيء الذي صدر عنه الصوت مثلا، ربما نختلف على ماهيته،

ولكن لن نختلف على كون الصوت صادرا عن شيء موجود فعلا، وهذه حقيقة، وهي مطابقة للواقع.

﴿ أزداد بك إعجابا، وأزداد لك حبا. ﴾

— إذن مجرد وجود الحاجة في الشيء إلى شيء آخر يدل على حتمية الاستناد في وجوده إلى من لا يملك صفة الحاجة، وهذا لا يوجد في الكون كما تبين، ولا يوجد في الطبيعة كما هو مُدرك، وعليه فالكون مخلوق، والطبيعة مخلوقة أيضا.

﴿ نعم كل شيء مخلوق، صدقت يا محمد، إذن فالعالم كله من خلق مصور مدبر غني مستغن عليم حكيم.. ﴾

— حسنا، اتفقنا على وجود الخالق ووحديته، إذن فالله واحد، أو الخالق واحد.

﴿ أجل، فلا إله إلا الله. ﴾


— هل بقي شيء؟

﴿ لا، لم يبق شيء. ﴾

— بقي أن أسألك عن الشك، هل تشك من الآن فصاعدا بشأن وجود الخالق ووحديته؟

❖ لا، لن أشك بعد اليوم فالإله واحد، وهو خالق العالمين.
— طيب، لنخض في حديث آخر، لنترك الجدية والتركيز
على أمل العودة مرة أخرى، وبموضوع آخر، فما رأيك؟
❖ كما ترى.

— حدثني قليلاً عن طفولتك.
❖ طفولتي بدأت في حي مرشان، بفيلا سكناها وترعرعت
فيها.

— هل لديك حدث لم تنسه قط يسرك أو يغضبك؟
❖ لن أنسى يوماً جوناً خرجت فيه من الفيلا أتجول،
خرجت أطوف بجوار ملعب مرشان وأنا طفل، كان الملعب
البلدي قد فرغ من جماهير المدينة على إثر مشاهدة مقابلة
في بين فريق "الطانخير" و"البوليس"،
شرعت ألعب وأركض ثملاً بالرشاقة في
الهواء الطلق. لن أنسى مصادفة

"شلاغمي"، تودد إلي وداعبني ومشى بي متعجباً حتى
أبعدني عن الفيلا وأدخلني الملعب واختلى بي عند جذع
يابس، ثم واقعني. لن أنسى ذلك الرجل الشاب ذي

الشوارب المشيرة الذي كرهته في حينه، ثم أحببته بقية عمري، ولم أزل. لا زلت شغوفا بفعلته.

— كيف تحب رجلا إلى الآن وقد فحش بك واغتصبك، كيف؟

❖ لا تتردد في الإستنتاج، فأنا ضحية الشلاغمي، وحسنته بنفس الوقت.

— ماذا أسمع يا سالفادور؟

❖ أنت طنجاوي، وأبوك من مواليد حومة سيفيا Sevilla بسيدي بو عراقية، أليس كذلك؟

— لا يهم ، ماذا تريد قوله؟

❖ تعلم أن الذين كان يفحش بهم أول الأمر ويُتخذون غلمانا؛ من اليهود والنصارى، كانوا من أجناس مختلفة تحتضنهم طنجة الدولية، لم يكونوا في البداية عربا أو مسلمين، ثم بعد ذلك اختلط كل شيء. كان كل شاب يحرص أن يكون لديه مثليّ يعامله كما يعامل المرأة، بل منهم من كان يملك غلاما وهو متزوج، وله أبناء كثيرون، تعرف بعضهم، أليس كذلك؟

— نعم.

✂ إذن، إذن، وإذن.

— أنت شاذ.

✂ أرى وجهك على غير ما كان عليه، ماذا هناك؟

— بدأت أحس بالتعب، أريد الراحة بالنوم، سأذهب،
وسوف أزورك..

خرج محمد من عند صديقه في ساعة متأخرة من الليل، سار وهو مُخَبَّطٌ يناجي نفسه، يسأئها عن سالفادور، ويردد: "هل بعدما ابتعدت عن حياة الطيش والعريضة أصادف مثليا أصادقه؟ ما هذا؟ هل يطمع في مضاجعتي له يوما ما؟ هل ما يظهره من مودة وسخاء مجرد مهاد يصنعه لغاية الفحش؟ يجوز، يجوز ويجوز". .. انقطع عن صديقه أياما بعدد أذرع الحَبَّار وما مكثت فيه جثة موسولينى معلقة على المشنقة؛ حتى سأل عنه. أرسل في طلبه فقدم إليه..





فصل

الكتاب المفتوح

طريقة

جلسا إلى منتزه يطل على طنجة ويقابل "كاديس" والأندلس، كانت أمسية صحوة برياح غربية ناعمة، كان البحر هادنا ذلًا، بدا منتفخا كأنما يحمل في بطنه جنينا يريد لفظه والتخلص منه.. تبدو طنجة من خلاله كصحن مقعر، تبدو جميلة كعروس تخضبت بالحناء، تظهر وكأنها كتاب مفتوح يحكي قصة انسداد المضيق، ثم انفتاحه عدة مرات منذ ملايين السنين، كان عند الانفتاح يصنع شلالات ضخمة تسمع من آلاف الكيلومترات ولكن ليس من أدوات سمع بشرية، لم يكن آدم قد حل ضيفا في رحاب كوكبنا بعد، تبعث طنجة بالمعلومة تلو المعلومة عن الجسر الذي عبرت فيه الحيوانات، عبرت من إفريقيا إلى أوروبا، تسرد شاهدة العيان حكايات تشهد عليها الشمس ويشهد عليها القمر، تعلن أن قارة إفريقيا لطالما عانقت قارة أوروبا وشكلتا يابسة واحدة..

♩ = 60

Temps

Flute

The image displays three systems of piano sheet music, each consisting of a treble clef staff and a bass clef staff. The music is written in a common time signature (C) and a key signature with one flat (B-flat). The first system shows a melodic line in the treble and a rhythmic accompaniment in the bass. The second system features a more complex texture with rapid sixteenth-note passages in both hands. The third system returns to a simpler, more melodic style with a clear harmonic structure.



أخرجه من بيته وغادرا، استقلا "رونو" أربعة وقصدا منتزه "سيدي المناري" وفي الطريق سأله عن علة غيابه، اعتذر منه كثيرا وسأله الصفح إن كان قد أساء إليه ليلة السمر معه..

جلسا إلى منتزه يطل على طنجة ويقابل "بَرِاطِي Barbate" و"تشكلانا Checlana"، كانت أمسية صحوة برياح غربية ناعمة، كان البحر هادئا ذِلاً، بدا منتفخا كأنما يحمل في بطنه جنينا يريد لفظه والتخلص منه.. تبدو منه طنجة كصحن مُفَعَّر، ترى جميلة كعروس تخصّبت بالحناء، تظهر وكأنها يحكي قصة انسداد المضيق، ثم

انفتاحه عدة مرات منذ ملايين السنين، كان عند الانفتاح يصنع



شلالات ضخمة تسمع من آلاف الكيلومترات، ولكن ليس

من أدوات سمع بشرية، لم يكن آدم قد حلّ ضيفا في رحاب كوكبنا بعد، تبعث طنجة بالمعلومة تلو المعلومة عن الجسر الذي عبرت فيه الحيوانات، عبرت من إفريقيا إلى أوروبا. تسرد شاهدة العيان حكايات تشهد عليها الشمس ويشهد عليها القمر، تعلن أن قارة إفريقيا لطالما عانقت قارة أوروبا وشكلتا يابسة واحدة. ساد الصمت محيط الصديقين، كلاهما يستطلع مناظر ساحرة من هنا وهناك، كلاهما منتش بجمال السماء والبحر، أخاذاة هي طنجة وساحرة، آسرة هي طنجة بالساهرة، فاتنة هي طنجة فاتنة.. نظر سالفادور إليه وسأله إن كان يملك جواز سفر، أسرّ إليه برغبته في الذهاب معه واصطحابه إلى "Lisboa" للسياحة، ف" هل تصحيني إلى البرتغال؟".

— متى ستذهب؟

— بعد مجيء "صونيا" من فرنسا، وابن خالتي من سويسرا.

— متى يقدمان؟

— بعد أسبوعين.

— سنرى في حينه.

✂ طيب، انظر إلى طنجة، لقد شاخت، لم تعد شابة كما كانت، لم يخطر ببالي أن تشيخ أبدا.

— المدن لا تشيخ إلا في العمران ومع ذلك يلحقها الترميم.

✂ لقد شاخت طنجة فعلا يا محمد، شاخت بأهلها.

— أهلها في جمهرتهم شباب وأطفال.

✂ ولكنهم..

— أرى لسانك معقودا أطلقه، أفصح عن دخيلتك.

✂ طنجة لم تعد تلك المدينة المثالية، اختلط فيها كل شيء منذ ضُمَّت إلى..

— التحت بماذا؟

✂ بالمغرب.

— وهل كنت تريدها خارج البلد؟

✂ نعم، ولكن ليس كسبتة ومليلية، كان أجدر بطنجاوة أن يرفضوا الانضمام والاندماج.

كان أولى بهم أن يكونوا متمتعين بحكم ذاتي لا يتبع المغرب في إطاره العام.

كان يجب أن تبقى طنجة مدينة دولية..

— ما دمت يهوديا فكل قول منك مقبول، وكل فعل لك مباح، هذا ما حصلت عليه من عصبة الأمم، ثم هيئة الأمم، نعم من ضمن ما رشحتهم لإقامة كياناتكم المغتصب إيرلاندا وأوغندا ولم تستثنوا طنجة.. لكم حق المواطنة في كل بلد وكأن العالم من صنع أيديكم، كأنكم أربابا له..

— أنا رغم جنسيتي الإيطالية مغربي، أنا طنجاوي، وهذه هي ديانتني كما قلت لك سابقا.

— إن كنت كذلك، فلم تفكر بعقلية انفصالية؟

— هذه ليست عقلية انفصالية يكفيك النظر إلى البوليساريو ورغبتهم في إقامة جمهورية بالصحراء الغربية، ألا يحق لهم ذلك؟

— لعلك سرفاطي وقاعدي..

— لا، لا، لست كذلك، أنا أكره السرفاطية، أكره جميع اليهود، أكره نفسي معهم أيضا.. وأعلم أن المقاومين وجيش التحرير كانوا قادرين على طرد الاستعمار الإسباني من الساقية الحمراء ووادي الذهب، وطرد الاستعمار الفرنسي

من تندوف وموريطانيا، وكيف لا وهم من تسلحوا بدينهم وخصوصا فكرة الجهاد وعدم الخشية إلا من الله، ومعهم كل القبائل الصحراوية، وهم ذووا دراية حقيقية بطبيعة المنطقة، بمخابئها ومناخها وآبارها وبذلك حققوا انتصارات كبيرة على المستعمر.

أعرف أنه ما كان للوضع أن ينقلب للأسوأ لولا التآمر على جيش التحرير من أجل تصفيته.

فقد انطلق بعزيمة قوية من الشمال إلى كلميم سنة 1956 بغرض استكمال تحرير البلاد ومعه كل المغاربة والعرب وكل المسلمين وأحرار العالم ممن هم فطنون للعبة الاستعمار الجديد المتمثل في الولايات المتحدة الأمريكية تحت قناع حق تقرير المصير؛ الغرض منه طرد الاستعمار التقليدي والحلول محله، وقد حصل..

— حديثك السياسي هذا جيد، ولكن غيره مبتذل، لا أعتقد أن لك قرارا، لا أراك تثبت على رأي أو موقف.

ماذا تقول في رغبة الشعوب العربية والإسلامية في الوحدة؟ هل تؤيدها؟

❖ الشعوب العربية والإسلامية تطلب الوحدة حقيقة، لأنها جزء من تاريخها السياسي القريب، إنه حنين، ولكن الساسة والحكام لا يريدون الوحدة، بل يرفضونها بسبب تمسكهم بالذاتيات والأنظمة، حتى الجامعة العربية بها بند في ميثاقها لعله الثامن يمنع الوحدة الحقيقية، وإلا ما معنى احترام حدود البلدان إن لم تكن هي عينها منع الوحدة، الحكام لا يقبلون التخلي عن كراسي الحكم، الحكم لذة من نوع خاص لا يعرفها غير الحاكم لأنه قد تذوقها، ولذلك ظهر فيهم ملوك دون تيجان في تونس والجزائر ومصر وسوريا وليبيا.. إنهم يروجون دعائيا للوحدة، ويناقون شعوبهم..

— لم تجانب الصواب في كشفك لكذب الحكام.. هم حملة الشعارات الفارغة بامتياز، ولكن سيأتي يوم تتحقق فيه الوحدة، فقد يعمد مفكروا الأمة وسياسيوها إلى خلق رأي عام يدفع إلى ضرورة الاحتكام إلى الشعوب بشأن استفتاء شعبي عن الوحدة.

❖ لا، لا تحلم، فخبراء التزوير يبنون في البلاد العربية..

— قد تضغط الدول الديمقراطية لتحقيق ذلك..

❖ كما فعلت مع الدانمارك حين رفضت الانضمام إلى السوق الأوروبية المشتركة، ثم أعيد الاستفتاء ليتغير الموقف وكذلك كان، ولكن نزولا عند رغبة الدولة بأسلوب ديموقراطي غلّفه الإعلام الكاذب، وسار به إلى الهدف، تكون واهما يا محمد إن أنت صدقت رغبة الغرب في وحدتكم أنتم العرب والمسلمون، فحكامكم في نظرهم مجرد حفنة من الجرذان المذعورة.

— تقول أنتم، وهل لست منا؟ ألم تردد على مسامعي مرارا وتكرارا أنك طنجاوي مغربي عربي؟
❖ نعم أنا مغربي أنا كذلك.

— هل تريد لنا الانفصال فقط من أجل الرفاهية وبحبوحة العيش حتى نكون أحسن مجتمع من حيث ارتفاع دخل الفرد فيه، أم بغية شيء آخر؟.

❖ أم م م م م..

— إن كان من أجل الأولى، فتبا لها، أي إحساس يغشانا ونحن بعيدون عن بعضنا البعض سياسيا؟ أي قيمة لأي شيء يجعل منا أجانب نتزاور لصلة الرحم أو لطلب الرزق أو

لمجرد السياحة بالفيزا، خست القوانين التي تكرس هذا
وتفرق بيننا، تبت يدا الحريص على الانفصال؟
❖ لا تفعل يا محمد، لا تقلق، فنحن نناقش في أحداث
مضت، نحن بصدد أحلام تداعب خيالنا..

— لحسن الحظ يا سالفادور أن أفكاركم هذه لم تسد،
مضى عهد صاحب الجلباب، لحسن الحظ أنكم لم تدعموا
فكرة الجمهورية المغربية بأقاليم
الشمال.



❖ لم يكن مخلصا في ثورته..
— تقصد لم يكن إلا عميلا مأجورا،

أليس كذلك؟



❖ لا، ليس تماما، فانطلاقته لمحاربة
الاستعمار انطلاقة مخلصه، ولكنه حين
غادر إلى بلاد الملك خوفو طوقه



وأطفأ جذوته، ولولا تفاهم الطاغية؛
الولايات المتحدة الأمريكية مع بريطانيا

بشأن النظام المغربي وشخص الملك بالذات، ومنح المغاربة استقلالاً منقوصاً حتى يُتفرغ لجيش التحرير من أجل تصفيته لكان للوضع وجه آخر.

— ماذا تقصد؟

➤ أمريكا كدولة استعمارية قررت طرد الاستعمار القديم لخلافته، ولكن بأسلوب جديد تمحور حول تقرير المصير، وفكرة التحرير، وهاتان الفكرتان تجمّع حولهما المخلص والعميل، وكانت بريطانيا من الدول التي تتقن إدارة مستعمراتها، فتفاهمت مع أمريكا نسيباً، وتصارعتا صراع الإخوة..

— كيف يتفاهمان ويتصارعان بنفس الوقت؟

➤ الصراع والتفاهم في لغة السياسة أمر محسوس وطريقتان لا بد من السير فيهما، ألم يتصارعا في إيران حين نجحت أمريكا في طرد الشاه بانقلاب دبرته ورعته وكان أداته محمد مصدق؟ ألم يتفاهما عن نفس إيران حين اتفقتا على حصص البترول الإيراني، ثم طرد مصدق واستقدم الشاه إلى عرشه؟ ألم تنجح أمريكا عند صراعها بإيران في تهيئة سلاح الجو

الإيراني والسيطرة عليه تماما أيام شاه إيران لدرجة تدمر
الشاه من النزول المتكرر للجنرال الأمريكي قائد الحلف
الأطلسي الأسبق السيد: "هويسر" بمروحيته في القاعدة
الجوية؟ ألم يضغطوا على سلاح الطيران في ألا يتدخل في
شؤون الثورة الخمينية؟ ألم تطرد أمريكا الشاه وترمي به
كجراد ميت كما صرح في مذكراته قبل وفاته؟ ألم تستقدم
الخوميني من فرنسا وتمهد له ولثورته حتى يطرد النفوذ
الإنجليزي المتمثل في شاه إيران؟ ألم تتقن مسرحية احتلال
السفارة الأمريكية بطهران؟ ألم تضخَّ بجنود ذهبوا لتحرير
الرهائن، ثم أبيدوا بشكل مفضوح وهم على مروحية؟..
لقد نجحت أمريكا في طرد النفوذ البريطاني من إيران كما
نجحت في طردها من مصر، لقد نجحت ونجحت ولا يزال
يحالفها النجاح..

— صحيح أن حركات التحرير لم تكن جميعها مخلصية،
لقد اخترق الاستعمار الجديد كثيرا منها ووجهها، فمن جهة
القادة العرب يحتاج الأمر معهم إلى إعادة نظر، فهذا التاريخ
يجب أن يكتب من جديد، لولا المصلحة العليا لفرنسا

وأمرىكا وبرىطانيا فى القضاة على جيش التحرير المرربى الذى بات يشوش على مخططاتهم وىنحرف بها إلى مسارات غير مرخوة وذلك باتصال فرنسا بمحمد الخامس وطرح صفقة سرىة معه تساومه على عودته من منفاه باشرط أن ىمحو كل ما له علاقة بجيش التحرير مع إعطاء المررب استقلالا منقوصا، وقد قبل بذلك جمىع من شاركوا فى مءاءات (ىكس لىبان) هل تعرفهم؟ إنهم الوجه الآخر للعملة الصءئة منهم عبد القادر بن جلون ومحمد الشرقاوى وعبد الهادى بوطالب وعبد الرءىم بوعبىد والمهءى بن بركة والفاطمى بن سلیمان والبكائى وعسو.. لولا ما ذكر لأمكن تجاوز الاستقلال المزىف..

لولا عبد الناصر مثلا لأمكن تحرر العرب، فقد كانوا عقب الحرب العظمى الثانية على وشك التحرر، لولا أمرىكا بواسطة عبد الناصر لتحرروا، صءىح أن مصر رائءة ولم تزل، ولكن فى منع العرب عن التحرر..

بل مصر رائءة فى تحرير العرب، انظر إلى كامب ءىفىء مثلا.

— كامب ديفيد ثمرة كامب ناصر..

❖ بل ثمرة كامب طنجة..

== وما الضير في ذلك؟ فهي طنجاوية قبل أن تكون
مصرية وإسرائيلية، قبل أن تكون أمريكية، فعندنا ويقصر



مرشان تم التمهيد لها، لقد اعتادت
طنجة على لقاء المشاهير والمهمين
كالسفاح موشي...

❖ لا تقل السفاح.

— لا، لا ضير في إضفاء الشرعية على احتلال إسرائيل
لفلسطين وعزل مصر عن أمتها لتنفرد إسرائيل بالدول
الضعيفة والفلسطينيين..

❖ لا توجد فلسطين، بل توجد إسرائيل، وإسرائيل فقط،
وكم هي رائعة..

قطع حديثه محمد يقول له:

"مهلا مهلا"، ثم قاطعه سالفادور يقول له بعدما تذكر صورة
شمسية له في مدينة اللد قال له:

"سأريكمها حين نصل البيت". قاطعه محمد مرة أخرى يطلب منه التمهّل، أسمعه أنهم لم يكتفوا بالأبيض المتوسط في اغتصاب فلسطين، بل استتقطعوا قهرا أجزاء من البحر الأحمر.

✍ البحر الأحمر ملك لنا منذ انفلاقه عن أجدادنا ليعبروه مع موسى..

— عجا من أمرك يا سالفادور، إنك كالحرباء، ولكن لم تقل أنك تحمل جنسية إسرائيلية، أعرف عنك أنك مغربي وإيطالي..

✍ الجنسية كما ذكرت لك سابقا نحصل عليها بسهولة وفي منتهى اليسر، أنا لست إسرائيلية..

— ولكن الانقلاب إلى النقيض تماما يظهر عليك، ولا أحب إلا الرجل الثابت الشجاع..

✍ الانقلاب إلى النقيض جزء من عقلياتنا، وإرث حضاري نتوارثه ونحتفظ به، فنحن شعب الله المختار، ولا ضير في ذلك..

— إذن فأنت صهيوني..

❖ لولا أنك طنجاوي لما صرحت لك، فالصهيونية واليهودية شيء واحد، والتفريق بينهما أسلوب مجرد أسلوب يتضمن خط رجعة إلى اليهودية أو الصهيونية، ولكن بحسب ما نجنيه من الفكرتين، إن الفرق بينهما خرافة، وإذا كان ولا بد من التفريق، فهو كالتفريق بين سالفادور حين ينافق من أجل مصلحته، ثم يعلن بعد التمكين له عن تحديه، ولكنه في الأخير يظل سالفادور جوزيف كوهين هو هو، قد لا يكون هو هو في العلن، ولكن يكون في السر..

— لسنا في فلسطين، نحن في طنجة، فلا داعي ل..

قاطع سالفادور دون تمام كلامه يقول:

❖ نحن في إسرائيل، نحن في أعمدة هرقل، في طنجيس، في طنجة، وطنجة يهودية إسرائيلية، العالم كله من حيث الأهمية في تملكه يعود إلينا نحن اليهود والإسرائيليون، ألا تعرف أن سكان المغرب الأولون هم الأمازيغ، والأمازيغ أبناء إسرائيل إذ ينحدرون من النبي داوود، فمن له الحق في طنجة والمغرب هل نحن الأمازيغ أبناء داوود، أم أنتم العرب الجبال؟..

قاطعہ محمد أيضا وقد انفعّل لكلامه واستفزازہ يقول له:
— كفى، كفى، لم أعهدك مجنونًا، دع التخريف جانبًا،
تحرك، انهض، هيا نغادر..".
أدخل محمد صديقه بيته، ثم غادر.
تركه هناك وخرج.

لم يطل مكوثه بسبب ضعف وجداه ينتظر.
كان هناك دافيد والرانية، كان أخو سالفادور هذا طويل
القامة ممتلئ الجسم أصلع الرأس، كلما تقدم به العمر ازداد
بسطة في الجسم، وسقطة في العلم، بنيته صحيحة، وجسمه
فيلبي، لا يقدم إلى أخيه إلا نادرا، لم تكن روابط الرحم
بينهما متينة، أخوه الوحيد المتبقي له من مغلغات أبويه، لا
يزال يسكن الفيلا بمرشان، بقيت دون اقتسام من الإرث،
يستغلها دافيد رغما عن سالفادور، يجوب طنجة عاطلا،
يتسكع في طرقاتها، لم يتزوج شأنه شأن أخيه، يطلب من
أخيه مُلحًا أن يتنازل له عن الفيلا، يريد أن يكاتبه بشأنها
متنازلا عن حصته منها.

ما إن أغلق محمد الباب ومشى نحو المصعد حتى تنامي إلى سمعه ضجيج وصراخ، مكث مكانه قليلا منتظرا حضور المصعد، وقف دقائق بعدد حروف التحية والصراخ والضجيج يشدّانه إليه، يأتي كل ذلك من بيت سالفادور، يخرج منفلتا عبر فتحات الباب الموصد، مشى نحوه وهمّ بطرقه، ثم تراجع، همّ مرة أخرى بالضغط على زرّ التنبيه، ثم رده الحياء، وحضر المصعد، استحيى أن يقتحم على عائلة لمعرفة ما يدور في الداخل، عدل وعدل، تساءل كيف يكون الوضع على هذا النحو في بيت به مريض؟ مع رجل عاجز لا يستطيع فعل أي شيء تجاه أيّ أذى؟ لا يقدر على رد الكلمة بالكلمة فكيف لو واجه مكروها جسمانيا؟ كيف يكون هذا وهما أخوين وإلى جانبهما الراينة وهي يهودية مثلهما؟

تساءل كثيرا في غير اطمئنان، يهيم ويتراجع إلى أن تصاعد الضجيج وبدأ يشير انتباه ساكنة العمارة، وعندھا طرق الباب طلبا لفتحه، ثم فتح له، دخل مسرعا نحو مكتب سالفادور حيث تعود الجلوس وأحبّ المكان، وجده يبكي وهو متشجج

في وضع مثير، وجده ساقطا على ركبتيه ويداه على الطاولة، إلى جانبه الرجل الضخم، والعملاق السامق، عرف محمد أن الأمر جلل، بينهما شيء من سوء التفاهم والخلاف، اقترب من سالفادور ورفعته حتى استوى، ثم أجلسه، وما كاد سالفادور يطمئن جالسا حتى تعلق به وتمسك بذراعه، بدا خائفا وجلا مستجديا يرتعد ولا يقوى على النطق بحفيدة فقرة، لا يستطيع الحركة بتاتا، سأله مرارا عن المشكل وعن سبب الوضع الذي وجده عليه، لم يكن يقوى على الجواب، ينظر بعين حقودة إلى دافيد والراينة، عرف محمد أن دافيد قد كان قاسيا مع أخيه، رجل شتيم المحيا، كربه الطلعة، لحيم شحيم، ضليع مسيخ ذو مرة، شرع يطمئنه ويحاول إعادة الدفء إلى علاقة الأخوين، سأل الراينة عن المشكل فلم تجب، تنظر إلى سالفادور آمرة ناهية، تلك لغة يفهمها، تنهاه عن الكلام في حضرة محمد.. أوقف محمد صديقه للانتقال به إلى مكان آخر، فرمق الدم على ركبتيه، انحنى مستطعا، فتدخلت الراينة وأخبرته عن كثرة سقوطه حين يحاول الاعتماد على نفسه في الحركة، ولكنه حين نظر إلى

وجهه من الجهة التي لم تكن تقابله رأى أثرا على وجنته اليسرى، رmq علامات فأدرك أنها آثار أصابع، عرف أنه قد تلقى صفعا قويا، أدرك أن الجهة ملطومة بكف خشنة، وعندها سأل سالفادور عما بوجهه من آثار أصابع فانفجر باكيا، التفت محمد إلى دافيد وقال له:
" ما هذا؟".

فلم يجبه، أعاد سؤاله بقوله:

— ماذا فعلت بأخيك وتعلم أنه مريض ضعيف؟

رد عليه:

❏ لا دخل لك في هذا.

أسكن محمد سالفادور على كرسي، ثم اتجه إلى دافيد وهو منفعل من رده، وغاضب على سفالته، وقف أمامه ودافيد جالس، فقال له:

— أيها الفيل الوقح، أيها الجمل الخسيس، كيف تضرب رجلا مسنا مريضا عاجزا؟ ومن يكون؟ أخوك، والله إن بسطت إليه يدك مرة أخرى فسأقطعها لك، سأكسر أسنانك،

وأدق عنقك، أما تستحي أيها الكلب الوضيع، أنعم الله عليك بجسم ضخم تسخره لإيذاء الضعفاء؟

التفت إلى سالفادور وقال له:

"هل تريد أن أطرده من منزلك، وأمنعه من القدوم إليه مرة أخرى؟". انتفض سالفادور كطير مبللة، انطلق لسانه وكأن لم يكن عليه عقاب، فأسمع دافيد:

❖ اخرج من بيتي ولا تعد إليه أبدا، أنا لست منكم، لست يهوديا، اغرب عن وجهي..

أخذ محمد دافيد من ذراعه اليسرى، كانت ذراعا تصلح مجدافا وسط دمه، جبذه منها وقاده إلى الباب ينهره ويصرخ في وجهه، استسلم دافيد مستسيغا الصغار والدونية، يجر المذلة والمهانة، هما شيمتان من شيم أحفاد قتلة الأنبياء كأنهما مغروزان في جيناتهم، فتح له الباب، ثم دفعه برجله إمعانا في إهانتته واحتقاره وأخرجه مطرودا، طرده مسمعا إياه: "إن عدت مرة أخرى ولو مغتتما فرصة غيابي عن منزل أخيك فسأدق عنقك..".

عاد محمد إلى صديقه وقد أبطأ عليه هديره واطمئنانه، عاد إلى الابتسامة، ولكنها كانت ناقصة، لا يزال ينظر إلى الراينة بنظرات مليئة بالشك والاتهام، سأله عن الراينة ودورها في وقاحة دافيد:

— ماذا كانت تفعل؟ هل كانت إيجابية معك؟ قل يا سالفادور، قل ولا تخف فأنا معك وسأحميك، سأحميك حاضرا وغائبا.

أشار سالفادور إلى الراينة وعاب عليها فعلتها معه، عاب عليها مساندة دافيد في شيء ليس من حقها مطلقا، يقول لها:

— كنت تسيبيني وأنت مغتيبة، لماذا؟ ماذا فعلت بحقك؟ بهذا واجهها سالفادور.

عندها نهض محمد من مكانه منتفضا وشرع يعنف الراينة، يصرخ في وجهها، يحذرها من العودة مرة أخرى، يصرخ لها:

— لماذا فعلت ما فعلت؟ كيف تجرؤين على فعلتك السافلة؟ ومع من؟ مع بطرونك وولي نعمتك؟. وتوجه إلى سالفادور:

هل أطردها هي الأخرى، إنها تستحق ذلك..
أشار عليه ألاّ يفعل.

تمايلت هي مهتزة كالمصعوقة وهي مندهشة، ترتعد خوفا
ووجلا من هذا الذي استقدمه أحمد، هذا الصديق المقيت
الذي يحبه سالفادور ويجد فيه الحامي والمعين..

كان دافيد إذا قدم إلى بيت سالفادور يقتحم كالحنزير في
تحذ سافر، اعتاد على الشر حتى بات مصنعا له، يسب أخاه
ويلطمه، يضغط عليه حتى يتردد نفسه، يرفعه من تكته،
وغالبا ما يمزق سرواله، يطوّقه بكفين مستعارين من شيطان
جبان، يمعن ضغطا في جيده، يأخذه من عنقه كما يأخذ
السرطان مقتنياته، وإذا أشفق عليه تركه جالسا وجلس إليه
يقول له:

"لا تعش أكثر مما عشت، مت حتى أرث حصتك من
القبلا، هيّ انهض وارم بنفسك من النافذة إلى شارع باسطور،
ستموت وسأرتك رغما عنك".

هذا ما أفصح عنه سالفادور وهو يروي قصته مع أخيه دافيد،
يحكيها وهو مضيض.

طمأنه محمد وشجعه وبعث فيه الأمل، تعلق بالحياة من جديد، لطالما فكر بجدية في الانتحار، أسر إليه وهو منحني يلامس ثوبه يقول له: "سيموت دافيد وسترته أنت، ستأخذ حصته من الميراث وسترى" ..

ترك محمد سالفادور منتشيا بطعم الانتصار الذي أعاد إليه اعتباره، انخلع الشر رغم تجذره واجتث من بيته اجثاثا، وبات سالفادور مطمئنا على نفسه، ازداد لمخلصه محبة، كبر في عينيه أكثر من ذي قبل، وجد فيه حاميا كفؤا، استنبت حيث يختال الظلم استنباتا، لم يكن يحلم بمصادقة مثل هذه النماذج من طنجاوة، عاد إليه هذوؤه، ومالت عليه سكينته، ارتفعت معنوياته وقد كانت في الحضيض، غاب عنه "البلوكاج" لمدة طويلة، لم تعاوده نوبات الباركنسون المشلة، أضيفت إلى وصفات طبيبه برونو وصفة عجيبة لا تنتجها المختبرات وإن طال استولادها..

هبط إلى السوق البراني فاشترى قطعة جبن معدة بطريقة تقليدية، ابتاعها من بدوية غير مزورة، ثم استقل سيارة الأجرة إلى بيته.

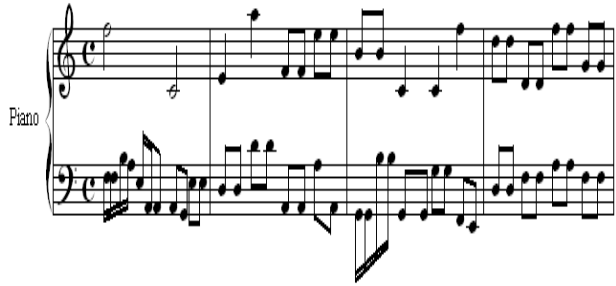


فصل

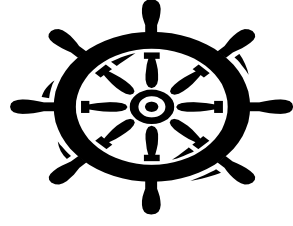
التمر الدفين

قطعة

غيرت السماء لون البحر، بدت حاملا بالمعصرات، استحال الماء إلى لون مستعار من السحاب الثقال، تتساقط على سطح البحر حبيبات المطر متحذقة متكيسة، لا تشذ عن مضمار الرقص واحدة، شكلت لوحة كتلك التي يرسمها الهواء البارد للجلد، تتراقص الغازات داخل فقعات هوائية، ترتطم بالسطح وتغوص منبهة، يعقبها قفز سمك البوري وفراره مذعورا من السمكة الذئب، تطارده حتى تظفر به أو ينجو بجلده، تلك هي الحياة في القاع نادرا ما تتكشف في السطح.. خلفه أشجار سامقة، تتحرك مانلة في بطء لا يغري باللقاح، تنبعث أصوات شكلت لغة من صدى كاننات ولت، استحييت أن تخلف فراغا، تركت نصوصا لا تستوطن الجماجم عند إبداعها، ولا تسكن الأذهان إلا بعد خلقها، كتبت في صفحة السماء..



The image displays three systems of musical notation, each consisting of a treble staff and a bass staff. The first system is in common time (C) and features a melodic line in the treble staff and a more rhythmic, accompanimental line in the bass staff. The second and third systems are in 3/4 time and show a similar structure, with the treble staff containing a melodic phrase and the bass staff providing a harmonic and rhythmic foundation. The notation includes various note values, rests, and dynamic markings, typical of a piano score.



سار المخلّص كما لو كان سيفاً منسلاً من غمده، سيفاً
قاطعاً وسط طريق شائك، ولكنه موصل، بُني من أرقام
وحروف تنبسط قبالة منحدر إلى "نَمَزٍ" دفين لا يدركه
الحاضر، ولا يتطلع إليه المستقبل، رُصَّ الزمن بأشلاء
المظلومين وقد استحال إلى جُمل، سُوي برمل وقد استحال
إلى أرقام، طُلّي بإسفلت من الأحداث المتسلسلة في تناسق
لا ينقطع أبداً. تلك الطريق هي التي سلكها. سار عليها
متوغلاً في المسافات الطويلة ليدرك ما تم إدراكه، ولكن
للمرة الثانية. هكذا سار ليجد نفسه في نهاية الطريق على
مرفئ عند مجمع بحرين لا يزالان منتشيين بلقاء موسى
بالشيخ الخضر.

قبالة أوروبا، عن يمينه شرقه،
يساره غربه، ركن إلى تجويف
صخري نحتته يد الطبيعة



جلس
وعن



فاختبأ فيه ليقبه البلبل، كان ل ط ه ي بغزارة، وكان الهواء
لمحبتة الشديدة للماء ولها يأخذ حمامه، لا يبتئس لكثرة
بخره، تركبه

شادية مرفرفة، ويمتطيه الزمان ماضيا في تودة.
تسلم أزمانا ورفض الخلط بينها، أوقف الإثنين واستقل
الثالث وهو واحد وحيد..

غيرت السماء لون البحر، بدت حاملا بالمعصرات، استحال
الماء إلى لون مستعار من السحاب الثقال، تتساقط على

سطح البحر حبيبات المطر متحذلقة متكيسة، لا تشدّ عن مضمار الرقص واحدة، شكلت لوحة كتلك التي يرسمها الهواء البارد للجلد، تتراقص الغازات داخل فقعات هوائية، ترتطم بالسطح وتغوص منبهة، يعقبها قفز سمك البوري وفراره مذعورا من السمكة الذئب، تطارده حتى تظفر به أو ينجو بجلده، تلك هي الحياة في القاع نادرا ما تتكشف في السطح.. خلفه أشجار سامقة من الصنوبر والعرعر والصفصاف، أدغال يسّجها العُليق بثمار دانية، وتتخللها شجيرات لثمار "بوخانو" المحدث للدوار.. تتحرك مائلة في بطاء لا يغري باللقاح، تبعث أصوات شكلت لغة من صدى كائنات ولّت، استحييت أن تخلّف فراغا، تركت نصوصا لا تستوطن الجماجم عند إبداعها، ولا تسكن الأذهان إلا بعد خلقها، كتبت في صفحة السماء، لا تخطتها العين..

جلس إلى نفسه عند أمواج تتلاطم، ثم تكسر على صخور معمرة ذات سوق غارقة في الصُّهارة، لطالما أشفقت على الأحياء البائسين، ظهر له على امتداد محصور بجبال؛ راع، يرعى



عُيِمَات ومعاز، بدا يطلب شاة و جفلتا، يمسك بعصا يهشّ
بها ويتشّج..

إلى القرب منه نبتت شبيبة من بضعة أفراد كما ينبت البقل،
ظهرت فجأة تطل من "بلكون" صخري نُحت منذ انقراض
الدينصورات، اختارت مشرفة رومانسية ومنتزها رائعاً، قدموا
إلى البحر، إلى الغابة، معهم خمور وحشيش مخدر
ومسروقات..

جلسوا يرتاحون مطمئنين، وبعد فترة وجيزة وخزهم فيها
الجوع وخزا، واستنفضهم الإدمان استنفاضاً، اندفع أحدهم
إلى مكان بقل ترعى فيه نعاج الراعي، رام حملاً فجفلت منه
الشياه وابتدأت تنغو متحفزة، أحدث فيها ما يحدثه الذئب
المباغت، حاصر الحمل، ثم شرع يطارده حتى تمكن منه،
ركد الراعي واندفع غاضباً نحوه وهو يصيح به: "خَلِيهِ،
خَلِيهِ.."

جرى نحوه بصعوبة بالغة، يمنعه الحجر المنبث والصخر
المنفت والعشب البارز، مدّ يده ليخلص حمّله فوكزه بعنف
وبدأ، يسبه ويلعن له دينه، تمسك بحمّله يصيح ويصرخ

ويحتج، صفعه ودفعه برجله فأسقطه، نهض الراعي يحاول مرة أخرى وتهدأ للعراك، عندها نهض اثنان يشهران سكينيهما، ثم أشبعاه صفعا ورفسا. تركاه ملقى على الأرض بيكي ويتألم، كان طفلا لم يداعب الحُلم بعد، أخذوا الحمل، ثم ذبحوه أمام عينيه، دافعت عنه أمه بنفائها فكادت تلقى نفس مصيره..

طفقوا يجمعون الحطب لإشعال النار، ينتشرون في كل مكان عليهم يحظون بأغصان وأعواد وجذاذات من جدوع يابسة، أعياهم البحث بين الصخور وفي جنباتها وقواعدها دون جدوى، لقد بلل المطر كل شيء، صنعوا موقدا مالأوه بالحطب المبلل وشرعوا يوقدونه مستعملين أعواد الثقاب، لا وجود لأوراق أو كاغد، ماذا يفعلون؟ كانت الخمرة على وشك أن تغطي عقولهم، انبرى أحدهم إلى محفظة سرقوها، انتزعت من سائح إنجليزي بثمان مدفوع مسبقا، انخلعت خلعا رهيبا بعدما ضرب صاحبها على صدره بساطور مقلوب، ترك في شاطئ "مقالة" يخرخر ويفرغر ولا يعلم هل أسعف أم لا؟

أخرج منها أوراقا لا تغطية لها من الذهب قد سُكَّت في بلاد

الإرهابيين، ثم شرعوا

يستعملونها وقادا، يرجى

بها تأجيج النار، استندفي



الحطب واشتعل متباطئا يطرد بخر الماء حتى اتقدت النار،

ثم شوي الحمل ونضح، ثم أكل، كم هو لذيذ، هكذا جرت

ألسنتهم تتحدث إليهم وهم يتمطقون، فُدِّمت قطعة منه

للراعي فجَنّ جنونه وانفجر فطفق سباً ولعناً بالحال وليس

باللسان، بدا متوعداً على صغره، قام إليه "الريز" ودفعه يجره

من ذراعه وهو يتمنّع. قاده إلى مخبيئ بقي بعض الفضول.

ساقه بالقوة، ثم اغتصبه. واقعه وطلب من أصدقائه أن يتأسوا

به رغم البرد والصقيع.. ثم..

هل ترثأت بقصة الراعي، أم لم تتأثر؟..

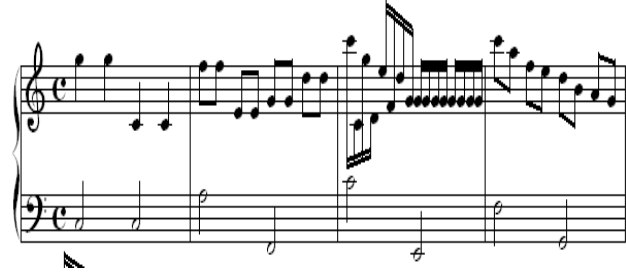
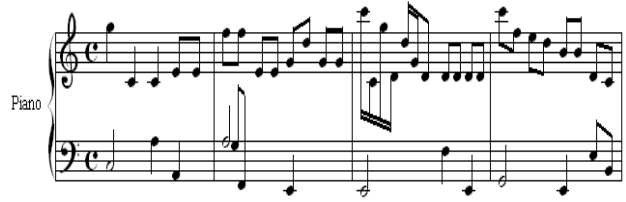


فصل

السمة الناطقة

قصة

مرت دقائق بعدد الكروموسومات في الخلية الواحدة، سارت إلى حتفها طائعة راضية، ثم طوي زمانها، هل زمن جديد يسأل ويستسمح بسواله، يظن أنه معجز، سأل عن نكرة تستطيع إحصاء نجوم درب التبانة من تكون؟ وبتائية لكل نجم؟ ونطق الصخر، نطق الشاهد على زمن الأخطاء مبديا علمه بالنكرة التي ينوب عنها، فقال على لسانها: " أ أ أ .. " لم يكمل، تم إخراسه من داخله..



The image displays three systems of piano music notation, each consisting of a grand staff with a treble and bass clef. The first system features a treble staff with a melodic line and a bass staff with a rhythmic accompaniment. The second system continues the piece with similar notation. The third system shows a more complex texture with rapid sixteenth-note passages in the treble and a steady bass line.



ركب المركب من جديد إمعانا في التوغل بين الحروف
والكلمات حتى أتى على وادي اليهود، واد يحمل اسما من
دون مسمى، كان إلى عهد قريب مرتعا ليهود منغلقيين، يهود
ملكوا طنجة واستباحوها، تمركزوا في أراض سميت باسمهم
رغم طبيعتها الخراجية وحملها لشارة الأوقاف والحبوس..
منحت لهم قصدا في قصد مستقطعة من أموات لم يخلفوا
الموات، كانوا يتوددون إلى الملاك ويغرونهم ببيع أراضيهم
فيلحقونها بها، يطلبون منهم البقاء فيها والإقامة عليها، لا
يرفضون الإبقاء على جميع الأوضاع التي عرفت بها، ما كان
يزرع يظل يزرع، وما كان مشجرا يظل على حاله لا يقطع،
كان الفلاح وصاحب العقار يجد إغراء في عروضهم، دأبوا
على حالهم حتى حين..

أتى موقعا معلماً اتخذ نقطة الانطلاق على موعد مع البحر
وصيد السمك، جلس منتظراً حيث بنيت حومة ربع ساعة
مردداً:

تسكنني على ضعفي، أسيرها أنا. تنفخني كأضحية العيد.
لظاها مسنن. تصفعي. مداها صعيد من ماء، أجلس عليه،
أسير فيه، ولكنه بي يهوي. جسمي مثقوب. قلبي مثقوب،
وعقلي..

حمل قصبته وشصّه وأدوات صيد السمك مصطحباً رقيقته
الوفية "لايُكا" ثم تحرك. انحدر من زمن سقوط "مرمش" في
القدس شهيدا حتى فتنة "أيلول الأسود". سار في طريق لا
تتعامد أبداً، تحمل واطئها في منزلق لا ينتهي إلا من حيث
بدأ الكون، تراصت فيه أحجار ولبنات من حروف وأرقام
نابضة، يخطو فوقها واحدة واحدة وهي مستعجلة، ثم أخيراً
وصل..

لم يكن مع التي يأمن في حضرتها
الأذى، لا الجرذان تتسلل إلى
متاعه، ولا المتربص يستطيع التفلت من مراقبتها، حتى



العناكب والعقارب لا تقرب محمدا لتفانيها في خدمته، استلقى في حر الصيف عند مصطاد نصبت فيه شباك لطير الحسون فأخذته سنة من النوم، ثم فاق منزعا على صوت كلبته، ولما التفت إلى ما تحفل به وقد أغضبها الدخيل وجد عقريا سوداء لم يكن بينها وبين أذنه سوى بضعة سنتمترات. لم يكن مع كلبته فحسب، بل كان معه فتیان من حيه، كانوا بعدد قادة مؤتة، ولعهم بصيد السمك ليلا لا يقاوم، يترافقون في نشدان لعشرة ألفوها، حاصرهم القدر ضمن سن متقاربة، ومساكن متجانسة، يطوفون في فضاء من حيز منبسط ومرتفع، صخره يغري بوطئه والجلوس فوقه، يقع قبالة مدينة طريفة وقد لاحت لناظرهم، استقروا عند صخرة ضخمة ضربت بجذورها في عمق البوغاز، امتدت في القاع ثلاثة آلاف متر، شهدت انكماش بحر "تيشيس" وميلاد المتوسط منذ خمسة وستين مليون عام، تتلاطم عليها الأمواج الغاضبة، وسرعان ما تنقلب أساريها، تتسلط على سطح البحر أنوار ترسلها النجوم البعيدة قبل أن تبتلعها الكُتُس الصائدة، نجوم ضربت في عمق الكون ملايين السنوات

الضوئية، تتحسس الأذن الواعية كما لو كانت متجسسة حوارا يدور بين نجم ونجم، تم إدراكه، لم يكن يعرف أن منها إناث لولا صيغة المؤنث في الخطاب، قال نجم مخاطبا أُنثاه النائبة من غير أن يعمل على الإقتران بها: "هل امتلأت حبا، وافتننت هوى فيمن يقدر الليل والنهار؟" أجابته وهي لا ترجو ما يرجى من الأنثى للذكر: "إذا كان السمو في حبه إعلاء، فهو عندي عشق وآلاء..". رمى في البحر خيطا موصولا بصنارة. رمى بطعمه وانحنى بطينا يجلس على وركيه. تمتد القصبية ممدودة نحو جبال الأندلس. تمسكها يدان حساستان. يعلق فيها خيط يجوب القاع، ينتظر سمكة ضالة تقع في الشرك. يصر على القتل، ويتطلع إلى سمكة تفعل



في سمك البوري
مثلما يفعل الذئب في
الغنم.

إنها هذه السمكة،
إذا علقت في الصنارة

تحرر نفسها بسرعة إلا من قبضة الصياد المحترف، سمكة الذئب عنيدة مشاكسة.

ينتظر من يقدم إلى حتفه، ينظر إلى العمق في الظلمة



الحالكة فلا يجد له أثرا، يبحث عن سمكة في القاع، فيه أضواء لكائنات

بحرية متنقلة وسط الماء، تفرز ألوانا مشيرة تنتشر في كل مكان، لا يرى خدش في بنائها، أو قبح في أجرامها، يلتفت إلى اليمين متسلقا بنظره جبالا خلفه، أعلام فوقها أشجار الصنوبر والعرعر والصفصاف، يأتيه منها عبير ميموزا الزكي مختلطا بعبير الطحالب..

بينما هو في شغل عن سلوك السمك في قاع البحر ظهر في اليابسة جمع من الناس يمشون كالأشباح، يجنهم الليل جنا، يتردد صدى كلامهم، ثم يستقر في الآذان، تحمل كلامهم ذبذبات مستعجمة، دنا منه أحدهم مستطلعا، دار متفحصا

جميع من في المصطاد، كانوا أحد عشر نفرا، اختاروا موضعا قرب مصطادهم، ثم التصقوا به كالقراد حتى حين، وبعد استراحة قصيرة قدم ثلاثة منهم وتخللوا أصدقاء محمد على الصخرة الشاحبة المعمرة، تفحصوهم مستطلعين حقائق لا يتجاوزونها، دققوا النظر في وجوههم ليتشبتوا من انتماءاتهم العائلية، أو لمجرد المعرفة الواقية، تعرفوا على محمد، وعلى جميع من كانوا يرافقونه، كانوا جميعا أبناء منطقة واحدة يبطش فيها قائد المقاطعة ويتجبر، لم يكن ما جرى لافتنا حيث غادروا إلى مواقعهم يشربون النبيذ ويدخنون مخدر "الكيف".

مرت دقائق بعدد الصبغيات في الخلية الواحدة، سارت إلى حتفها طائعة راضية، ثم طوي زمانها، هل زمن جديد يسأل ويستسمح بسؤاله، يظن أنه معجز، سأل عن نكرة تستطيع إحصاء نجوم درب التبانة من تكون؟ وبثانية لكل نجم؟ ونطق الصخر، نطق الشاهد على زمن الأخطاء مبديا علمه بالنكرة التي ينوب عنها، فقال على لسانها:

" أ أ أ .. " لم يكمل، تم إخراسه من داخله..

علقت سمكة بصنارة محمد، علقت بها السمكة الذئب،
كانت قوية شديدة، وبينما شرع ينزع عنها الصنارة حتى
نطقت لا تبهم، وتكلمت لا تعجم، أسمعت في نطقها تقول:
"تريدون معرفة كم وقت يستغرق إحصاء نجوم سكة التبانة"،
فأجابوها: "نعم".

✿ خذوا تاريخ دعوة نابوليون بوناپرت ومطالبته بهجرة
اليهود إلى فلسطين باعتبارها وطنا لهم.

✿ قد أخذنا.

✿ جرحروا الزمن واسحيوه بلطف وأدب، ثم قفوا




مترحمين عند مذبحه
صابرا وشاتبلا.


✿ قد وقفنا.

✿ أضيفوا إليه عدد الحروف التي تتكون منها مدينة
مغربية احتضنت قمة الاعتراف الضمني بدولة يهود
المغتصبة.

قد أضفنا. 

وهل تريدون أن أنطقه لكم؟ 

نعم. 

 طيب سأفعل، ولكن شرط أن تعيدوني إلى الماء.
أعادوها إلى البحر وهم يعجبون لأمرها، أبت أن تقلد حوت
موسى، وما إن سقطت مدفوعة حتى اندفعت تشق مياه
البحر شقا، تدفعها زعانفها، ويوجهها ذيلها.
تركتمهم ينتظرون جوابا وقد غاضها أن يطمعوا في علمها
وثقاتها، غاضها أن يعطّلوا عقولهم، ولا يمتحنوا ذكاءهم..
رمى خيط صيده من جديد وهو يطمع في "حرش" آخر أو
أنثاه "اللُّوبأيرا" تمنى أن تعلق سمكة المراهي أو الحنكليس..
وقف في غفلة عنه من كان يراقبهم، استشعره ونظر إليه
فوجد الشر كالشرر يتطاير من عينيه، قسماات وجهه تجعل
منه مجرما عن جدارة، يتناقل الناس أخباره وتجري وأكثر ما
تكون في جريانها على الألسن المرتعبة، يعرفونه من قُطّاع

الطرق المرؤعين، يمتاز بقسوة وجلافة، قلبه أغلظ من قلبه، وحش كأنه ضيع نتن، لا يملك مشاعر إنسانية أو حيوانية، لا هو من هؤلاء ولا من أولئك، فصيلة البشر والحيوان تتكران له، وتأيان القبول بانتسابه إليهما، بين جنبيه فؤاد من حجر أصم وقطران أشد سوادا، لا يلبث خارج السجن إلا قليلا حتى يعود إليه، سرعان ما يعود كحليمة إلى عاداتها القديمة، يتصدر عصابة من المجرمين السفلة، والإرهابيين القتلة، سلوكهم فظيع، وتصرفهم شنيع، لا يفهمون غير لغة الجلاد، لا يساكنهم قط أو كلب لفظاظتهم، لا يخرسهم قول أو يردعهم رأي، لا يفهمون إلا بالعصا، يستمرنون العنف والقسوة، يتلذذون بالضرب والظعن، يعيشون كأنما في حلم، يعشقون اللطم والرفس والركل.. ما يفعل بهم من طرف رجال الأمن والقوات المساعدة يفعلونه بضحاياهم، تلك هي لغتهم المعهودة، لا ينجو من يقع في قبضتهم، لا يفرقون بين الذكر والأنثى، أو الصغير والكبير، لهم آذان لا تسمع غير دخيلتهم السوداء، وقلوب لا تحن أبدا..

دنا "المُرْجَم" من الصديق "علال" ومدّ يده عليه ممسكا بذراعه، لم يشدد قبضته، رهب علال من المحرم واندفع نحو محمد فرعا، قصده متمائلا يتعثر ثملا، ثم أمسك به وشرع يجرجه من كتفيه، يتمسك علال برجل محمد وقد طوّقها بذراعيه يستغيث ويستجير، تمسك بها كالأعمى في مثال أهل طنجة، يقولون:

"بحال العرْجُ إذا وتّر أو العورُ إذا شُبّر"، أمعن في جره للاختلاء به، يجبذه محاولا رفعه فيفقد لذلك محمد توازنه، يضم الرّجل إلى صدره في استماتة محرّضة وهو يقول:

"الحبيب.. الحبيب.. الحبيب..".

يتوسل إلى محمد صديقه الصدوق، ووحيدِه الوحيد بعد الله في داهيته، يحرك لسانه مستعظفا حرصا على إنقاذه.. دنا منه مُرْجَم آخر وأمسك به مستحيلا إلى رافعة، حاول وحاول دون جدوى، كان كمن يريد قلع دوحه معمرة، كل ذلك ومحمد يقف ساكنا لا يتحرك إلا مرغما عنه حين يحمل عليه حملا، كان إشكالا يصعب حله، فالمستجار رغم صغر سنه مرهوب الجانب، لا تلين له قناة رغم قلة خبرته،

كان مشهدا رهيبا حقا، فاثنا عشر نفرا كلهم "قُولوطيون" يريدون اغتصاب صديقه، يريدون الفحش به في غفلة عن نبي الله لوط، كان في زمانه تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون، وزاد في زمانه وزكي العدد.. امتلأت الصخرة بمن تبقى منهم، اختلط كل شيء، طفق أوباش الحسن الثاني يسيون ويشتمون، يلطمون ويصفعون متحاشين محمدا، انطلق دماغه في الأطوال مفكرا في مخرج من خطبهم، فعلال صديقه الحميم، وللصداقة ثمن، وهو شاب نظيف وسلوكه حسن، ليس له إخوة كبار يحمونه، أو أب مرهوب الجانب في حيه وبين جيرانه، كان زمنا لا يقام فيه وزن إلا للقوة والمال والسلطة، وربما للحيلة وفقه الزمان، به يتم تجنب الظلم، وبه قد يمارس، أضحي علال عالقا برجل محمد كما تعلق في قاع البحر، تكاد لا تنزع إلا بالبر أو القطع.



إرهابهم له، وترويعهم إياه كادت تمور له السماء، وكادت تطمس له النجوم..

انحنى على صديقه وهمس في أذنه:

"قل لهم وَخَّ وَخَّ، أظهر استسلامك"، وثق علال في كلام محمد كما يثق المريض بوصفة طبيبه، استبدل وضعه، وقام منتصبا يتعامد كنبته زرع تشققت عنها الأرض، مال بهامته على أذن القؤلوطي وهمس له:

"وَخَّ.. وَخَّ.. إِيَّه.. مَشِي دابا.. حتى يَخْلا الجو.."

اندهش المرجم لفجائية لم يجلبها، ومرجوة لم يرجها، رفع يده عنه وقد تهللت أساريره، وأطلق العنان لسبع عشرة عضلة في وجهه فقامت راقصة..

سار مهرولا يتبعه قراده، ثم جلس يراقب ضحيته منتظرا ساعة يقضي فيها من علال وطرا، أمعن في شرب النبيذ وتدخين "الكيف"، اتخذ لنفسه صخرتين، واحدة يبغى من ورائها ارتفاعا تشرئب إليه الأعناق، وأخرى يتخذها تكأة له، صار قائدا كعادته من خلال فرض نفسه على شراكه، ثم بدأ يوزع الأدوار ويخصص المواقع..

تقرر عند محمد أن يفني بوعدته لصديقه، اتخذ إجراء الحياة أو

الموت، عزم على فدائه بروحه، بيّت نيّة القتل إذا اضطرّ
إليه، لم يبيّت نية مثلها
قطُّ إلا لمثل
البطل؛
والطفلة
الوردية؛ إيمان



حجّو، قرر أن يمنع الجريمة بأي ثمن، عزم أن يجنب صديقه
رهبة الاغتصاب، وإصرّ الفضيحة مع الأصحاب، وعد ولا بد
أن يفني بوعده.

ظل يفكر في كيفية إدارة المعركة، يرسم للأبطع ضربة في
مقتل لا تترك له فرصة حركة المذبوح، استوعب خطته
واستكمل رسمها، ثم انتقل إلى خطة أخرى ففجر مكانها
في ذهنه وأخرج الحل من مخبئه، ثم دنا من علال يتظاهر
بغرس طعم من لحم السردين المملّح في صنارته، وطالبه أن
يتوسط الصخرة ويجلس مطمئنا، يراقب "السلامة" وقد
دبغ عقلهم، فلا درّ درّهم، اطمئن إلى غفلتهم وشرودهم، ثم
قال لعالل انزل أسفل حيث تلتطم الأمواج، ولكن برفق، أمره
بالسير مسرعا فوق صخور ملساء نبتت لها لحي من

الطحالب، لا تكاد تسمح لواطئ بوطنها حتى ترحلته، تنزلق به كما لو كانت مدهونة بصابون بلدي، يقول له: "انتبه يا علال جيدا، سر منحنيا على هيئة الركوع، ولا تعتلي في الطريق قبل الأوان. لا تخرج إلى الطريق إلا عند وصولك إلى "السور".. سار علال واثقا من نجاته حتى ولو أخفق في تطبيق خطة صديقه الوفي، يعتقد في قدرته على تخليصه من الأوغاد ولو كلفه ما كلفه، وصل إلى السور، ثم اعتلى الطريق وركض كغزال يطارده فهد جائع، يكاد يطير.. فرح لنجاة صديقه، اطمئن رغم انطلاقة المرجم خلفه، توسم أن صديقه ناج لا محالة، وكيف لا ينجو وهو شاب صغير يركض خلفه أعرج؟.. تناول قصبته، وتأبط سيفا قاطعا، وتموقع على حالة حسنة مبيتا نية القتل إن أسى إليه، قدم السلاكيط إلى الصخرة الشاجبة في صمت يشتمون ويلعنون مستعملين أيديهم يبطشون بها، ملوحين بسكاكين يوخزون بها، يخطون بقبضتهم جميع الصيادين ولا يقربون محمدا.

ظلوا على حالهم من فعال البغال حتى رعف له بعضهم، ثم راحوا ووقا الآخرون..



فصل:

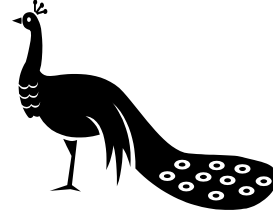
انتفاضة العنب

قطعة:

ركب نمزا ممتدا لا يزال أبدا، لا يستقله إلا لفظ حصته ونيل نصيبه من الحياة، يسير فيه مرغما، لا يقبل التعثر، ولا يسمح برجوع القهقري، تلك وظيفته التي خلق لها، لا يوزع الامتيازات إذ توعزه، ولا يركب الاستحقاقات إذ ليست إليه، يسير وسط كم هائل من فضلات الزمن، يتجاوزها كلما لقيت حتفها، ويسرع نحو حتفه الذي يجهل أجله ويساق إليه سوقا..



The image displays three systems of piano musical notation, each consisting of a treble clef staff and a bass clef staff. The first system features a treble staff with a melodic line of eighth and sixteenth notes and a bass staff with a rhythmic accompaniment of eighth notes and chords. The second system continues the melodic line in the treble staff with some sixteenth-note runs, while the bass staff provides a steady accompaniment. The third system shows the melodic line in the treble staff becoming more sparse with some rests, while the bass staff continues with a complex accompaniment of chords and eighth notes.



صعد إلى الطابق الرابع وطرق بابا رقمها مكونات الرواية
الممدرية، ثم فتح له.

عظمت مقلتها وهي تحدق إلى عينيه، ابتسمت له ابتسامة
ويشت له بشاشة قارون، وقفت ترتعد
خوفا ورهبا، تحاول التكييس وتطلب
منه الدخول وتقول:



"إن سالفادور في مكتبه، لطالما سأل عنك، وكم مرة اهتز
فرحا يظن أن الطارق أنت".

مشى في الصالون نحو مكتب سالفادور لا يبالي بالرأية
فافتقده، كان قد نهض لتوه إلى الحمام..

جلس ينتظره ويستمتع بالقنوات الإسبانية، بين الحين والآخر
يحاور "خدوج" الشغالة غير العرجاء الطيبة..

صاح سالفادور: وي.. سي.. مُخَمّي.. مخمّي.. انفعال معبر
من شدة الفرح وهو في الحمام، ركبت حروفه موجات لم
تبطئ في ملامسة طبلة الأذن والولوح إلى السمع..
ساعة جلوسه إلى التلفزيون أخبرته الراينة بقدمه، رغب أن
يحضر على زعنفة السيف، تأبط ذراعه وسار به حتى أجلسه
إلى مائدة الغذاء..
تارة يلقي بنظره إلى صديقه، وتارة إلى فضاء الغرفة، وأخرى
إلى المتحلقين حول المائدة.
لا يطال أكلا، أو يبغى شرابا، سالفادور لا يفتر عن الكلام،
لا تسعفه الكلمات الفرنسية عن إخراج المعاني المزاحمة من
شدة فرحه..
نهض محمد مستأذنا يريد قناة تلفزيونية في الصالون في
انتظار فراغ سالفادور من غذائه.
كانت "كنال سور" الإسبانية تبث صورا حية في نشرتها
الإخبارية.
تغطي أخبار الانتفاضة.
بثت صورا لقتلى مدرجين في دمائهم.

أظهرت مشهدا رقص له طربا حفيد إبليس المتأمر، أظهرت أحد جنودهم يحمل حجرا وسع قبضته وامتد خارج راحته بخمس إنشات يهشّم به يد طفل، كسر ذراعه، وهشّم عظامه في نشوة عالية، ظل الطفل يصرخ متألما مستجديا حتى سمعت رنة عظامه وهي كالرضاض المنزلق على ورق الألمنيوم، عند هذا المشهد المتابع صاحت الراينة صياحا مريكا، صاحت كما لو وخزت من ضمير يتوجع لعذاب الأطفال وأنى لها ذلك، التفت خلفه يستعلم فاندesh، نهض مسرعا نحو سالفادور يردد:

"ما الأمر؟ ما الأمر؟".

توجه إلى الراينة يخاطبها:

"ما خطب سالفادور، منذ لحظات كان على ما يرام، إنه الآن يختنق، ماذا أطعمته؟".

وقفت مندهشة قد شلّ تفكيرها، أضحت كالضفدع المنزوع المخ، يزيد في إلحاحه لمعرفة ما جرى، يلقي بقوله فلا مجيب، يملأ به الغرفة فلا محتفل، هل كنت تعاني ربوا؟

(يخاطب سالفادور)

هل كانت لديه مشاكل في الجهاز التنفسي؟

(يخاطب الراينة).

ولكنه يحتضر، إيه والله إنه يحتضر، لقد عاينت عشرات المحتضرين، إني أعرف أماراتها، سالفادور يموت، نعم يموت، ولكن ما العمل؟

(يخاطب نفسه).

ظل كذلك مرتبكا فرجح لديه أن صديقه يختنق بشيء ما قد أكله ولم ينزل إلى معدته، علق في حنجرتة وسد عن رئتيه مجرى الهواء.

أدرك أنه عند فراغ الأكياس الهوائية من مد القلب بالأكسيجين ستحل الكارثة، شرع يضرب على قفاه بلطف، ويحرك وجهه في كل الجهات ليسهل عملية نزول العالق في الحلق إلى المعدة، نظرات سالفادور في وجه محمد شفيعة،

لا يزال واعيا، ولا يزال الأكسيجين

يزور مخه عبر دم متدفق، عيناه

تزدادان جحوظا، أشرفتنا متوهجتين

تشعان مثل تلمعان كضوء سيارة



ببطارية رفيعة ودينامو فاعل، تطلق شرارة كالبرق الخارق
بكهربه الصاعق، اصفرّ لونه كثيرا، صار كمن تعطلت وظيفة
نخاع عظمه، يحاكي طرفا من لون كتاب: "التفكير
بالنصوص"، وسرعان ما بدأ يأخذ لونا آخر، دخلته الزرقة
وأشرف على لون الأنفاق، زاد من قوة الضربات على قفاه،
صعد من خبطه بقبضته دون جدوى، وقف على الأريكة
حيث يجلس سالفادور ورفعته من إبطيه حتى استوى، وكان
قد انهار، ثم أدخل سبابته ووسطاه في حلقه، وأمعن في ذلك
إمعانا شديدا لا يمنعه إلا الكف.

يحرك إصبعيه باحثا عن العالق في الحلق، يريد دفعه إلى
المعدة، أدخلهما ككألاب تزعزعت له طواقم أسنان سالفادور
فرمى بها أرضا.

أدار إصبعيه في حلقه فضللنا وسمعت على إثرها غرغرة
سالفادور، سد مجرى هوائه نهائيا، انخلعتا بسرعة واتجهتا
نحو مجرى الطعام تتحسسان كل شئ حتى عثرت على
العالق وأمسكتا به، ثم..

استخرجناه وهو ملطخ بالدم.

جرح سالفادور بسلوك محمد، وعندما انتزع من حلقه ما
علق استلقى على ظهره بعدما أخذ شهيقا طويلا وأغمي
عليه..

كانت حبة
أصرت
منتقمة مما
منذ حين،
بحجم ثمرة المشمش،
على اغتيال سالفادور
بشبه كنال سور الإسبانية
ولكن لم يكن أوانه قد



حان، ولا أجله قد وقف، ولا رزقه قد استوفى، كانت حبة
عنب من أصل فلسطيني ما إن رصدت وهي في الطبق
تهشيم العظام في التلفزيون حتى غدت كالسهم الحتان..
استفاق بعدما عاد إليه وعيه. نادى على مُخلّصه وطلب
الاقتراب منه، ولما لامسه جيده إليه وعانقه يضمه ويشدد
في ضم ذراعيه ويقول: "هذا يوم عيد، إنه ميلاد جديد، لقد
أنقذتني، أنت صديقي وحيبي، وإذا شئت أن تكون إلهي
فلتكن وسأعبدك". فرد عليه: "مهلا، لا تحمّلي ما لا يكون،
فلست إلا عبدا لله، فهو الذي أنقذك حين سلّطني عليك في
الوقت المناسب، ما هذه السخافة؟ ألم نتناقش بشأن خالق

الكون والإنسان والحياة؟ ألم تنفق على وجود إله للكون؟ " فأردف سالفادور: "الله بعيد عني، أما أنت فقُدّامي، ولولاك...".

— الله هو الذي نجّاك لأنه لم يقف بعد أجلك، ولولا ذلك لما نجوت، وسيقدم، وسترى إن كنت ناجيا.

❖ لا، لا أرى أثرا لإلهك، ولا أرى غير إله من لحم ودم يقف أمامي هو أنت، فأنت.. (لم يتركه يكمل)

— اخرس يا سافل، إن كان إلهك يتغوّط ويتبول، فإلهي أنا لا ند له ولا مثال، سأقطعك، ولن تراني بعد اليوم.

❖ لا، لا، ماذا تريد؟ إن كنت تريد أن تكون عبدي رضيت وقبلت، فأنا إلهك ما دمت لم ترض أن تكون إلهي.

— هل بعدما نجوت تتجبر بقولك، وتطغى برأيك، وأنت بالباركينسون تحتاج إلى المساعدة في كل حين؟

❖ هذا ما يغيضني، أكره نفسي وأمقتها كالطاووس في المثال الشعبي الطنجاوي حين ينظر إلى رجله متبرما متقززا.

— الوقت ليس وقت مناقشة هيّ انهض إلى فراشك، ارتح قليلا وسناقش كل هذا بعد حين، سأتركك بعد الحسم في أقوالك، أو أستبقي صداقتي لك، سنرى في حينه، انهض..



شده من
وقاده إلى
سريره
وهو
يتمنّع،
يريد

الخروج، نصحه يفهمه أنه حديث عهد بالخروج من ورطة:
"تحتاج إلى راحة، انظر إلى كلامك فقد دلس كثيرا".
هذا ما يسمعه فلم يتقبله، عند واستمات في عناده مصمما
على مغادرة المنزل..



فصل:

الألق المتمرد

قطعة:

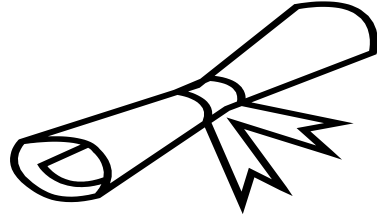
حطا عند مشرفة تربت يد الذي اصطفاها وعلمها، تطلو عن
سطح البحر علوا لا تطل به مدينة "لاباز"، تطل على المتوسط
والمحيط الأطلسي، عند غابة كثيفة يصطف في جنباتها عمالقة
باسقون، يقف شجر الصفصاف والصنوبر في إباء يتحديان به
الرطوبة المالحة، حطوا عند غابة خلعت ثيابها مبرزة مفاتن تيز
بها أجمل الجميلات، حين تنحدر العين في رؤيتها ترى جمالا من
نوع شفاف، ترى سحرا أخاذا لا يقبل الاستمتاع به إلا من مجرب،
ثم انبرى..



The first system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and the lower staff is in bass clef. Both are in common time (C). The music begins with a half rest in the treble and a quarter rest in the bass. The melody in the treble starts on a half note G4, followed by quarter notes A4, B4, and C5. The bass line features a rhythmic accompaniment of eighth notes, starting with a pair of beamed eighth notes (F4, E4) and continuing with a descending eighth-note scale: D4, C4, B3, A3, G3, F3, E3, D3.

The second system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and the lower staff is in bass clef. Both are in common time (C). The treble staff continues the melody from the first system, with a half note G4, followed by quarter notes A4, B4, and C5. The bass line continues the eighth-note accompaniment, with a pair of beamed eighth notes (F4, E4) and a descending eighth-note scale: D4, C4, B3, A3, G3, F3, E3, D3.

The third system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and the lower staff is in bass clef. Both are in common time (C). The treble staff continues the melody from the second system, with a half note G4, followed by quarter notes A4, B4, and C5. The bass line continues the eighth-note accompaniment, with a pair of beamed eighth notes (F4, E4) and a descending eighth-note scale: D4, C4, B3, A3, G3, F3, E3, D3.



حمله في سيارته إلى منتزه الرميّلات.
حطا عند مشرفة تربت يد الذي اصطفاهما وعلمها، تعلقو عن
سطح البحر علوا لا تطل به مدينة "لاباز"، تطل على
المتوسط والمحيط الأطلسي.
نزلا في غابة كثيفة يصطفّ في جنباتها عمالقة باسقون، يقف
شجر العرعر والصنوبر والصفصاف وميموزا في إباء يتحديان
به الرطوبة المالحة، تستجير بهم جنات معروشات وغير
معروشات فيجيرونها.
هبطا بسلام خطبة لحسنّ جمالي في غابة خلعت ثيابها مبرزة
مفاتيح تبرز بها أجمل الجميلات، حين تنحدر العين في رؤيتها
ترى جمالا من نوع شفاف، ترى سحرا أخاذا لا يقبل
الاستمتاع به إلا من مجرّب، ثم انبرى...

ظهر ولم يكن طيفا، برز ولم يكن
وهما، بزغ ك  ولمع كالشهاب، ثم
صاح: " أنا التاريخ.. أنا التاريخ...".

سمعه سالفادور والتفت إلى محمد يسأله: "هل سمعت مثلما
سمعت؟"

— نعم، لقد حضر في ذهني وانبتق من الماضي فهل أسأله؟
تفضل.

— تريد تذكيري بشيء أليس كذلك؟

التاريخ : نبي الله موسى كان في يوم من الأيام هنا.

محمد : وماذا في ذلك؟

التاريخ : أخشى أن يطالب اليهود يارث مزعوم ما
دامت قدم موس مقدسة.

سالفادور : أجل، موسى مقدس كله، وهو نبينا،
ولكن لم أستغ قصة وجوده بمنتزه الرميلا في يوم من
الأيام.

التاريخ : قبيلة "أكلا Agla كانت تجمع ربوع
"الترشا" و"الطوري" و"البنار" حتى "رأس سبارطل" ولا تزال

المنطقة تسمى "أكلا" إلى الآن، وبها كان الجدار الذي أقامه الرجل الصالح، واحتج عليه موسى.

سالفادور : هل تعني قصة الغلامين اليتيمين الذين كانا في مدينة طنجة يكبران، ثم عادا إلى قبيلتهما حين كبرا، ثم حفرا في أطلال بيت أبويهما ليجدا الكنز المحفوظ لهما؟ التاريخ : نعم.

سالفادور : إذن فطنجة كلها مدينة يهودية. محمد : قل على الأقل بلاد يهودية، فالناس فيها مسلمون ونصارى، كما أن هناك يهود بالإضافة إلى من لا دين له، دعك من سخافاتك، فعدا تقول أن مدينة "خيبر" مدينة يهودية.

سالفادور : نعم خيبر وطنجة يهوديتان.

محمد : أه أه أه

سالفادور : سنستردها إن عاجلا أو آجلا.

محمد : سل التاريخ أولا عن قصة موسى في مدينة طنجة وثبت منها، ثم ابن بعد ذلك حكمك .

سالفادور : ها أنذا أسأل معك، ولكن من يجب؟

التاريخ : مجمع البحرين هو أعمدة هرقل كما ذهب إليه بعض المؤرخين.

محمد : ولكن هناك من يعتبر خليج عدن هو المجمع بين المحيط الهندي والبحر الأحمر.

التاريخ : موسى لم يركب البحر إلى المحيط الهندي، بل ركب السفينة التي خرقها والتي خاضت به البحر المتوسط إلى البحر المتوسط ورست به في ميناء طنجة، وطنجة القديمة ليست هي طنجة الحالية إذ عرفت موانئ قديمة كميناء المنجرة حيث كانت تنجر الأخشاب لبناء السفن التي تعبر المضيق، وكانت حيث القصر الصغير الآن، وكذلك ميناء سبتة.. كانت طنجة عريضة طويلة، كانت اليابسة القارة السمراء، ثم سار بعدما نجى سفينة المساكين بخرقها وإيعابها حتى لا يطمع فيها ملك يمارس القرصنة في المتوسط، سار في البر من مجمع البحرين بمدينة طنجة إلى جهة الغرب حيث تطل قرية اليتيمين على بحر الظلمات.

سالفادور: فعلا موسى قدم إلى طنجة لتصير يهودية، فطنجة كما قلت يهودية.

محمد : ما دليلك على ما تقول؟ وكيف تكون المدينة

يهودية لمجرد زيارة يهودي إليها؟

التاريخ : ليتهنا تجيب.

محمد : من؟

التاريخ : شمسكم.

سالفادور : لتخبرنا كشاهدة عيان، أليس كذلك؟

التاريخ : نعم، ولكن عن انغلاق البحر المتوسط،

ثم انفتاحه.

سالفادور : كيف فتح البحر المتوسط؟ وكيف انغلق؟

التاريخ : تتسبب حركة الكتل القارية في تغيير معالم

الكرة الأرضية، وهاهي ذي قارة إفريقيا تتحرك لتغلق بوابة

جبل طارق مرة أخرى، تسعى إلى حبس بحر كامل، وفي

حبسه جفافه، ثم موته، فقد كان صحراء لعدة مرات، وهو

بحر يعيش عالية على المحيط الأطلسي، ولولا إمداده بالماء

من طرف المحيط لجف منذ زمن، فجفافه لا يحتاج إلا إلى

ألف سنة فقط إذا سدت عنه بوابة البوغاز، كما أن بخره

أكثر بكثير مما يعوّضه من الأنهار والأمطار..

محمد : هل نطمئن المهاجرين السريين، ونطلب منهم

الصبر وانتظار جفاف المتوسط حتى يعبروه برا؟

سالفادور : خير لك أن تطالبهم بالانتحار.

محمد : دعنا من هلوستك، فدخل مياه البحر الأحمر

عبر قناة السويس ستمده بأسباب الحياة حين تنسد عنه بوابة

البوغاز، اطمئن، لن يموت مرة أخرى، لن يصير صحراء، هيا

نعد، فالليل يوشك أن يلبسنا.

سالفادور : كم بقي على إطلاله؟

محمد : دقائق بعدد سنوات الإسكندر المقدوني.

وهما ينعطفان مرا على "موشي" بشارع موسى بن نصير

فافتقدها لسفره الطارئ إلى جبل طارق، لم يعرف محمد إلا

اسم صديق سالفادور، فسأله: "من يكون موشي هذا؟".

❖ موشي صديقي المقيت.

— لماذا تكرهه؟

❖ لإكراهي على التعاون مع الموساد وتحريضه علي بسبب

امتناعي عن دفع المساعدات للخيرية اليهودية، ثم..

أمممم..

— ماذا؟

❖ لا، لاشيء.

— بل هناك شيء.

❖ موشي رجل بارع في صيد الزبناء، له من المرفهين من الشخصيات العمومية كثير، ليس فيهم واحد إلا وهو متغطرس متكبر لا يتواضع إلا موسميا، نساؤهم وبناتهم أفضل صيدا وأسهل قنصا، فقيه بارع في كشف الغيب والتنبؤ به، سل المجربات إن لم تصدق.

— كيف يكشف الغيب؟ هذا دجل فصديقك دجال ولا ريب.

❖ يجلس إليه شاب مفتول العضلات يسخره بين الزبناء. يأتيه جنّيه من صحراء سيناء، يحمل إليه عظمة من القفص الصدري لرفات قارون، واثنين من عظام السامري. يحكّ العظم طلبا للمسحوق، يضع شيئا منه على ألسن زبنائه، ثم يشير على الخادم بأن يواقع الرجل في حضرته حتى يحصل المقصود.

يفعل ذلك فحله بكل الرجال، مستخدم عنده يسترزق بعضوه، يعزل زبناه تجنباً للحرَج.

العالمون السامون من كل البلدان يترددون على بيته، يستترهم موشي خوفاً من نفورهم ونفور نساءهم، حتى المثلثيون ممن يسخرون من كشف الغيب صاروا مداومين على الحضور لفحله. له على ذلك طقوس من تمتات وتخريجات، يتبعها بأبخرة فوّاحة، ولكنها مخدّرة. يشير عليه جنّيه بتعريض النساء لمثل ما يتعرض له الرجال، ولكن معه ومع بني قومه حصريا أملا في حمل مستهدف لإنتاج يهود بآباء حقيقيين وحاضنة من آباء مزوّرين، دائما هو في عجلة من أمره رغم برودته الجنسية وشذوذه، يسرع قبل أن تنبت وسائل منع الحمل..



نزلا
من
الجبل
الكبير
بسيارتهما.
انحدرا
من

حيث كان ينحدر سلاطين المغرب وملوكه.
جامع المقراع ذراع قوية تدفع المحيط فتحول بينه وبين
إغراق طنجة العالية.

الجبل الكبير منحدر محمد الخامس والحسن الثاني، لا
يزال المنحدر الجميل منزلقا
للشباب يحدث ذبذبات ترسلها
أشجار معمرة شاهدة لا تزال
تقف منتظرة من يمرّ، وستظل



تشهد إلى أجل معلوم في الغيب، تتواصل عبر وسيط يغيب
فيها ويشرق على "السكوبا"، تريد منها الإمداد لتشهد من
دون أن تشاهد، ليس فيها شجرة واحدة تبلغ من العمر أربعة
آلاف سنة بطول ثمانين مترا ووزن ألفي طن، لا يقع المقدّر
في "كاليفورنيا" طنجة، بل في كاليفورنيا العمّين الساديّين..
مرا على وادي اليهود بمحاذاة جامع بُني فوق زباله نظيفة، لم
تكن ترضى بفضلات تُصنع من عرق الناس وحقوقهم، تُنبت
صبارا شائكا تصنع منه أحزمة خاصة لسراق المدينة ومخرّبي
مراقفها العامة.

أنبتت مسجدا بأموال شرقية وهابية، انطلقت منه مظاهرة
حرّكها الكبار فأرهبوا الصغار، قبض البوليس فيها على
أطفال وأدعوهم السجن.

تم التعرف عليهم بفضل مصوّر لحاس للأحذية، خنزير خناس،
رموه كصرصور ميت، كانوا أحداثا عانقتهم حيطان سجن
"عازاريطو" بملاباطا..

صعدا عقبة "الكومير"، وحين كانا حيث يقف حمار الشيخ
الخرع المفاصل أشار محمد بيده منبها سالفادور إلى جهة
بدت أطلالا وقال له: "هذه البناية المهجورة كانت إلى عهد
قريب في السبعينات فرنا، وبه سميت العقبة عندنا رغم عدم
اعتراف المجلس البلدي بتسميتها لها، ولي مع هذا الفرن
قصة طريفة"، فقال له سالفادور: "اروها لي".

— بمعية أخ لم تلده لي أمي، أخ ترقص في لسانه
الكلمات إذا نطق، ويسم الثغر لإخلاصه إذا تحدث،
توشك العبارات أن تهتك ستار الفؤاد فتمزّقه. يتدافع الصفاء
والنقاء في ركب يتقدمه الحب والحب المعلم، بشوش إذا
أقبل، رحيم إذا أدبر، صحبته إلى المدينة وصحبي. دعانا

جوع "البَيْصَرَ" وعادة المتلوفين فاستجبنا. وفي دردبتنا إلى الكوخ زمن تشكيل حركة الرب لاغتيال القادة الفلسطينيين، وعند فرن "عقبة الكومير" انتظرت خارجا وأنا شاردا بقلب غافل لاه قد بهرني سحر الجبل الكبير تحت نور السراج، سحت ببصري أجمع به الألق، فزاحمته بصيرتي لترى فيه الخالق، كم دبير رأيته وما عرفته، وكم قَبيل أراه ولا أعرفه، كثرة التأمل في الخلق تحيي النفوس كما يحيي النبات الودق، لم أعد أستعجل "كوميرا" طرية ساخنة، نسيتهها وهي التي نتسابق من أجل ازديادها من رأسيتها للذتها، ظللت ببصر وبصيرة مرسلين في الجبل الكبير. ينحني الصنوبر فيه إجلالا لـ"لَلَّا يَنُو" ويدعو لها، امرأة حبست "سيدي عمار" لمقبرة يدفن فيها المسلمون، قد كان أرضا مشجرة وجنة من أعناب ونخيل، من إجاص وتين، من تفاح ورمان وطلح وليمون ولوز وزيتون.. حبست معها عينا سُمِّيت باسمها، لا تزال عين "لَلَّا يَنُو" فَوَّارة بماء عذب إلى يومنا هذا وكأنها زمزم..



كانت ليلة بدرية رائعة، زقت فيها أشجار الصنوبر إلى عرساتها وسط رنين ترّ، ترّ، ترّ.. دلفت مناخا رويت فيه بخمر خير من خمرنا، أسمعت شعرا وأنا مكره، ولكنه كان جميلا عذبا، وفي لحظة معمّرة زمنا يستغرقه نور القمر حتى يصل أرضنا؛ سهوت، غفلت فيها وما كان لي إلا أن أغفل، أحسست بشيء ناعم عند الإلية اليمنى، نعومته لا تستوحشها الوجنتان ولا الشفتان، سرى كالجرح في الكرامة، تخفّف كما يتخفف الشفران عند الإطباق للبرق، تبهت مسرعا وحضرتني البديهة فقبضت بيدي على المتسلل مكان الإحساس.

شددت بكفي شدّة قوية رفعت بها سروالي كما لو كنت أسعى إلى خلع قطعة منه بتمزيقها. رفعت بها ملابسني الداخلية محررا منطقة إيتي من ملامسة الثوب والدخيل. شرعت أتحمس بسباتي وإبهامي كامشا بالخنصر والبنصر والوسطى على الجاني، ضاغطا براحتي، لم أترك له فرصة واحدة للنجاة حين حط على إيتي خشية الأذى، لم أتحمس حركة منه غير الأولى، أضغط بعض الشيء

فأتحسس كما لو كان بين يدي شيء يتربص، ملكني
الخوف وركبتي الدهشة. وحين اطمأنت لسكونه نزعت
حزامي، وفتحت أزرار سروالي وشرعت أخلعه وسط الطريق
العام.

نزلت به نحو الأسفل وأنا ممسك بمدان لا أعرفه، قابض
على مجرم لا أستبينه، أجر معي ملابسي الداخلية، وأتعري
من عورتني ولا بديل..



مكثت ثواني بعدد أرجل الخنفساء و

حائرا لا أملك تفسيراً لما أصابني، أو

فهما لما غاضني، ثم خرج صديقي

الشريف يحمل خبزا يستساغ حافيا للذته.. اندهش وارتيك
حين رأني على حالتي تلك فصاح بي: "ما بك؟ ما بك؟". لم
تفعل هذا؟ ماذا دهاك؟"، ثم اندفع يضحك بفراغ لضواحه،
وتسؤس في رباعياته، ويقول لي: "هل صرت.. هاهاها؟ هل
أنت شاذ؟ أمثلي أنت؟..". لم أجه، كنت منشغلا عنه، ثم
أردف: "هل صرت قُولوطيا؟" لم أجه لانشغالي، ولكن هذه
المرّة بتهيئة جواب عزّ علي طويلا، ظللت أفكر، ثم حضرتني

البديهة فقلت للتو: "كائن حي، كائن حي، لقد عثرت على شيء تحت سروالي توقعت منه الأذى ولا زلت".

اقترب مني وظل يساعدني في البحث عن الجاني، والقبض عليه متلبسا، أنزلت سروالي إلى الركبتين مستعملا كفي



اليسرى في رفع الثوب عنه شيئا فشيئا،

سيطر علي الحذر والخوف من المفاجأة

حتى تبين، ثم صحت بصديقي: "رأف،

رأف، إنه رأف صغير جدا".

فرد علي: "بل هو طفل الرثفان، غفل عنه الأبوان فضل بيت

الشاعر الموله به ابن إبراهيم".

كانت أمسية رائعة يا سالفادور أليس كذلك؟ ألقى قوله بعدما

استلقي على أريكة ويده قنينة مشروب غازي فرد عليه:

"ليست رائعة فحسب، بل غاية في المتعة والروعة".

وأردف: "أريدك الليلة للسمر معي، لا تقل شيئا، يمكنك

الذهاب لإخبار أهلك، ثم عد إلي بسرعة، أرجوك..



فصل:

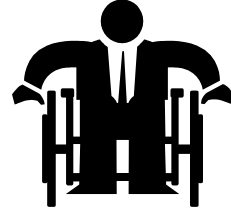
قتل الفلسطيني شرف

قطعة:

- وهل كان ممكنا قيام إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة؟ لم تقم إلا على قواتنا العسكرية كما قال بن جوريون، ويشرفني أنني كنت ممن مهدوا لذلك.
- إذن أفهم أنك بطل، وقد تكون من الهاجانا.
- كنت من عصابة "إرجون وستيرن" علا شأني وشرف قدري، ثم نزل حين لم أقتل منتي فلسطيني، إذ شاركني في قتلهم غيري من الشجعان.



The image displays three systems of piano sheet music, each consisting of a grand staff with a treble and bass clef. The first system shows a melodic line in the treble clef and a bass line in the bass clef. The second and third systems feature a more complex texture with rapid sixteenth-note passages in the treble clef and a steady bass line. The notation includes various note values, rests, and dynamic markings.



لم يبطئ في ذهابه وإيابه.
دخل على سالفادور زهاء العاشرة ليلاً.
كانت ليلة قرار 2379 من طرف هيئة الأمم المتحدة.
وجده جالسا مع رافائيل ومسعود والراينة.
كانوا يتحدثون الإسبانية، وحين تتحدث الراينة تمزج بين
الإسبانية والبرتغالية.
ينسجمون تماما حين يتكلمون "الشليخية".
جلس إليهم بعدما حيّاهم.
كانوا يحترمونه ويكبرونه ما عدا الراينة.
أحاديثهم مبتذلة تافهة، نقلهم منها إلى حديث آخر. استمال
رافائيل ليتحدث عن مغامراته العسكرية. ضابط متقاعد في
الجيش الأمريكي شهد حرب فيتنام العاشمة، يتدخل مسعود

ويتحدث بسلاسة معبرة، يلبس طربوشا إنجليزية تشتهر به
طنجة في فصل الشتاء.

رجل محدودب الظهر، ذابل العمر يتحرك بصعوبة.

يشتغل دهانا في بيت سالفادور، يحمل وجهها يميل إلى
الحمرة قليلا، طنجاوي كما حسبه محمد، مسلم كما اعتقد،
ولولا دفاعه عن الراينة من غير وجه حق عند خلاف مع
محمد لما عرف حقيقته، غضب عليه لعدم نصرته إياه،
ففاجأه بقوله: "أنا يهودي، لست مسلما".

اندهش من وقع الخبر.

التفت إلى رافائيل وكان شادا انتباه سالفادور والراينة فأصغى
إليه.

ابتدأ قصته حتى أنهاها.

كان متحرجا بعض الشيء، يخشى أن يفصح عن أشياء
مخافة إثارة المسلم، يعرف نصرته للمظلوم حيثما ظلم
وكيفما ضيم، يحس من فطرته مخالفتها ولذلك يخشى أن
يطلع عليه الناس، ولكن محمدا شجعه بسؤاله، سأله عن
تعامل الجيش الأمريكي مع الأسرى الفيتناميين. فرد عليه:

"غالباً ما لم يكن لدينا أسرى، كنا نقتلهم ولا نحتفظ إلا بمن
رجح لدينا استغلاله دليلاً..". أوقفه ليسأله ثانية:
"هل كانت متعة؟ هل كنت تنتشي بقتل أعدائك الفيتناميين؟"



كنت إذا انتهيت من قتل الرجال، والتلذذُ نشوان بقتل



أفزع إلى الخمر وأضع يدي في حميمات امرأة.

هل كان الفيتناميون يقاتلون بنسائهم؟

النساء الفيتناميات كنَّ في جميع المواقع.

كنّ في البيوت والحقول التي نجوسها.
كنّ في الصفوف الأولى للمقاتلين الرجال، وعند اعتقالهن
نستمع بهن جنسيا، ثم نقتلن.

— تقتلون من يحمل السلاح منهن، أم تقتلون الجميع؟

🔗 القتل في الحرب طريقة حياة، وفي السلم أيضا، لم أكن
أستمع إلا بالجنس، كان غيري من الجنود يمثلون بالقتلى،
يشوهون صورهم، ويقطعون أعضاءهم التناسلية.

— لماذا تحديدا في الأعضاء التناسلية؟

🔗 كانوا مطايا لنا حين نفتقد للنساء. كانوا يرفضون
احتلال مكانتهم من طرف النساء الأسيرات، يمتلئون غيظا
حتى للنساء الأمريكيات فكيف بالفيتناميات؟ كانوا شاذين
جنسيا يعشقون القيام بدور المرأة الجنسي. كنا متزوجين بهم
بعقود الحرية المحمية بالديموقراطية. كانوا متنفسا لنا عند
الحاجة.

— إذن أنتم قتلة.

🔗 ماذا تقول؟

— ما قد سمعت، فعلا أنتم قتلة.

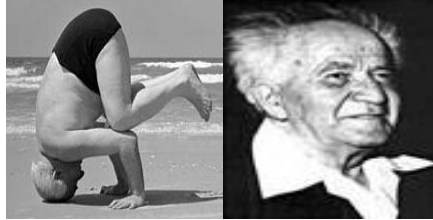
أجل قتلة، بل أكثر من قتلة، إنها الحقيقة، وصلت بكم
الخنسة إلى تقليد الصليبيين في حرق المسلمين بغرناطة



ذنبهم الوحيد
أنهم اغتسلوا
وختنوا أبناءهم،
تحرقون
المدنيين من
الفيتناميين أحياء

تبا لكم، يا لفضاعة جرمكم، ولكن قل لي: هل أنتم في
حرب في فلسطين؟

وهل كان ممكنا قيام إسرائيل بقرار من الأمم المتحدة؟



لم تقم إلا
على بنادقنا،
قامت على
قواتنا

العسكرية كما قال صاحب هاتين الصورتين، ويشرفني أنني كنت ممن مهدوا لذلك.

— إذن أفهم أنك بطل، وقد تكون من الهاجانا.

🌀 كنت من عصابة "إرجون وستيرن" علا شأنني وشرف قدري، ثم نزل حين لم أقتل مئتي فلسطيني، إذ شاركني في قتلهم غيري من الشجعان.

— لعلك سفاح دير ياسين تلك القرية الحاملة التي تقع



غرب القدس.

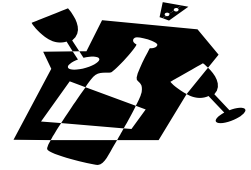
انتفض رافائيل مجرد سماع كلمة السفاح، تفوّه بها محمد

فرجت كيانه،

خبط بقبضته

على الطاولة

فأهرق



والويسكي والقهوة والماء، انقلبت الكؤوس وتبعثرت مرمضة وألقت ما فيها من عقائب السجائر وتهشمت.

نظر محمد إلى سالفادور فوجد في وجهه الاستغراب، ولكنه لا يخلو من إعجاب وانتشاء، ربما بالانتصار، حملق في عينيه فإذا بهما تزدادان جحوظا، تلمع فيهما الزرقة وتلقي بالشرر كما لو كان هناك منفاخ يوجج نارا، تطايرت من عينيه شهب لا تحرق إلا الجبناء ذوي القلوب الخشبية، تحول عنه إلى الراينة فإذا على وجهها يافطة مكتوب فيها:

"لو كنت قادرة على قتلك يا محمد لفعلت".

تحول عنها إلى مسعود وكان بجانبه، فإذا برأسه يضحى أرضية يرقص عليها شياطين دونيون، مرعوبون قد تشخصوا له يتحدونه ويحتقرونه، ثم ضغط بقوة لم يستشعرها غير رافائيل وقال له: "إنك سخيف وحقير، أعلم أنك لو قدرت على تصفيتي جسديا لما أبطأت، ولكن لم قلة أدبك هذه؟ احذر أن تعود إليها معي مرة أخرى، أنت سفاح فعلا، وقد شهد لسانك على فظائعك في الفيتنام وفلسطين..".

نهض محمد غضبا حنقا، مشى في عرض الصالون يقول
مسمعا سالفادور:

"سأعود إليك بعد نصف ساعة، انتظرنى..".

بعدها صدف عنهم تسكع في شارع باستور حتى استقر في
حانة "بيلو" Pelo بشارع فاس، جلس إلى مائدة بالرصيف
يحتسي قهوة فوق كرسي وحيدا، إلى جانبه رواد، كان
المخمرون في الداخل.. خلا الشارع من المارة إلا قليلا.

تجوبه شبيبة الليل، أناس متخصصون ينامون النهار وينشطون
في الليل، حيوانات آدمية تصطفق لأتفه الأسباب، منهم من
يفعل ذلك للمتعة، ومنهم من يصيد صيده فيه، يوضع الشرك
في المنعرجات والمداخل والأماكن المظلمة.

لطالما سلب الناس وهم يمشون في شوارع المدينة، لم يكن
هناك مجال للتمييز بين شخص وآخر، لطالما سلبوا الروائي
المشاغب محمد شكري عندما يكون راجلا إلى بيته بشارع
البحري، لم يكن يمانع في تسليمهم ما يملك، كان يخشى
إيذائهم له بالضرب أو الطعن فيترجاهم أن يطمئنا لغنيمتهم،
يسبونهم ويشهرون السلاح الأبيض في وجهه فيسرع في

تجريد نفسه من النقود فيمنحها لهم، ومن حسن حظه أنهم ربما لا يجردونه لشهرته بين رواد الحانات، بل لتقديرهم له، يسلبه نفس الشبان الذين يجلسون في مقهى "الشريف"، يعرفونه جيدا، وكيف لا وهو يخرج ثملا بمحاذاة مقهاهم التي يقيمون فيها، منهم من لا يشاركهم ابتزازه بالليل، ولكنه يسبه نهارا جهارا إذا مر على الرصيف بمحاذاته، يصل أذاه إلى سمعه فلا يملك شكري إلا رفع رأسه استنكارا دون أن يردّ، لم يكن محمد يرضى من أحد أصدقائه فعلته تلك، وكم مرة غضب لدونية التصرف من صديقه عبد الحميد وهما جالسين يحتسيان القهوة في المقهى المحاذي لحانة خوانا دي أركو Juana De Arco القريبة جدا من مطعم "إلدورادو Restorante El Dorado" الوكر الآخر لصاحب الخبز الحافي، فكل من يعيش الليل لا يهاب المفاجآت..

بينما كان يدير في ذهنه ما دار في بيت سالفادور إذ بشاب في الثلاثينيات من عمره يقبل على الخمارة، أقبل يمالأ الدنيا صياحا وضجيجا، سبًا وشتما، يسب مجانا، يشتم قاصدا، ينفعل لمن يحضرون ذهنه ولا نعرفهم نحن، ما إن لامس

الكراسي والطاولات المنصوبة للزبائن حتى بدأ يرمي بها،
يركلها برجليه بألم لا يحسه، يدفع بها بجسمه ولا يبالي،
يأخذ بعضها ويرفعه، ثم يقذف بها إلى الشارع فتقع على
قارعة الطريق..

نهض كل الجلوس يدبرون لمحمد، راحوا لا يلوون على
شيء، حتى النادل لم يحظ بـ"بيوروار" منهم وقد عودوه
عليه، غادروا مذهولين يطاردهم ثمن مشروباتهم من غير أن
يتبينوه..

بقي يحتسي قهوته في هدوء، لم يتحرك من مكانه إنشا
واحدا، تحركت في رأسه عيناه تتبعان حركة العريذ الغاضب،
ينظر إلى وجهه ويخترق عينيه بنظرات عدوانية.

قضى وقتا ربما كان ممتعا يبعثر الكراسي ويلقي بالطاولات،
ومحمد عند ركن لم تصبه شظية كأس، أو قاعدة كرسي، أو
رجل طاولة.

كان العريذ يتقصد في عمد متعمد ألا يصيب محمدا، ثم
راح، أشفى غليله وحقق رغبته ووجد نفسه..

أكمل قهوته وهو ينظر إلى النادل يعيد ترتيب ما بعثره العريذ
وأتلغه، ثم منحه مستحقه وغادر..

فصل

داتشا وماتشا

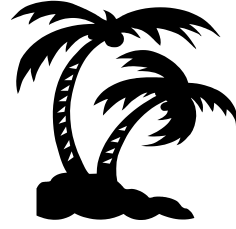
قصة

- إنك تعاند، فالاستعانة لا بد منها، لأن من طبيعة الإنسان العجز والاحتياج، ألسنت محتاجا لخدمة الطبيب والمهندس؟ ولو كنتهما، ألا تحتاج إلى خدمة المزارع والفلاح، دعك من المكابرة؟
- لا، لا.
- ماذا لو كنت "داتشا" أو "ماتشا"؟
- أقتل نفسي.
- ولكنك تقتل داتشا إن كنت ماتشا، أو تقتل ماتشا إن كنت داتشا.
- دعنا من كل هذا، هل نرقص؟ هل نستمع إلى أغنية؟

Piano

The first system of the musical score consists of two staves, a treble clef on top and a bass clef on the bottom. The time signature is common time (C). The music is written in a single system with four measures. The treble staff features a melodic line with eighth and sixteenth notes, including some beamed sixteenth notes. The bass staff provides a rhythmic accompaniment with eighth and sixteenth notes, often in pairs.

The second system of the musical score also consists of two staves, a treble clef on top and a bass clef on the bottom. The time signature is common time (C). The music is written in a single system with four measures. The treble staff continues the melodic line from the first system, featuring a sequence of eighth notes followed by a sixteenth-note triplet. The bass staff continues the accompaniment, with some measures showing beamed eighth notes.



دخل على سالفادور وقد انفضَّ عنه جلساؤه.

رحب به من جديد وفرح بمقدمه.

جلس إليه يسامره، طرق مواضيع استهدفها، يريد أن يجعل منه أخوا له، يريد أن يجعل منه شيئاً مميزاً، فسأله:

"سبق أن تلفظت بالسوء لماذا؟"

❖ كلا، ما ينبغي أن أسئ إليك وأنت الذي أنقذت حياتي،

لا، لا، قد أسئ إلى الجميع ما عدا أنت.

انزعج لكلامه دون أن يفهمه، يحرص على إرضائه بأي

ثمن..

— أرايت كيف تتناولني، تحترمني، تحرص على قربي

وصداقتي كما تقول، ولكنك حين تتناول ربك ورب العالمين

لا ترفعه إلى مقامه، وهو في غنى عن رفعك له، لأنه الأعلى

العالي المتعال؟

❖ آه، لم أسئ إليك، أرايت؟

— وهل مقامي عندك فوق مقام القهار؟

❖ قلت لك سابقاً انظر إلى ما فعل بي.

— أهذه حجتك؟

❖ نعم، لماذا أنا بالباركنسون؟

لماذا أنا محتاج إليك لتساعدني على المشي والتوازن؟
— الله تعالى لا يحاسب الناس على القضاء الذي قضاه لأنه
قد قضى الأمر في عاهاتهم وألوانهم وطولهم وعرضهم
وأماكن ازديادهم وأماكن وفاتهم..
فما كان قابلا لتفاديه ومقاومته والتخلص منه لا مانع منه
كمريضك، ولكن الطب إلى الآن لم يتوصل إلى العلاج
الناجع، وسيصل، شأنك شأن العديد من المرضى الذين لا
شفاء لهم، ولكن مؤقتا بسبب غياب التوصل إلى الدواء،
والدواء موجود قطعا يحتاج إلى استكشاف، ولكن لون
عينيك مثلا لا دخل لك فيه، وحتى لو استطاع الإنسان
تحديد لون العينين في الجنين، فإن الجنين حين يولد يكون
لا دخل له في ذلك، فقد قضى عليه فيه، فهو قضاء مقضي.
انظر إلى من هم دونك. انظر إلى المكفوفين والمقعدين
وذوي الصمم، انظر إلى الأصحاء.
انظر إلى الملوك والرؤساء.
انظر إلى الحياة، فلا يمكن أن يستغني أحد عن أحد، لا بد
من خدمات غيرنا، فحاجتك إلي مسألة طبيعية، فلماذا تنكر

لها؟ الاحتياج متأصل في الكون، في الطبيعة، في الإنسان،
في الحياة، وفي كل شيء؟

❖ من فعل بي هذا؟ أليس هذا ظلما؟

— مرض الباركنسون أو الشلل الرعاش سببه موت خلايا
المخ التي تفرز مادة الدوبامين المسؤولة عن نقل الاشارات
العصبية من المخ إلى باقى أجزاء الجسم حتى تقوم عضلات
الجسم بحركتها الطبيعية، وهذا إن خلا منك ربما تصاب
بغيره ويكون ظلما، بل حتى الشيخوخة وأنت شيخ؛ ظلم،
ربما يكون هذا منطوق.

❖ أريد أن أركض، أريد أن أستغني عن الجميع .

— لا تزال تركض، ألا تذكر "الغندوري" و"المريسات" و"بلا
هاريز" و"الرميلات" ..

ألم نركض معا؟

❖ أريد أن أركض دائما.

— إنك تعاند، احذر نفسك في جحودها، فالاستعانة لا بد

منها، لأن من طبيعة الإنسان العجز والاحتياج.

ألست محتاجا لخدمة الطبيب والمهندس؟

ولو كنتهما، ألا تحتاج إلى خدمة المزارع والفلاح؟
دعك من المكابرة، فالاستغناء صفة لا يحملها الإنسان في
ذاته ولا الكون ولا الطبيعة؟
❖ لا، لا.

— ماذا لو كنت "داتشا" أو "ماتشا"؟

❖ أقتل نفسي.

— ولكنك تقتل داتشا إن كنت ماتشا، أو تقتل ماتشا إن
كنت داتشا.

❖ دعنا من كل هذا، هل نرقص؟ هل نستمع إلى أغنية؟

— إن كنت حريصا على الرقص معي فسأرقص معك.

❖ هيّا، عجل.

— مهلا.

❖ لا، لا، الآن، انهض.

أفعل، ولكن بعد عودتي بزم من قدره من الثواني عدد قتلى



قانا الأولى، وقانا الثانية
تمنحها لي، تنصت إلي
فيها حتى نتم المناقشة
التي بدأها، هل تذكرها؟



هل تذكرها؟

أذكرها، تريد بحث القرآن، أليس

كذلك؟ فهو كالسورة عندنا.

أوترضيني بهذه المقارنة؟

أنسيت كثرة تحاملك عليه؟ أم تنكر؟

طيب.

— الله تعالى واحدٌ لا ثاني له، قد أعلن خلقه للكون والإنسان والحياة ولم نسمع أحداً ينازعه خلقه لهم ويدعي شراكة معه.

وهو أحدٌ، ذاته ليست أجزاء حتى يكون كلياً، وليست كلية حتى تكون من أجزاء كما اتفقنا.
فهو خالق العالمين، ثبت هذا عقلاً أليس كذلك؟
﴿ نعم. ﴾

— القرآن كتاب منقول بالتواتر عن محمد بن عبد الله، أليس كذلك؟

﴿ أجل، فهذا يقين، فهو منسوب إليه وحده لا يختلف عليه اثنان.

— إذن قد يكون كلامه أو من تأليفه.

﴿ ربما. ﴾

— ليكن، ولكن ألا ترى أن المؤلف عبقرى، وأن العبقرى لا يستطيع إخفاء أسلوبه مهما بالغ في الحرص، ومحمد بأسلوبين مختلفين تماماً؟

﴿ اشرح لي وفهمني. ﴾

— حسنا، القرآن كلام وهو أسلوب، والسنة كلام وهي أسلوب، وعند النظر إلى الأسلوبين يتبين أن بينهما فرق معجز.

وفي الدراسات الاستشراقية برز الكثيرون أمثال أناتول فرانس وكليمان هور يعتبرون القرآن كلام محمد تقردن لهما البعثيون، وبعض الأزهريين كطاحين صاحب مصطفى صادق الرافعي.

❖ نعم.

— محمد لم يتكلم بالقرآن إلا بعد أربعين سنة من عمره، فهل كان يؤلفه؟ والقرآن تحدى نفس محمد، فهل كان يصدد البحث عن المصادقية؟

❖ ربما.

— من الطبيعي أن ينسب المرء إليه ما يرتفع به ويسمو، لا أن ينكره، وإذا أنكره في فترة الضعف يعود إلى رده إلى شخصه في فترة القوة، وإذا خاف على التلون يصدق بأي ثمن لأن الكذب دسّاس، وقد عرف محمد بالصدق من طفولته إلى وفاته، ولكن هناك من الأسرار البيولوجية

والجيولوجية والفلكية وغيرها مما لم يكن معروفا في حينه ولا بعدُ بقرون عديدة حتى غزو الفضاء واكتشاف التلسكوب والمكروسكوب..

❖ هذا محير فعلا.

— ربما يكون من تأليف أحد من العرب.

❖ ولكن لم يزعم أحد ذلك رغم ما نسب إلى الغلام النصراني؛ جبر، وهي نسبة لا تستحق الالتفات.

— إذن تعلم يا سالفادور، وعليه فإن التحدي يشمل العرب والعجم، وإلى الآن لم يستطع أحد أن يأتي بآية مثله، لا أقول بالتحدي العلمي، فهذا ثابت يقينا، ولكن بالتحدي البلاغي والأسلوبي، فهو وجه الإعجاز فيه.

وما دام القرآن ليس من تأليف محمد لأنه ليس من كلامه، ولا يمكن أن يكون كلامه، وليس من تأليف العرب لأن من العرب محمد، وهو أولى من غيره، فلا يبقى إلا القول بأنه كلام الله تعالى، ولا يأتي بكلام الله إلا الأنبياء والرسل، فيكون محمد نبيا رسولا قطعاً ويقينا.

❖ ولكنني لا أفهم اللغة العربية حتى يمكنني تحديده.

— هناك من المستشرقين من هم في الذروة، ولكنهم لم يفعلوا، ولن يفعلوا، هناك في السوربون بفرنسا من يشرف على الدكتوراة في اللغة العربية من غير العرب ومن اليهود تحديدا، فما قولك؟

— ومع ذلك..

— أكمل.

— أم أم أم ..

— ماذا تريد قوله؟

— قد أوافقك على الأمور العلمية..

— الأمور العلمية ليست معجزة فيه، لأنها ثابتة، أي قد كانت موجودة، ولكن لم يكن يعرفها أحد، ذكرها القرآن العظيم تصديقا لمحمد وطمأنة لقلبه، كما أنها تعلن عن ألوهية القرآن، وليس بشريته رغم أن اللغات ومنها العربية وضعية، فالبشرية لم تكن على صلة بالاكتشافات العلمية كما هي عندنا اليوم، فالتحدي في القرآن الكريم عن أن يأتي الناس بمثله، وهو أسلوب عربي، وكلام عربي عقلا لا يجوز، لا يمكن أن يكون هذا معجز عقلا ما دامت اللغة وضعية،

وبما أنه معجز واقعا وحقيقة فيكون ذلك من الله الذي حبس الناس ومنعهم فيما يقدرون على ما لا يقدرون.

❖ هي معجزة كما توحى، ولكن لم لا يكون ذلك سحرا؟

— وهل دخل الساحر رحما ودقق فيه ولاحظ مجريات الأمور للمنطقة؟

❖ ماذا تريد قوله؟

— من يحدد جنس الجنين مثلا؟ وكيف تجري الأمور في رحم المرأة؟

❖ لا أدري.

— لم يعرف سابقا أن مني الرجل يحتوي على الذكورة والأنوثة، عرف هذا في القرن العشرين، ولكن ذكره القرآن الكريم قبل أربعة عشر قرنا من الزمن، فهل كان محمد باحثا بيولوجيا؟

وهل كانت لديه مجاهر ومختبرات مثلما لدينا؟

❖ لا، لم يكن كل ذلك متوفرا يقينا.

— تحدث القرآن عن هذا فقال:

"..ألم يكن نطفة من مني إذا يمني ثم كان علقة فخلق فسوى فجعل منه (من المنى) الزوجين الذكر والأنثى".

❖ هل هذا صحيح؟

— أجل، وقال أيضا:

"وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى من نطفة إذا تمنى".

❖ وهذا كذلك؟

— أجل.

❖ ولكن ماذا تقول في الشاعرة العربية القديمة حين

أنشدت:

ما لأبي الذلقاء لا يأتينا
وهو في البيت الذي يلينا
يغضب إن لم نلد البنين
وإنما نعطي الذي أعطينا.

— رأيت كيف أن المرأة العربية قديما تعبر عن حقيقة

علمية تحسها ولا تعلمها؟ رأيت كيف يمكن أن تخلق

التأويلات المغرضة وتتناسل؟ ألم يظهر التذمر على الرجل

والمرأة على حد سواء وهما يئدان ابنتهما من غير ذنب
اقترفته؟ ألم يك ذلك تعبيراً عن حقيقة محسوسة فطريا لم
يهتديا إليها؟

❖ ومع ذلك..

— ليست هذه أو غيرها هي وجوه الإعجاز في القرآن، بل
وجه الإعجاز فيه اللحظة وإلى أبد الأبد في بيانه وبلاغته
وأسلوبه، فبهذا يتحدى وسيظل يتحدى، فهل من مبارز؟
❖ أستطيع الإقرار بأن القرآن كلام الله، ولكن بإشاراته
العلمية وليس ببيانه وبلاغته وأسلوبه..

— العلم في القرآن شيء كان منذ كان، والإنسان هو الذي
كان يجهله، فنظرية بيك بانك مثلا، تعتبر كتلة الكون في
لحظة الانفجار في الماضي السحيق أقل ملايين المرات من
نواة الذرة، وحرارتها ملايين المرات أعلى من حرارة قلب
الشمس، وحرارة قلب الشمس عشرون مليون درجة مئوية.
❖ كيف ذلك؟

— لعلماء الفيزياء ظن فيما حدث في جزء من الثانية
الواحدة من عمر الكون، وهي ليست لحظة الانفجار نفسها،

بل وقعت في الأجزاء العشرة الأخيرة من الثانية الأولى من عمر الكون أحداث مهمة، وأهم منها في الأجزاء العشرة قبلها، وهكذا حتى البداية، فهل تتصور معي ذلك؟

❖ لا، لا أستطيع.

— بل تستطيع.

❖ كيف؟

— هل تتصور حجم الكون المتمدّد حبة بازلاء؟

❖ هذه الشساعة، وهذه الأجرام العملاقة وهذا العدد

الهائل منها كان في يوم من الأيام بحجم حبة "الجلبانة"؟

— يظن العلماء ذلك بعد انقضاء واحد بالمائة من الثانية

على بداية الانفجار، ثم صار الكون بحجم شمسنا.

❖ بحجم شمسنا؟

— بل بحجم البازلاء وهو الأغرب.

❖ هذا محير.

— ولم تتكون الجسيمات المعروفة مثل النيوترونات

والإلكترونات والفوتونات وغيرها إلا بعد مرور ثلاثمائة ألف

سنة، حينذاك تكونت المادة التي نعرف، وتبعها تكوّن قوى

الجاذبية، تلك القوى العجيبة التي طفقت تجمع أجزاء المادة.

❖ ولكنني لم أستطع تصور الرجوع في الضالة، فإلى أي حد؟

— انظر إلى الأرقام المستعملة، فالرجوع إلى الخلف للإنتقاص مدرك في رقم واحد من عشرة، ووزن غرام مدرك في الإنتقاص من كيلوغرام، ومسافة عشر سنتيمترات مدركة في الإنتقاص من متر وهكذا.

❖ نعم.

— فإذا كانت الذرة بكتلتها المعروفة وهي غاية في الضالة لا ترى بالعين المجردة، فكيف يكون الحال إذا عرّضناها للإنتقاص من أجل الحصول على جزء من عشرة من الثانية؟

❖ أمر فوق الخيال.

— ولكنه مدرك عقلا.

❖ كيف؟

— فالإنتقاص بلايين المرات عن نواة الذرة لا ينتهي إلا عند حقيقة واحدة، أتدري ما هي؟

❖ ماهي؟

— إنها العدم.

❖ كيف تقول بالعدم؟

— أجل، العدم، فإنقاص زائد إنقاص لا يساوي إلا إنقاص،

فأين المحدودية؟

❖ ربما لا تكون.

— إذن لكانت هي الخالق، فالخالق الحقيقي عقلا يجب

أن لا يكون محدودا وألا يشبه مخلوقاته.

❖ ربما لا تكون.

— إذن نظل نبحث عن وهم، ونتعلق بسراب، لن ننتهي

والواقع والعقل يؤكدان حتمية غياب الاستغناء في الكون

والطبيعة والإنسان.

❖ أمممممم.

— المحدودية كائنة هي العدم.

وهذا العدم هو الخلق الحقيقي وبه يحصل الإقرار حقا

وصدقا على الخالق الحقيقي.

فما في الكون والطبيعة من خلق إلا وهو من شئ غيره قد سبقه وهو مادته الخام، بل هب أن بويضة مريم التي تتهمونها بالزنى وبويضة ذكر النحل غير الملقحتين اعتبرتا خلقا للشئ، خلقا لذكر النحل ولعيسى من نفس الشئ فإن ذلك يظل محصورا في شئ لم يأت هو من عدم، فكان مسبوقا، انزل في الضالة لمعرفة حقيقة نشوء الكون فلن ينتهي بك النزول إلا إلى العدم، وإيجاد الشئ من لا شئ فعل الخالق فقط؛ وهو الله تعالى، وهو الخلق الحقيقي.

❖ العدم يا محمد ليس محدودية، قد يكون مادة غير معروفة عندنا هي التي انفجرت.

— إذن فليست هي عدما.

❖ إنها العدم.

— وهل ينفجر العدم؟

هل يتفجر اللاشئ؟

❖ هممممم.

— كفاك همهمة، افتح قلبك على قدير ما هو مفتوح عقلك.

❖!

— لتري.

❖ وماذا تريد مني أن أرى؟

— نفسك في فطرتها، نفسك في محدوديتها، في عجزها واحتياجها.

❖ العجز. الاحتياج. النقص. الخضوع. كلها صفات يخضع لها الكون والإنسان والحياة والطبيعة.

— الجزء إلى الجزء من الكل، والكل إلى الكل من الجزء.

❖ كيف؟

— الكل يتركب من أجزاء، والأجزاء تكوّن الكل، وهل الجزء ليس محتاجا إلى الكل ليجعل منه كلاً؟ وهل الكل ليس محتاجا إلى الجزء ليجعل منه جزءاً؟

❖ همممممم.

— العلم يقول ببداية الكون، والمبتدئ أمره محير في الانفجار.

❖ طيب، لماذا حصل الانفجار إذن في تلك اللحظة بالذات؟ لماذا لم يحصل الانفجار قبل ذلك أو بعد ذلك؟.

— هذا هو مفتاح السر.

❖ لعل خصائص تلك المادة هي التي فرضت عليه الانفجار في اللحظة المذكورة.

— إذن كان أولى لهذا الشيء، ولهذه المادة أن تأخذ لنفسها ما يلزمها من الوقت لحصول الانفجار قبل ذلك.
❖ كيف؟

— هذا يدل على أن الشيء الذي صدر عنه الكون ليس أزليا بسبب أنه لم يأخذ الوقت الذي يلزمه لحصول الانفجار، والوقت زمن، والزمن نفسه مخلوق وهو يتبع المخلوقات لأنه لها، بل حتى الثقب الأسود الذي لا زمان في وسطه كما يصرح علماء لا يخرج عن زمن وجود الثقب مبدأ، وانتهائه في الآجل آخرا.

❖ تريد إثبات.....

— أكمل، لماذا تتردد؟ هل في هذا خجل؟

❖ لا أدري.

— إن الانفجار في اللحظة المذكورة بالذات إرادة لا يملكها الكون.

وإذا كان الكون قد أخذ لنفسه الوقت الكافي فهذا أيضا يدل على نقص في شيء يراد تمامه، ووضع يراد استكماله كذلك، وهذا وذاك يفضي إلى نتيجة واحدة هي وجود ما قبل الكون، ولن يكون إلا الخالق الذي تتناول عليه وأنت أحقر من ذبابة.

❖ أممممم.

— ليس هذا فحسب، فالموج في البحر اللجّي الذي يغشاه موج من فوقه موج...

❖ كيف البحر اللجّي يغشاه موج؟

— أما سمعت بوجود موج تحت موج؟ يوجد هذا في المحيطات. والبرزخ الملاحظ بالأقمار الصناعية في البحار، أما سمعت به أو قرأت عنه؟ والماء العذب في الماء الأجاج، وغير ذلك من الأمور التي تحدث عنها القرآن لم يكن يعرفها أحد، كل ذلك من قبيل كشف مجهول هو معلوم منذ كان من طرف الخالق جلت قدرته، لم يمنعه عن البشر، وها قد بدأوا يدركون كثيرا من الأمور التي جهلها الأقدمون.

❖ هذه واردة في القرآن حقا؟

— أجل، وكونها وردت في القرآن فإن ذلك طمأنة لقلب النبي محمد عليه الصلاة والسلام، ونوع من كشف الآيات الباهرات التي لم تنته، ولن تنتهي، ثم هل تعلم أن قطعة من عظمك بحجم علبه كبريت قوة احتمالها تسعة أطنان؟ هل اهتدت البشرية إلى استغلال هذه القوة الرهيبة لهذا الجسم المعجزة؟..

﴿ قلت لك بهذا نعم، وأما بغيره فلا.﴾

— لا بأس، هل يمكن أن أعتبرك مسلماً؟ هل تسمعي الشهادتين؟ هيّ أسمعني قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. اضطرب سالفادور فتمعّر وجهه واستعار دماغ نجمة البحر، ثم صاح:

أطفئوا الظلام، بسرعة، أريد أن أنام. ركني همي وركبته، وحين كان دوري رمانى، انطلقت مقدوفا كالرصاصة، لا زلت أحترقكم، فاحذروا، احذوا، انظروا إلى ثقبكم، ينزف منه الريح، إنها نتنة، أجل نتنة، خلايا الأنوف حساسة، ولكنها مستسلمة، دقيقتان وتعودون، ساعتان وتعودون، سنتان وتعودون، عقداً وتعودون، قرنان وتعودون، أطفئوا

الشمس، غيَّبوا القمر، اطمسوا النجوم، فلا ضوء إلا الظلام،
ولا نور إلا الجون، ابتدأت السماء تطوى، قناديل
الهيدروجين تتكسر، مصابيح الهليوم تنطفئ، ويبقى النور.
ازداد اضطرابا وجرى الدم في أوداجه حتى انتفخت، اهتز
على كرسية كأنما استفاق على حلم مزعج، أو نفر من وخز
مؤلم، نهض مستقيما كأنما قرصته قارصة، تنبه إلى وضعه،
وإلى الجالس أمامه فلمعت عيناه كالصقر الأشهب،
وتجاوزت حدّاتها نظره، كان في حديث أخاذ كأنه سحر،
أحاط به، لملم وعيه واعتقل إدراكه، اختزل محبته المعلنة
في كلمات تقنع العقل وتوافق الفطرة وتملأ القلب
بالطمأنينة، تباطأ في إعلان الشهاداتين فألح عليه محمد وكان
حريصا على مودته، تردد وتردد، ثم أصر ألا يفعل.. نقرت
جمجمة محمد، نقرها ناقر، استعار لسانه وتوجه إلى
سالفادور يقول له: لو فتّح لك باب في السماء وظلّت فيه
تعرج لقلت إنما سُكّر بصري، إنما أنا مسحور، عندها عدل
عن إلحاحه ونفّس عنه، شجّعه ألا يفعل إذا لم يكن مقتنعا

تماما أملا في العودة إلى مناقشة الموضوع مرة ثانية وربما
ثالثة ورابعة...

بهذه الكلمات أخرجته من ورطته وأنقذه من حرجه فانبرى
يؤكد رغبته في العودة إلى الموضوع مجاملة، جاب بعينه
المكان وكان عندها يجوب منطقة الأفكار، يبحث عن منفذ
إلى الخروج من الجدلية، تشوشت لديه الأفكار والمفاهيم،
فطفق يشير بيديه في ارتباك ظاهر تلعثم له فمه، وتأتأ له
لسانه، طلب منه أن يحدثه عن شيء ما، يقص عليه قصة
مثلا، يروي له حكاية، يمتعه بطرفة.. استجاب له أملا أن
يرضيه حرصا على إقناعه أكثر، يمر في ذهنه مثال أهل
طنجة عن أصعب الصعوبات، يشبهون تجاوزها بمثل إيمان
اليهودي بالإسلام، فربما يصير مسلما، ربما يصير أخاه، ولم
لا؟ ثم ..

— كنا أربعة، قدر علينا أن نكون أربعة، في كوخ الأدب
ننتشي بالسائل المثلاف، نجلس في قفص بني أدوات بنائه
شجر الأرز والصفصاف، شارك في حبه معدن القصدير،
في حيز من ألواح خشبية تصطف أفقيا، وزنك يقف عموديا،



نتقدم في الزمن وتناحر، يسير
بنا كوكبنا وتسير به الشمس،
نجتار الأطوال في كوخ مظلم..
يسع الكوخ مخدة و فراشا

وطاولة، في زاوية منه مكتبة تتصدرها مجلدات لرأس المال
وأصل الأنواع والقاموس السياسي وأساس البلاغة.. يحيط به
غلاف من البلاستيك المرقط باللون الأحمر، يحيط بنصف

جداريته كارطون ناعم، في ركنه
الشمالي قفص معلق لطائر
"الموقنين"، طير ما أجملها مغردة
مزهوة مدمنة على استنشاق



الحشيش والسجاير.. ازدانت جدرانها بصور معلقة هنا
وهناك، تظهر فيها وجوه لكتاب كبار، فلاسفة لا يزال العالم
يتمثل فلسفتهم ويقلب نتاجهم، مجرد أن تنظر قائما أو
قاعدا تستوقفك، في كل الجهات صورهم، عند مدخل
الكوخ يقف أحدهم في الواجهة، يظهر كـ بلحيته المشبوهة،
وشعره الكثيف، يتدلى شعر رأسه ناعما ولكن من خلايا ميتة،

يحملق في كل داخل ويدعو عليه بالياب، يراقب كل خارج
ويدعو عليه بالخراب..

إلى يساره يكون السير، وعن يمينه يكون الرجع، فيلسوف
بجارحة من الحروف والأرقام لا يمتطيها كمركب إلا مبتدئ،
على وجهه ابتسامة باردة لا تحرك العضلات..

كنا أربعة في كوخ الأدب، وقدر علينا أن نكون أربعة.

كنا أربعة فشرينا حتى جفت أجوافنا وكادت تحترق، ثم
استجبنا لنداء "البَيْصَر"، نصطفي من أكلتنا اللذيذة تلك
التي تصنع من الفول وحده ولا تخلط بالبزلاء.. اخترقنا
شوارع مدينتنا الباكية، نصطدم بسياح "هيبير"، قدموا في
غفلة من حراس المضيق، جاءونا بحضارة نقية، طفقوا
ينشرون أذواقا رفيعة، يتأسلب لها الطعام والشراب واللباس
والجماع.. في جمهورتهم يعشقون القيام بدور المرأة
الجنسي، يتخذون من المرافق العمومية مصايد لهم، يعمدون
إلى الإغراء لاستدراج ضحاياهم، يصطادونهم من وسط غاب
عنه حراسه، أعينهم على ذوي العضلات المقتولة، وأصحاب
الفتوة والفحولة، يجرونهم إلى الفنادق والمخيمات، أبرعهم

وأسرعهم قضاء شمعون، لا يجد غضاضة في المراحيض العمومية، يلزم مرحاضا قرب سينما ألكساز وكبيطول، يضطرون وقوفا إذا خيف على الحرمان وفوات النشوة، تلك عادات حضارية في العهد الدولي.. مكثنا قليلا في حانة "شايپا" ثم في حانة "القرنفل"، نقبل على التدخين والسكر في خلاعة تمظهرية، نفتخر ونسمو ونعتز بمن يفوقونا فحشا وخلاعة، كذلك هي العادات الحضارية، يكبر في أعيننا ويسمو كل سكير "كيافي" و"حشايشي"، خصال مررت كالسلع المهرية، وقُدِّمت لنا على طبق من معدن عهر وافد، ولكنه حضاري، قلدناهم في كل شيء، حتى الانسلاخ من الملة والعقيدة أعلنناه، فعلنا ما فعلنا للتمظهر، ولو رأيناهم يصعدون الحيطان بإلياتهم لفعلنا، تلك موضة حدائبة تقدمية، وأذواق ديموقراطية حضارية، شربناها في صنابير المياه، تسللت مفاهيم إلى عقولنا لتطرد التي كانت، ولكنها لم تكن، لا علم لنا بأيهما يطرد الآخر، هل النقد الرخيص، أم النقد الثمين؟ كان فراغا فراغا وهلاّ زال؟ لاجواب، ليس لنا حماة وقد يكون، وإذا كان رفضنا أقوالهم، نرفض لمجرد

الرفض، لأنه منا وإلينا، ونقبل لمجرد القبول لأنه ليس منا، ولكنه إلينا، لا نزن أو نقيس إلا بمقاييسهم، نبت لنا أذيال في مؤخراتنا، ولكنها مختلفة عن أذيالهن، أيرلنديات وإنجليزيات جميلات فانتات راجلات في شوارع غرناطة يحركن أذيالهن، صنعت لهن صنعا من المطاط الملون، تشير وتشير وتمعن في الإثارة حتى تنحني العين لرؤية الذيل وقد طاب له المقام فوق سواة منفوخة وفخزين سافرين، أذيالهن من مطاط يتخذنها في أعياد السنة وفي المناسبات المفرحة، وأذيالنا موزيلها إمعي تبعي. نتخذ حكما يقضي بيننا وهو دخيل، تسلل عبر جسور من النهود والفروج والألوان البراقة الخداعة، مرق كما يمرق الضوء عبر الشقوق والثقوب، تصل قلوبنا من أفواههم أفكار ومفاهيم سرعان ما تتحول إلى مقاييس، تستغرق وقتا كالذي يستغرقه نور القمر ليصل إلى الأرض، تصلنا أفكارهم كما يصلنا ضوء النجوم، إطار منسوج من خلايا تتصل بوجهة النظر الوافدة، ولكنها حضارية، ولا يمكن إلا أن تكون حضارية، هذا ما قالوه لنا، وهالاً يزالون؟ ربما.. كنا في مركب نتحرك فيه بوجود سر الحياة فينا، ثم

صرنا إلى مركب نحيا فيه كما نحيا، ولكن حياة الشعر والأظافر.. انتشر فينا السفليس والزهري والسيلان.. السيدا موجودة ولكنها لم تنصيدنا، لم يختارونا لحقننا بفيروسيها، اختاروا الأفارقة السود، لم تجد طريقها إلى عتاة القُولوطيين، قضوا في الشذوذ الجنسي أربعين سنة وخمسين سنة ولا يزالون، لم يصابوا بها لأنها نادرة جدا ما تكون بسبب الشذوذ، حصتها منه ثلاثة في المائة فقط، لم تجد طريقها إليهم وحسنا فعلت، استحييت أن تغالطهم، أبت أن تكذب عليهم، تنتشر في إفريقيا بعدما استقدمها قرده خاسئون، شحذوا إبرهم وشحنوها بفيروس السيدا في الستينيات، ثم حقنوا فئران التجارب؛ الأفارقة، بها، جربوها فيهم بغرض التقليل منهم والتجريب عليهم، ثم أعلنوا عن اكتشافها كذبا في الثمانينيات، علماء من ألمانيا حين انكبوا في مختبراتهم سنة ألف وتسعمائة وثمانية كانوا يريدون فيروسا قاتلا في الحرب البيولوجية، حرب الجبناء القذرة التي لم تسلم منها الضفادع ولا الأرانب في أستراليا، استلم سلعة الإيدز من الألمان علماء من فرنسا وأمريكا بعد الحرب العظمى الثانية،

ثم جربوها. أصرروا وأصروا.. وانقلب السحر على ساحره،
وقعوا وأوقعوا البشرية ولا يزالون، ولكن مهما يكن فهذه
حضارة.

كنا أربعة، ولا زلنا أربعة، نسير لزيارة المختار، صديق ذكرناه
في المدينة يسكن "سولطانوا" عمارة بشارع موسى بن نصير،
كان ذلك بعد معاهدة كامب ديفيد بأيام تعادل قصص ألف
ليلة وليلة.. دخلنا على المختار فرحب بنا، انبرى معبرا عن
فرحته بتقديم "الكيف" والنيبيذ، يتمرّ لهما الكيس الذي
يتعظ بغيره، معه عجوز ودود يكاد ينزع قدمه من عتبة
الستينات، طوى ستة عقود وسنوات، يقف عند رقم اليوم
العالمي للمرأة.. جلسنا مطمئنين، سأل أحدهنا عن الخمرة
فعلم بقرب نفاذها، قال موجهها كلامه للمختار: "هل تستطيع
الذهاب لإحضار قنينتين أو ثلاثة من "شود صولاي Chaud
Soleil" نريد قضاء بعض الوقت معكم".

رد عليه: "نعم". أخرج عبد الله نقودا متبقية من ثمن بيع
خمسين غراما من أكثر المعادن توصيلا للكهرباء، منحه

دراهم بعدد عضلات الوجه المتحركة بسبب العبوس، ثم
راح..

طفقنا نجتر أحداثا مضت، وبين الحين والآخر يخرجني
صديقي عن مناخ العبث والمجون إلى السياسة والفلسفة،
نناقش فكر كارل ماركس وإنجلس، نعجب ببطولات
"تشيكي فارا" ونفخر لغبائنا وجهلنا باليد الأمريكية في ثورة
يوليوز المصرية، يقطع حديثنا مرة ومرة العجوز، يستميلنا
حين يحس الوحدة وهو مأنوس الأبدان، يغني لنا أغاني
محمد عبد الوهاب لعلمه أنها تأسرنا بجمال كلماتها
وألحانها، ظل الجو بدينا بالفن والثقافة، ثملا بالطرفة
والفكاهة، نناقش ونغني، نتمايل كالقصب السامق تلطمه
الرياح.. قدم المختار يحمل خبزا وتونا وخمرا، يصطحب معه
ثلاثة أصدقاء عشر عليهم مصادفة عند البقال، صرنا بعدد
سيمفونيات بيتهوفن، وإذا جمعت أعمارنا وصلت إلى
سنوات بعدد عظام جسم فرد واحد منا.. جلسنا في زحام
شديد ضاقت له قلوبنا، لا نتحرك في مواضعنا إلا بصعوبة،
غشيتنا الروائح الكريهة متحديّة زمن تأقلم خلايا الأنف،

يمتألاً الجو بدخان الكيف والسجائر، يضحك العجوز بسبب
وبغير بَيَس، يضحكنا صادقين، يغني طول الوقت، بين يديه
مجمر به رماد دافئ، فوَقه مطهاة مملوءة بالبيصر، بين الحين
والآخر ينزع لقمة أو لقمتين يبُللها بالخمرة فيحصل على
مذاق فريد لم أطمعه، يصر على لفت انتباهنا إن نحن غفلنا
عنه وسهونا عن مداعبته أو أعرضنا لانشغالات أخرى،
يطالب بالاهتمام من غير تعبير شفهي، لم يرض المختار على
فعاله، يريد جعل نفسه محورا وهو المضيف، صاحب المحل
عادة صاحب فضل، أنظارنا تتجه نحو العجوز لرغبتنا في
النكتة والتسلية، نحرص على الكوميديا غير الإلهية، أعياء
منه موقفه فغار، تناول في انفعال مجمر عبد الله ودفع به إلى
وجهه، ولولا ثمالة الاثنين لكانت كارثة، لم يبال العجوز،
ضحك وأضحك وهو يلتقط اللقيمات المملوءة بالرماد
ويدفع بها إلى فيه، تكسر المجمر وأهرقت البيصر وصوتت
الطنجرة غاضبة..

نظر محمد في كل الجهات يبحث عن علامة تدل على
مرحاض، امتألت مثانته بالخبيث المتلاف وبدأت توخره

وتأزّه، ولما أعياه البحث ويئس همّ بالخروج إلى الشارع
ولكن.. "أين المرحاض؟"

وجه كلامه لرب المحل، فلم يتنبه له.. صبر على بوله، ولكنه
لم يستطع الصبر على ظمئه "أطفئ عطشي فأنا ظمآن" وجه
كلامه مرة أخرى إلى المختار، تنبه هذه المرة واستجاب
يقول: "نعم الماء موجود" تحرك في رشاقة الشيوخ، وقصد
ركنا تكرر في المستغنيات والمهملات، تجوب الأرضية
صور فوتوغرافية يرمي بها مصور صحفي يقطن العمارة، في
إحداها تظهر نقود ورقية، تبدو مبعثرة فوق زريبة مزركشة
استقدمت من بلاد فاتح القسطنطينية، تنحني على ورقة منها
فتاة عارية تماما، تحاول أن تتناولها بفرجها، بأخرى صورة
فتاة توضع في فرجها ورقة نقدية، يضعها شيخ فوق رأسه
صفر يكاد يجاوز الصفر المطلق.. إلى اليسار قنينات
بلاستيكية من فئة خمس لترات، حاويات لزيت المائدة
تستعمل بعد إفراغها لأغراض عديدة، "بومونات" مليئة تقف
كالبطريق، ولكن بغير جمال لونه.. تناول بحفاوة واحدة
منها، حفاوته لا تخطئ الصدق أو تجافيه، ثم ناولها لصديقه

يقول مسرورا: "خذ واشرب بالصحة". تسلمها الظمان ونزع عنها غطاءها، ثم حملها إلى فمه يدفع بها إلى الأعلى حتى يميل الماء في القارورة ويسيل نحو فيه، بذل جهدا بسيطا كتم له نفسه وحبس رئتيه، وحين شهق بعد زفير صغير مستجمعا نفسه ومتأهبا للشرب داهمته روائح كريهة، نزلت مع يديه وهي مشدودة فاسحة له أن يتشمم كالأرنب لا تفتأ تحرك أرنبة أنفها حتى تتحسس الغريب، لم تُجد نفعاً معه، عجزت عن تبيين مصدر الروائح، يجب استعارة أنوف الغزلان أو القطط، رفع القارورة من جديد وقربها إلى فيه، خرجت منها غازات كريهة اقتحمت أنفه فتشممها ليجدها بولا حارا، تقزز منها وتأفف وقرق، نفر يفرك أنفه بيسراه، ويضع القارورة بيمناه حتى استقامت على أرضية المحل، وسأل: "ما هذا يا مختار، تسقيني بولا، أشرب بولك؟". لم يكذ يسمع ما سمع حتى نهض مسرعا، لا يستقيم قاعدا فكيف وهو قائم؟ اندفع على استحياء لا يخلو من ضجر، قام غير راض ولكنه لا يجرؤ على تكذيب صديقه الضيف، تناول القنينة في غضب مستور له، ولكنه مكشوف لغيره يقول: "اشمن

بول! اشمن بول!.."، فأردف محمد: "هل أكذب عليك؟"، عندها رفعها إلى فيه ليثبت لصديقه أن بها ماء عذبا وليس بولا قدرا، وقف على جذعين لا يسعفانه، أدناها إلى فمه، والكل ينظر إليه، وضع فمها على شفثيه، ودفع بها إلى الأعلى مسهلا عملية سيلان الماء بداخلها، يظنه ماء وماء عذبا، شرع يشرب ويشرب، شرب وشرب وأمعن في الشرب يبغى إرواء تغضب له البرّاقة، وارتواء تنقزز له المعدة، تجرع بإصرار، عند البلع ينقبض حلقه وينبسط، أحصى له عدد الجرعات فكانت كتلك الأعداد التي لطول الأمعاء الدقيقة من الأمتار، أصر المختار على شرب بوله، أصر على شرب بول صديقه العجوز دون أن يعرف، شرب بوله وبول من لا يرغب في شرب بوله.. أصر وأصر، و..

كنا أربعة فلم نعد أربعة، إذ لن نظل أربعة..

— كم نحن الآن ياسالفادور؟.

— نحن اثنان.

— وهل سنظل اثنين؟

— لا ، ليس هناك شيء يبقى على حاله.





فصل

بساط سليمان

قُطْمَةٌ



رفع

ألو.. ألو..

- سالفادور، هل تسمعني يا سيدي؟

- تكلم.

- لقد انقلبت الشاحنة في حادثة سير مع وضع ثمل فكانت كارثة.

- كيف؟ ليمت السائق، ولتمت أنت، ولتلقنّ به، كيف تجرؤ على

إزعاجي بكلامك السخيف، وخبرك التافه؟

- يا سيدي: السائق لقي حتفه، وسألقي نفس مصيره إن لم

ترحمني، أعلم أن لديك مخالف طويلة، ضرباتها قاتلة.

- ما كان ليكن، وليكن غيره، أفصح يا غبي.

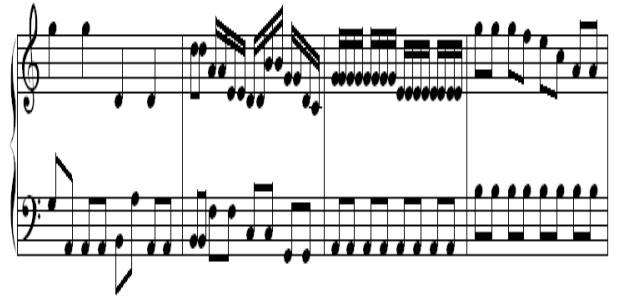
- محتويات البراد تكشفت.

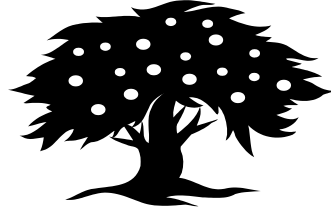
- ألم تجمعها؟

- خفت أن أقرب منها، لأن الناس تبنوها.

- ليكن.. أم أم أم أم.







تسير على بساط ركبته سليمان في القدم. تركب
السحاب الثقال ولا تشرب منه. تخترق المعصرات ويدفعها
محركان نفاثان. تشق بهما المحيط الأزرق فوق بحر
الظلمات، ثم تحط ضيفة على بلدة "بيلي". يملك فيها
"كاباري" و"كازينو"، ودارا للدعارة، يديرها في غيابه
"ناحوم"، لطالما ثمل فيها "خورخي أمادو" ودعر، لا تفتقد
لأسلوب واحد لم يجرب، تجلب إليه الفتيات وتنتقى من
الصغيرات والأحداث، من الزبناء من لا يقبل إلا بطفلة لم
تبلغ الحلم، يعشقون الكواعب لفض بكاراتهم، إذا جلب
الوفاة فلا مشكل، تعج الحانة بالشواذ، في كل ركن منها
وعند أي فراغ يرى رفيقين عادة ما لا يتناسبان في السن

والجيل، الشيء في الشيء على ما يرام، والدولار الكليينكس
Clinex على ما يرام..

تستوقفك وأنت غائر في الدهاليز لافتات، بها أسهم معلقة
كاشفة، فمن سهم يشير إلى نكاح الاستبضاع، إلى سهم
يشير إلى نكاح المخادنة والمضامدة. أنكحة الرهط والشغار
والصَّيْرُن متجاوزة. شد منها سهم يشير إلى نكاح الفرجة. في
الوكر الأحمر كواعب يحملن صحافا من ذهب وفضة عليها
مسحوق مسوق ليستنشق، يتسابق إليه السحافات ولا يهدأن
حتى يُتذوَّق، به نسوة تخطين العقد الرابع بمعية ربيع من
الخامس، بينهن شبان يصطحبون عقدين وما بين ربيع أو
ربيعين، يمارسون الجنس معهن، على الأرائك يجلس
المتفرجون وأرباب العدسات، نكاح لم يحظ بإقبال، ولكنه
يحبو نحوه. شباب يمارسون الجنس مع أمهاتهم. إلى العمق
منهم وكر مهجور كتبت على باب مدخله: الحداثة التقليدية،
يجاور الشيخة الهروم وكر أصفر لممارسة الجنس مع
الأخوات. وثن نيلي مع البنات. وربع وردي مع الأخوات
والعمات، ثم بنات الأخ وبنات الأخت، شعار الجميع التمرد

على قيم الماضي ولو كانت قيم الصبح أو مُثُل اللحظة. وهو يمطّط غيبه في الدهاليز يستدرجه نفق عن نفق، ويرسله نور عن نور، تناهت إلى سمعه أصوات في أبواب ونوافذ موصدة، خلفها ساحة تشبه تلك التي لمصارعة الثيران، إلى الأبواب حرّاس غلاظ كسيقان الزرع، وشداد كجلود الضرع، تقدم راغبا فُتُح له. تصاعدت الأصوات واقتربت منه أكثر، كلما أمعن في طلبها علا الصراخ والضجيج، وكلما مشى تشقّلت في الأثير القهقهات والضحكات.. تختلط الأصوات في فوضى وهرج شديدين..

تمتلئ الساحة بالحيوانات ومروّضيها، بها كلاب وجمال وخنازير، بها بقر وحمير ومعيز، يغري مُروّض كلبا بامتطاء ظهر خنزيرة مدربة على الاستسلام، يشير سلوك الكلب الجنسي الحضور فيطلقون قهقهات وضحكات يحصل منها الانتشاء بدمع مدارار، يقف إلى جانبيهما خنزير مدرب ليس دَيّوثيا يدفع أُنثاه جاهدا ليأخذ مكانتها، لم يعد هناك شذوذ جنسي، قضت الحداثة وما بعد الحداثة أن يُنعت ذلك بالتحضر والتقدم.. ليس ذلك خاصا بالبشر، بل تجاوز

البشر إلى الحيوانات، وربما ينعم به الحجر والشجر، يغري مروّض آخر حمارا فيركب بقرة مخدوعة تظن أنها مستسلمة لثور. يجر ثالثهم جديا ويغريه بامرأة تنحني عارية فيركبها. في الدرج الوسط يتبادل الاستنكار أناس مثيرون، أحدهم يدهن بقيئ الضباع خبزه، وثان يحرق بعضوه التناسلي نسيانه. رابع يجلس مرتخيا مفلسا جنسيا بعد تصديره الفحولة الإفريقية إلى أوروبا، وخامس ينهق مستهزئا بمؤذن ينادي حي علي الصلاة، بينهم رايع ومركيز يشدان على يده حتى لا يسقط وقد شغل ينتظران انتهاء شغره، ينام ثملا على سريره المابعد حدائي كل من يأكل الرمم ويتثقف بالرمم ولا ينتج في كتاباته إلا الرمم، يحتجون على دونية المشاهد وسفالة الأذواق، ويقترحون ما هو أرقى..

في دوار ولاد علي بالقصر الكبير يحتفل الناس بموسم الحصاد في ساحة القرية.

يصنعون دائرة يدخلها شبان يقلدون جديا ينكح عنزة ليشيروا الحضور ويسلوه ويضحكوه..

☐☐ فهل ستسافر إلى المغرب؟

يخاطب ناخوم سالفادور.

❖ فيما بعد.

زكي الأمر فأغرى نفسه عن نفسه، ثم حضر الإعلاميون،
تفقدوا ما تفقدوا وكانوا في شغل عنهم، ثم سُمح لهم أخيراً،
أُلقيَ إلى أمّ جامعت ولدها البكر عن إحساسها كيف كان؟
فقال: "كان أرقى ذوقاً، وألذ متعة من أبيه".

☐ يجامعك زوجك وابنك؟

☐ لا تتردد، سل؟

☐ أي نوع من الإحساس هذا؟

☐ إنه إحساس ما بعد حدثي.

☐ صحيح. فتكسير القواعد في ثقافتكم التي لا تصلح
حتى لتبليط الحظائر منطقياً لا يستثني واقعة الأم والأخت
والإبنة، ولكن كيف وجدت نفسك وأنت تجامع أمك؟

☐ أحجمتم عن خلق أدب جنسي يتميز كأدب السجون
رغم كثرة كتاب الجنس فيكم، وليس هذا أدباً إپروتيكياً، بل
هو أدب جنسي رحماوي.

≡ أسألك عن إحساسك.

☐ وأنا أجيبك عن الإبداع الجنسي، ألا تنتبه؟

≡ كيف كان إحساسك؟

☐ العجب والانتشاء والتلذذ، ولكن يابداع عَزَّ عنكم.

≡ أيّ إبداع هذا وهو سلوك بهيمي، فالحَمَل يتعلم الركوب

فوق ظهر أمه، ثم يركبها حين يصير كبشا، فهل أنت كبش؟

☐ أنت سخيف، وتعليقك أسخف، هل يصدّق من يزعم

الانتشاء بمخالفة الفطرة؟ هل تتمرد الفطرة على طبيعتها؟

كلا، فإن صدقتموه كنتم حمقى، فما من إحساس كهذا إلا

وهو قدر وضر، يهزّ الشهامة ويرجّ المروءة. جامعت أخاها،

وجامع أخته في قصر بديع ف..

!! هل أنت أميرة؟

⊙ بل أميرة الأميرات ولا فخر.

!! وهل أنت أمير؟.

⊙ بل أمير الأمراء.

جامع أخته وجامعت أخاها في قصر بديع بصحراء الخليج.

أدار عقارب الزمن وانطلق في موسم حصاد الوهم على موعد مع برجسكي.

ألفاه غاضبا يمتلأ سخطا على واقعه. لا يعبأ بحي أو ميت. ولا بمتحرك أو جامد. يسير بمعنيين اثنين. عيناه محمّرتان كأنما به سعار، ينزل لعابه كثور أجهدوه في حلبة الشيران، من يراه يظنه بداء الكلب، يسب مبوحا، ويشتم مفحوحا، ويلوح بيديه العاريتين. تأبط رشاشا روسيا يخفيه تحت سترته وقصد مستشفى به مختبر بيولوجي مؤهل للقفزات النوعية، دخل بوابته، ثم اقتحم غرفة للجراحة، تنام على فراش فيها امرأة لا تزال يد المخدر ضاغطة على وعيها، إلى جانب كاترين تستلقي لوسي على فراش متأهبة لعملية جراحية، فتح الجراح ثقبين في أذني كاترين يسعان عضو الرجل لاتخاذهما موضعا لممارسة الجنس، وصنع للوسي فرجا في سرتها، وضع تحتها كيسا مطاطيا يغيض في بطنها خمسة عشر سنتمرا، استُحدث موضيل جديد بسبب غيظ الموضيل القديم، يجامع المرأة ثلاثة رجال من حُفر ظاهرة في جسمها، وهذه تقليدية ممقوتة، قضت ما بعد الحدائة

خلق صنوين لتجامع المرأة ما بعد الحداثية من ستة رجال مع الإبقاء على عدد يتلهى بما بان واستبان، يفكرون في حفر جسدها كله.

انتبه بريجنسكي بعد انبهاره، ثم أخرج كلاشينكوفه وشرع يضرب بالنار. أحدثت طلقاته فوضى عارمة اهتز لها المستشفى كله، هاج المرضى والممرضون والأطباء والعُود وركضوا يطلبون النجاة، يتزاحمون في المماش ولا يلوون على شيء، يسكنهم الرعب من الرصاصات الطائشة، يضغط على قلوبهم إرهاب تسبب في إرهاب وهو يقبع خلفه، لا يتورع في القتل، يقتل من يقابله ومن يستدبره، يلتفت في كل الجهات إلى الفارين فيصيبهم، انصرع لرشاشه العشرات. تكسر لطلقاته الزجاج. حفرت لرصاصاته الحيطان وثقبت لها الأبواب والطاولات، ثم سقط. حملوه جريحا، ثم أسعفوه. لم يفهم الناس علة قتله الأبرياء، لم يفهموا سبب إرهابه، ولم يهتدوا إلى علة ترويجه، لا يجيب على السؤال المعلق أحد إلا ما كان من ربطه بالمخدرات والجنون، يسألونه فلا يجيب، لا يحفل بهذا ولا يهتم لذلك، صام عن الكلام في

التحقيق حتى طُنَّ أنه أخرس، أضرب عنه بقمعه لسانه،
وحضر أوان المحاكمة. أوقفوه مكبل اليدين، ثم نادى
القاضي باسمه في قاعة المحكمة، فلم يجب، ناداه ثانية:

❁ بريجنسكي.. بريجنسكي ، هل تسمعني؟

تهيأ للإجابة وقد رغب في الكلام فأسر الحضور بهيئته، ثم
نطق:

❁ ما اسم حضرتك سيدي القاضي؟

❁ هيج Heg أنا هيج، لماذا؟

❁ أنت لست هيج، بل Bel بيل.

❁ أنا هيج، كذلك سُميت.

❁ إذن أنت ابن لرجل.

❁ نعم.

❁ هل تجد إحساس البنوة تجاه أبيك؟

❁ نعم بطبيعة الحال خصوصا عندما أتذكر صغري،

وأستحضر طفولتي.

إذن تملك إحساس البنوة، فقد منحت إياه بسبب
أبويك.

❁ دعنا من حوارك التافه هذا، لماذا قتلت الناس وأرهب
الجميع؟

❁ لا تخاطبني، ولا تحاكمني، أريد قاضيا فاقد إحساس
البنوة، فأنت لا تصلح لمحاكمتي.

وصمت.. غطس في الصمت حتى غرق فيه..

حاول القاضي وحاول، صمت المدان وصام عن الكلام مرة
أخرى، ثم أعادوه إلى السجن. حضر يهرع موعد المحاكمة،
وأقبل الإعلاميون، كان اليوم مهرجانيا، شاع في الناس أمر
محاكمته ناطقا أو صامتا، متكلمًا أو أخرس، شاع فيهم أمر
إعدامه، طبخ المطبوخ فأعطى رأيا عاما ميّالا إلى الإعدام.
أوقفوه أمام القاضي محرر اليدين هذه المرة رغم رهيبهم منه،
ثم ابتدأت المرافعات، فخاطبه القاضي:

❁ لماذا قتلت من قتلت؟ ورؤعت من نجا؟

❁ ألم أقل إنك لا تصلح لمحاكمتي؟.

❁ سَأَحْكُم عَلَيْكَ بِالْمَوْتِ يَا مُجْرِمَ، يَا سَفَّاحَ.

تحركت القاعة تؤيد حكم الإعدام، تنزعهم ربة هرة قضت.
ساد الضجيج وانتفضت الجلبة وألحت الرغبة في سماع
النطق، ثم نطق القاضي مرة أخرى: "الإعدام هو حكمك، ثم
تقطيعك إربا بعدد قتلاك". ظل بريجنسكي منكس الرأس
صامتا، ثم رفع هامته فسرقت وجنتاه الأضواء. يسيل عليهما
دمع مدرار كأنه سقف سماء استوائية، يتدفق طائيا مدرارا،
يحفر الأخاديد في وجنتيه. علق القاضي على دموعه قائلا:
"لن ينفعلك الندم، وإذا أغرقنا في بحر دموعك فسأغرقك
بيدي هاتين، احتفظ بدموعك يا قتال". انتصب بريجنسكي
وازنا يودّ نصح القاضي على انفعاله وغضبه الذي يفسد
قضاءه، ولكنه في غير موقف النصح والنصيحة، وحتى لو
أبداها فلن تقبل منه، أدار رأسه مستعلما حيزه، فاحصا
محيطة، ثم نطق:

أنا لا أبكي لما فعلت، فوالله إن كنت أملك الآن
رشاشا أو قنبلة لقتلتكم جميعا، إنكم لا تستحقون الحياة،
فلا يبكي من فقد الإحساس بالجريمة.

❁ إذن تعترف بجريمتك، ولكن قل لي أيّ إحساس هذا
الذي تتحدث عنه؟

❁ ألم أقل إنك تملك إحساس البنوة؟
وأنتم (أدار وجهه نحو الحضور) تملكونه أيضا، ولكنني لا
أملكه، فمن جنى علي حتى أفقدني إحساس البنوة، أليس
أنتم؟ أليس مجتمعكم؟ أليس آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم؟
❁ كيف؟

أنا مستسخ

اهتزّت القاعة لكلام برجسكي ورقّت لحاله. رجع الناس إلى
طفولتهم يسألونها عن أذواق رقيقة، وأحاسيس جميلة،
يتذكرون آباءهم وأمهاتهم ويعيدون صورا عنهم ويقبلون
ذكرياتهم معهم، يتذكرون صور ضمهم إياهم، وتقبلهم

واحتضانهم والبرّ بهم، من كان مرافقا بصبي أو صببية
تحسس صبيه من شعره ووجهه وكتفه ليقبله، أو على الأقل
يتحسسها ليستمتع بملامسته أو بالنظر إليه، بكوا جميعا
وبكى لبكائهم القاصي، ولكنه أصر على إعدامه فلم يكن بُدَّ
إلا من البدّ.

لسالفادور مكتب في الأعلى يُحظر فيه الشراب، وتُحظر في
جنباته الدعارة، يخص المدير ويختص بالاجتماعات..
قعد في مكتبه على موعد، حضر إليه رجل من السلطة في
زي مدني، راغ على أثره شاب يسوق شاحنة، دعاهما
فمنحهما مبلغا مهما من الدولارات، ثم صرفهما..
راغ إليه مايير وميلير وبنيامين وإيزابيلا، تذاكروا بالعبرية،
يسألهم عن التجارة، عن الأرباح وعن المشاكل..
حضر آخرون على موعد، ولكنهم عملاء، سألهم:

"فيم أنتم قادمون؟"

فأجابوه:

"نريد بضاعة".

﴿ حسنا، والمال؟

□□□ قلب هذه المحفظة بمعية رسالة من الباطرون.

استخرجها وقرأها، وعلى جناح الصقر الأشهب صحبهم إلى المستودع، أخرج البراد، كان صغيرا نوعا ما، دُفع يمشي على أربع، لا ينقطع عنه التيار الكهربائي، ثم عُبِّي داخل "فريكو" في شاحنة.. ظل ساعات في غاية السعادة بالمال المكتسب، والشهوة الملحقة، ثمل بالويسكي، رقص وتحذلق مع الزوار والرواد والتُّدُل والبرمانات.

دنت منه نادلة سمراء ليست من قوم عيسى، ولا أجمل من سمراء العزايبي تستعجله الذهاب لتلقي مكالمة، رفع السماعة: ألو.. ألو..

❏ سالفادور، هل تسمعني يا سيدي؟

❏ تكلم.

❏ لقد انقلبت الشاحنة في حادثة سير مع وضيع ثمل فكانت كارثة.

❏ كيف؟ ليمت السائق، ولثمت أنت، ولتلحقنّ به، كيف

تجرؤ على إزعاجي بكلامك النافه، وخبرك السخيف؟

❏ يا سيدي: السائق لقي حتفه، وسألني نفس مصيره إن لم
ترحمني، أعلم أن لديك مخالب طويلة، ضرباتها قاتلة.

❏ ما كان ليكن، وليكن غيره، أفصح يا غبي.

❏ محتويات البراد تكشفت.

❏ ألم تجمعها؟

❏ خفت أن أقرب منها، لأن الناس تبيئوها.

❏ ليكن.. أم أم أم أم.

رمى بالسماعة في غضب وصعد الدرج يزيد كالجمال
الهائج.

فصل

الفقيه دميجو

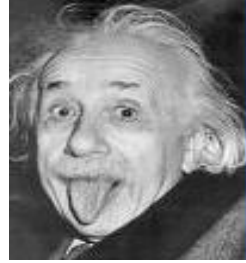
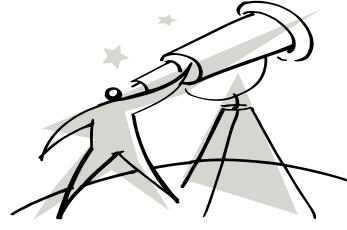
قطر

من الأعلى ومن الأسفل تشرف عليه إذا أشرفت بشوق لمعرفة
مصدره، يستوقفك بناء أندلسي من طابقين، سفليّه ذو حجرة
واحدة، لقضاء الحاجة ففي البعد تكون، بداخلها يجلس رجل كهل
بيده قضيب من شجر الزيتون يهش به على الأطفال، يلوح ويعاقب
به، على مدخل المسيد يجلس المُدرّر مسندا ظهره إلى حائط

رافت، إلى شرقه باب قزم، إلى غربه وإلى جنوبه يجلس
"المحاضرة" وهم طلاب علم وقراءات، صبيان وشباب من أعمار
متباينة، تحوي الحجرة أربعة أقسام، بها أربع مستويات تعليمية
متداخلة منفصلة، يديرها فقيه تقليدي يجلس جاثما على الحداثة،
يتحداها في ثقة، لم ينجح "بومغيت" ومقدم الشعب رغم
تهديدهما، يطوفان على الكتاتيب القرآنية ويمنعان الفقهاء من
تعليم القرآن ترغيبا وترهيبا، حجتهم في ذلك أن يذهب الطلبة إلى
المدارس.



The image displays three systems of piano sheet music, each consisting of a treble and bass staff. The first system features a complex bass line with many sixteenth notes and a treble line with eighth and quarter notes. The second system has a more rhythmic bass line with eighth notes and a treble line with quarter and eighth notes. The third system continues with similar rhythmic patterns in both staves, ending with a double bar line and repeat dots.



عقب رحيل الصهيوني

بعشر سنوات صاح الصبي:

طاطا، طاطا، بآ، بآ، عَيْطَلَا،

طوموبيل، طوموبيل..

أشفق على صغيرته، وخاف

عليها من دوس السيارة، قلق بشأنها يقفز ويقفز وينادي
ويصيح.. رمى لها كرة صغيرة يستمتع بركضها نحوها،
وينتشي بالتقاطها وإعادتها إليه في فرحة وسعادة، اندفعت
تجري وراء الكرة، وتوسطت طريق السيارات، ثم ارتعد قلبه
وبلغ حنجرتة خوفا من الكارثة..

يصطحب أباه الودود إلى مستودع يحرسه، يحاذي "ميعارة"
اليهود بطريق الرباط القديمة، مقابر اليهود والنصارى على

الرأس، ومقابر المسلمين تحت القدم، يستودع حاجيات المدينة للبنية التحتية، فضاء واسع، تتكدس فيه مخلفات الحلفاء من الألبسة العسكرية، يحتضن معدات وأدوات تعود ملكيتها للمجلس البلدي..

سعيد هو الطفل وأسعد منه أبوه يحمل على كتفه طبعته عليه تزال رائحة منه، يستعمل ثوبه لصنع السراويل والأقمشة والملاحف ومناديل الرأس للنساء، يستعمل لأغراض عديدة، به مخدة صغيرة مملوءة بالصوف الملون، حمولتها من صوف كبشين، أحدهما كان أضحية عيد الأضحى، والآخر عقيقة لـ"مخطوط"، به دثار خشن حبكته أيد قروية في "فندق الشجرة"، يتخذ غواشا يُتغَطَّى به، ولحافا يُفترش، بيده اليسرى قفة صغيرة ملونة لا تزال ريح الدومة تبعث منها طيبة عبقة، بها سكر، شاي أخضر، وعشاء جاهز تهيئه له أم



برفقة أبيه وجده،
الحليم..
كيسا أبيض
حروف usa، لا
الدقيق تفوح



محمد، ينطلق من "الدرادب" على قدميه طوال فصول السنة، لا يمنعه البرد والشتاء، يُرى على وجهه الاغتباط، ويُقرب في السرور. يسير وإلى جواره يسير الطفل.

يحاوله ويساءله، لا يتساوى معه إلا نادرا، يلتقط الجنادب، يمتصّ نبات "الخُمَاطا" هيما بحموضته، يقتلع العشب ويقتضمه.

في فضاء أنبت المركز الجهوي لتكوين الأساتذة، أنبت إعدادية محمد بن عبد الكريم الخطابي، والمحجز البلدي، كان الطفل يسرح ويمرح فيهما قبل نشوءهما. فضاء نقي لم يكن قد أنبت حشرات آدمية، يعاشر فيه الحيوانات والطيور، ويعبث بالزحافات والحشرات..

ركض الطفل خلف وِزْل صغير وطارده حتى سقط منه ذيله، خلّفه ليتلَهَّى به الطفل فلا يتعقّبه. يطارد طويل القوائم ويمسك بقوامه فتفرز رائحة كريهة وكأنها المادة الكيماوية

الكريهة التي تفرزها الحشرة الدواء، لا توقف الرائحة المقرفة
فضول الطفل، يلاحقه حتى
يقطع قدمه ويخلفها لعدوه
المطارِد فلا يتعقبه، تلسع بها
وتشمّ وتتذوّق، ليس هو من
العناكب، ولكنه يشبهها.



لا يترك الطفل حشرة إلا وسلط عليها فضوله، يوقف الزمن
لملاحظة شكلها وسلوكها دون إيدائها. رمق سرعوفاً ينظف
نفسه فتجاوزه، يقضي الموظف العامل لحسابه الخاص كل
يوم ساعة كاملة في النظافة، وثلي وقتها ساكناً.

وهو راجع بعد شبعه من اللعب قرر مداعبة السرعوف، أدنى
منه قضيباً يحدث به حسيساً ويحاول زحزحته به فلم
يتزحزح، استبدل المحاولة إلى الخلف لتغيير روتينه فلم
يتحرك، لو كان سلوثة لتحرك حركة البدن، انحنى الطفل
أسفل الغصن ومدّ قضيبه نحو بطن السرعوف فتزحزح،
استغرب أيما استغراب أن تكون أذن السرعوف وسط بطنه..

انحدر ممعنا من حيث يرتع ويلعب يبغى تقبيل أبيه وإلقاء نظرة على محياه الباسم، ثم يستدبره إلى بيت جدته بـ" كسابارطا" القديمة فاستوقفته خنفسة الدفن، تأمل سلوكها فنكره، تزدرد بعض صغارها فعاقبها.

وحين روى قصته معها لأبيه أعلمه أنه قد قضى على الصغار، ولكن كيف؟

سأل أباه.

﴿H﴾ أم خنافس الدفن يا بني إذا عجزت عن جلب الطعام لجميع أبنائها تأكل بعض صغارها.

— تطعم أبنائها بأبنائها؟

﴿H﴾ نعم.

انطلق الصغير عله يدركها حية، حاول إسعافها فلم يفلح، عندها قدّمها طعاما لصغارها، أمات بعض الحشرات، ثم وضعها حيث الصغار يبغى إطعامهم بها، ثم انطلق عائدا إلى أبيه. انعطف الوالد إلى حراسته الليلية، وانعطف الطفل إلى بيت جدته قبالة ابتدائية "رابعة العدوية".

مال إليه تاركاً أباه يخترق فضاء أخضر.

ينحدر وسط مزرعة لاتزال الأرض تشقق عن حبه، تكمل دورة حتى إذا بدت براعمها أبهرت المقل، وتمعن في الدوران مخضرة يبتفتح زهرها فتتمو نماء إلى حين الاصفرار، يدوس على زرع لا يزال طفلاً مثله، ولكنه سرعان ما يعود إلى استقامته بقوة سوق كأنها زانات قفز في رياضة الجمباز.. دخل على جدته الودود، دائماً تحتفظ له بمفاجآت، لا تملك حلوى أو فواكه جافة أو ما لَدَّ إلا وتدّخره له، تخبّي له سجائر من نوع أولمبيك الحمراء تنتزعها من علبة عمه، تنتزع من علبة والده سجائر من نوع رياض، تشتري له علبة من سجائر كاساسور التي تحتوي على لفائف خمس، يسألها عن "زغور" الأخ الذي لم تلده له أمه، يصطحبه إلى حي فال فلوري ليركب بيسيكلته ويصطادا الطيور ببنديقية ذخيرتها رصاص من رصاص، يستمتعان بشغب الطفولة وسقطاتها، ما إن يستقر رأيهما على دار مهجورة حتى يفتحمانها ليقنلعا منها القضبان والصنابير النحاسية، ثم يبعانها ببوعراقية بالكيلوغرام فيذهبها للاستمتاع بمتابعة فيلم في سينما

سرفانتيس أو الريف.. ظل محمد يستمتع ببيسكليت "دريسو" إلى أن حوّلها إلى رقم ثمانية جراء اصطدامه بالرصيف بسبب السرعة العالية التي كان يسير بها والتي أُلقت به في جدول وأُلقت بالبيسكليت فوق جسمه بكريبطيرا فرانسيس، شريكه في الكروموسومات "دريسو" صديقه الحميم وأخوه الودود ولم يزل..

ممر ضيق بزئقة واحد يسع الغادي والرائح وهما يتخللان. بمنحدر إلى دار "البارود" يدخل



سمعك هدير.

من الأعلى ومن الأسفل تنصت إليه إذا أنصت بشوق لمعرفة مصدره، يستوقفك بناء أندلسي من طابقين، على شرفاته أوصت تختال فيها الأزاهير والرياحين، فوق أرضيته أخرى مُجيرة من حَبَق عبق، رائحته الزكية تغري الأصابع لفرك أوراقه جلبا للشذا، وطرذا للبعوض، سُفليُّه ذو حجرة واحدة، لقضاء الحاجة ففي البعد تكون، بداخلها يجلس رجل كهل بيده قضيب من شجر الزيتون يهش به على الأطفال، يلوح

ويعاقب به، على مدخل المسجد يجلس المُدرِّر مسندا ظهره إلى حائط رافت، إلى شرقه باب قزم، إلى غربه وإلى جنوبه يجلس "المُحاضِرَة" وهم طلاب علم وقراءات، صبيان وشبان من أعمار متباينة، تحوي الحجرة أربعة أقسام، بها أربع مستويات تعليمية متداخلة منفصلة، يديرها فقيه تقليدي يجلس جاثما على الحدائث، يتحدّثها في ثقة، لم ينجح "بومغيت" ومقدّم الشعب رغم تهديدهما، يطوفان على الكتابيب القرآنية ويمنعان الفقهاء من تعليم القرآن ترغيبا وترهيبا، حجتهم في ذلك أن يذهب الطلبة إلى المدارس. يدير الفقيه دميحو مدرسته القرآنية ببراعة. لسانه ويده لا يفتران عن الحركة.

يهجّي في القسم الأول داخل الحجرة الواحدة من يتهجّي من فئة البراعم ومن غير البراعم ممن تخلفوا عن تعلم القراءة والكتابة صغارا.

يملي على من هو في مرحلة الإملاء والتعلم في القسم الثاني. ينتقل إلى مرحلة أخرى في القسم الثالث يشرف فيها على من يسعى إلى إتقان الحفظ والرسم والقراءة، وفي

المرحلة الأخيرة في القسم الرابع يشرف على من يسعى إلى حفظ المتون العلمية، أقسام أربعة في قسم واحد وحجرة واحدة بنظام بديع وإشراف على بصيرة تعوز مدرّسي الجامعات والمعاهد اليوم، يستمع إلى قراءة الألواح وقراءة سور القرآن بالتناوب، يفتي ما يكتبه "المحاضرة" على الألواح، يراجع حفظة ربع القرآن، ويدارس حفظة ستين حزبا، أصابعه لا تفتقر عن غرز الإبرة في الجلباب التي يخيطنها، تفاهم تام بينه وبين صبي يضرب له "البرشمان"، الفقيه يتابع خياطة الجلباب غرزة غرزة، الصبي أمامه إما واقفا أو جاثيا أو جالسا أو زاحفا على مؤخرته وبينه وبين "المعلم" الفقيه مسافة يقتضيها طول الخيوط.. وهي خيوط تسمى "السداوة" مشدودة بإتقان من رؤوسها إلى شرك مصنوع من أوراق الدومة، وغالبا ما تكون متوازية، فمتى قبض "المعلم" الفقيه على أحد أطرافها في الجهة الأخرى لخياطتها، تقصر بين أنامل الصبي وهو يعمل على إدخال الجهة القصيرة في الجهة الطويلة، إذا غرز الفقيه "المعلم" الإبرة، ثم حرر يده منها ارتفع صوت "المحاضرة" وعلا صوت من يجلس إلى

جانبه وهو يراجع القرآن، لن ينفلت من قُصد بتحرير الإبرة من ألم القضيب الزيتوني الطري.

على باب المسيد الممغنط يقف السياح كلما مروا محاذين لـ"الكتاب"، تستوقفهم أصوات "المحاضرة" واختلاطها وكأنها طنين النحل يتداخل مع دبيب الدبابير، تنتقل في فضاء الحجرة متعاقبة مستأنسة، تخرج لتنتشر في الزقاق فنستدرج الناس إلى إطلالة أو إطلالتين، كلما انحنت الهمم وتقوست أعمدتها قفز الصغار إلى العراء حافلين بالسياح، يخرسهم فقيهم حين يتعامد بظهر هاللي وهو يخاطبهم. يخاطب الإسباني بالإسبانية، ويحاور الإنجليزي بالإنجليزية، ويرد على الفرنسي بالفرنسية.. لا يعجزه حوار بالألمانية والإيطالية والبرتغالية..

كل صباح ينهض الفقيه دميغو ويخترق مدشر "الهرارش" بطنجة البالية، يحاذي قنطرة رومانية فوق وادي الحلق على موعد مع قهوة سينغالية في مقهى السطح اعتاد جلبها قبل الذهاب إلى المسيد، كان روتينا آسرا، دأب على حال جلب قهوته المعدة بـ"الزيزوا" واصطحابها إلى مسجده.

كلما غشي المقهى وسلم يحفل به الرواد محيين:
"عليكم السلام على السلامة أَلْفَقِي دميحو. "الله يسلمكم".
غضب الفقيه على ولده المختار فتناول القضيب، ثم شرع
يضره، يعضه عضا فيترك أثره على جسمه الناعم، يعفصه
برجليه، وإذا تكسر القضيب استجار بالدم واللكم، حرّك له
سُلاميتين لسبابته، ثم وهزه وكحل له بإصبغه الوسطى قائلا:
ها وا لأمك، يا حمار، لا يشبع، لا يعي، ولا يجزع، ثم
يخرجه إلى عتبة المسيد ويحمله على تنكيس رأسه المجرد
من غطاء خالياه الميتة، يحمل طلاب المسيد حملا على
البصق فوق رأسه، يصعد "المحاضرة" درجين، ثم ينحني كل
واحد منهم وقد أثار غدتي لعبه وأدار لسانه في فيه استدرارا
للصاق، يملأ به فمه ويبصق على رأس مجرد من غطائه
الطبيعي ليرسم لوحة تعكس تكدرس تلج متساقط فوق رأس
حاسر.

لم يسلك الطفل محمد مسلك نظرائه، نأت به كراهيته
لسلوك الأطفال، ولو أرغمه الفقيه على محاكاة أعداله لما

فعل، ولكنه لم يمنعه لأنه ربما يميزه لنباهته، أو مراعاة لاستغلال بركة آل الطفل لتدريس القرآن فيها دون مقابل. يعاقب ابنه على كسله، يقسو عليه لقلّة حفظه، يرهبه لحمله على أن يكون حافظاً مثله، ولكنه لم ينجح.

يساءل المختار في ذاكرته عن فعّاله، أسف لذلك "السّي الفقيه" وندم، تناولوه بالسب والشتيم، لم يكن المختار يعلم، وحين علم صاح بهم:

+++ ويحكم، أرفض تدخلكم فيما بيني وبين والدي، أنا أحبه وأكرهكم، لا تحاولوا، أيأسوا.

◀ ولكن ذلك هتك لحقوق الطفل.

+++ وهل كنتم تحبونني مثلما يحبني هو؟

◀ نحن نتجاوز الحب إلى الحقوق.

+++ أنتم دجالون، فعقوبة المحب وإن قست تظل في وسع المعاقب، أنا قد كنت أتألم من ضربه، وكنت أجد خطأه من غير غلظة، وكنت أتحنس ربحه وكلامه فإذا به حب مذاب في حب.

◀ لا بد من حماية الطفولة من القسوة.

+++ وهل يكون تدخلكم مفروشا بالمحبة؟ هل يكون
ياحساس الأبوة؟ دعوني أحيا بحبه حيا وميتا.

له من بين "المحاضرة" صبي صغير وعليّ، محمد يحفظ
لوحه من جهتين قبل أن يغادر إلى المدرسة، وعليّ حافظ
للقرآن كله مع شئ من النسيان، يعارضه السور برجلين
ممدوتين، وحين يخطئ يهوي عليه بقضيه الشجرة المباركة،
تتحول ساقاه إلى موطن ينجذب إليه الذباب، يشخن فيها
الجراح، ثم تعفن الجروح ولكنها سرعان ما تندمل ويتعافى
الساقان.

يعارض الصبي ويعجب لحفظه.

يبادله الصبي إعجابا بإعجاب، يعجب للمناخ الذي يجده،
ينتشي بأحاسيس رائعة سيفتقددها ولن يستطيع بعثها في كبره،
تُعائش أحاسيس، ثم تهرب منا دون رجعة، بين الحين والآخر
يتناوب الصبية على "البرشمان" يشاركون في عملية تتم
بواسطتها خياطة الجلباب الصوفي التقليدي، خياطة فقيه
يجمع بين الحرفة والقرآن، يخيظ وهو يقرئ "المحاضرة"
آيات القرآن وسوره، يقبض صبي خيوطا من حرير منها

الثنائي "الريبب" والرباعي "الرباعي" والسداسي "السداسي" وقد تكون مشتركة رباعية "رباعي" مع فردي واحد وهي "الخماسي" ..

الخماسي عملية تأخذ أطراف الجلباب الذي يراد خياطته فينقسم إلى عدة أطراف.

ف"الهبطة" هي الخياطة الرفيعة، وهي الأجل، جلبابها سميكة متقنة الصنعة، تهبط من فتحة العنق وبها مجموعة عقد مقلدة داخل عيون من الحرير إلى فتحة الجلباب التي تنشق على البنان، وهناك الجوانب المسماة بـ"الخراط"؛ مثلثات قاعدتها مستطيلة، تشق من الأسفل ورأسها إلى الأعلى يشد جذع الأكمام وظهر الجلباب ووجهه، تتوسطها جيوب مفتوحة في الغالب على الهباء.. وتخاط هذه الجوانب عادة بـ"الرباعي" كباقي خياطة أطراف الجلباب الأخرى باستثناء فما الكمين ومقدمة "قَب" الجلباب وحواشيه والأكتاف، التي تكون خياطتها متميزة.

الفقيه يخطط الجلابيب، يدرّس القرآن وهو منكر لدار البارود.

تمر الفصول تلو الفصول ويستبطن عن الذهاب قليلا فصل الشتاء، يجلس فيه الفقيه منكمشا من شدة البرد، يستعير أجوبة من بدو مدشر بو عبّاد، إذا كان الفصل شتاء وسألت أحدهم: من أين أنت؟ يجيبك بصوت خفيض كأنه قابع تحت لحد، أو دون أثير، وإذا كان الفصل صيفا تأبط كسرة من زرع أو شعير وجلس إلى الصبّار بعد جنينه، ثم شرع يزدرده، وعندها إذا سألته عن موطنه نهره مستكرا:

شَعْبَاكُ فَبَابَاهُ" .. يسعفه خاي محمد الخبّاز بجمر من فرن "التويتو"، يستدفي به بعض الشيء، يتمنى الأطفال للفقيه برد ألاسكا حتى لا يرفع يده بالقضيب ولو أدناهم إليه بأمره كي يعضّهم.

يجلسون إلى فضاء يدج سقفه من كثر الثقوب فيه، تتحرك جوانبه من كثرة طرق ربح سعد بلع، يغلق الباب بخلاّبة تركت حفرها فيها غير حشرة السوسة، تصوم صياما عجيبا، تنقطع عن الطعام ثلاث سنوات، لم تكن الخلاّبة من نبات البلوط تصطفي السوسة ثماره لتبيض فيه، لم تشأ أن تبيض، يحكم

شناكل النوافذ بغرزها.



عند هجوم يتجاوب الفقيه وطلابه، يهرعون إلى جلب
القصاص وطَيّ الحَصِير، توضع القَصْع لجمع القَطْر، ومن حين
لآخر تقضي حركة البراعم بقلبها فتبلل ثيابهم لتزيدهم بردا
إلى بردهم، وبمجرد نصيها تنطلق منها أنعام شجية.

تتنوع موازينها باهتزاز الذرات، وتتنوع إيقاعاتها من غير
مفتاح ضابط، ولكنها تؤكد سموها في الاستطراب.

تجلب صمت الأرزقة وسكون الأحياء في فطور رمضان،
تتابعها الآذان إلى أن تستقيم على إيقاع واحد أو يتوقف
المطر.

وسكن المطر، وأشفقت الريح، ولكنها لم تسكن في أذن
الفقيه، لم تعد طيلتها تتلقى رسائل السقف، فأمر بفتح
الباب.

نهض محمد ففتحه.

دخل من غير استئذان يشوي رجلي الفقيه فتأذى فطلب من
المختار إغلاقه من جديد، ولكن:

✿ إذا أغلقناه الآن فسنفتحه عند خروجنا، ثم يغلق، إذن نغلقه مرة واحدة بدل مرتين.

ازداد الفقيه برودة، وبالكاد نطق:

✿ انظر لنا خارجا هل ينزل المطر؟

تردد المختار قليلا واستبطأته عزيمته فتوانى وسقط في يده،

فدخلت الفقيه فرعة من كلبة محمد

فمرر يده على ظهرها يتحسس

البلل، ثم قال:

✿ لا، لا ينزل المطر "آسي".



ينهض الفقيه وقد حرّ من غضب شديد وتبخر فيه البرد فأخذ

"المحاضري" من أذنه وأنهضه وتقدم به إلى الباب وهو

يخاطبه قائلاً:

"قل لأبيك إن شئت أن يستمر ابنك في تعلم القرآن فاذهب

إلى البقال واشتر نصف كيلوغرام من الحلم فالفقيه في حاجة

إليه حتى يصبر أكثر على ابنك.

يدخل محمد قسم مدرسته بوادي اليهود في الساعة صباحا،
دورة الأرض حول الشمس لا تغير من روتينه شيئا، يعرض
على الفقيه قبل ذهابه لوحه من جهتين، ثم يمحوه.
يجلس في قسم من ألواح وُدُسِر.

برأفته تُركب في مكانها قطعة قطعة، تُحمل بالشاحنات
وتوضع حيث يراد لها، إلى جواره تلميذ من سبعة عشر ربيعا،
خلفه ذووا الخمسة عشر والعشرين، بينهم صغار في الربيع
السادس والسابع من ضمنهم محمد، نوافذ الحجرة تكشف
عن فضاء أخضر ساحر من جبل الكبير وسكوسيا
والقسيعات وعشابة..

إذا أطلت من جهة الشرق نحو الشمال الغربي تقع في
شروود. تلتزم عينك المرور بين سدين ربما يموج تحتها
ياجوج وماجوج، قريبا من المدرسة كوميساريا وادي اليهود،
عميدها البلجيكي يساعده البريكادير مولاي، تقف مدام
أسايا Asaya إلى السبورة تشرح بالفرنسية، تتحسّر على
دنوّ أجل مغادرتها إلى تل أبيب وقد جهلت حق العودة لمن

يكون. ليس للفلسطينيين هو، بل لليهود الذين غادروا إلى فلسطين ما لم يكونوا مذبذبين مدانين هنالك أو هنا. تحب المعلمة طنجة وتهيم بها، لا يكره طنجة إلا كاتب حقير ذو توجه بولبوزي Paul Boz، تقف بين التلاميذ بتورة تكشف عن ساقها وشيء من فخذيها، لا يذكر الطفل أنها قد استبدلتها ولو مرة واحدة طوال السنة الدراسية، إذا وقف التلميذ إلى السبورة ليكتب بالطباشير كلمات وأرقام وندت منه معلمته نفر منها ظانا أنه يحمل رائحة كريهة قد علقت بحذائه عندما داسها في شرود وغفلة، لم ينتبه لقرف ما يخرج من أسفلها إلا محمد لحفاظه على نظافة بدنه ولباسه من أجل الممارسة اليومية لهدية السماء، وينتفض التلميذ، ويتحرك صاحب العقدين من بين صبية صغار. يقفز من النافذة، ثم يعدو سريعا. ينكسر لعدوه سوق الزرع وتتطاير حباته من سنابلها، يتابعون ركضه في فضول، لا درس عندها ولا شرح أو كتابة..

ينحني التلميذ على ركبتيه بعيدا عنهم ويفعل ما يفعل دون أن يبين، ينحني على



مطبق

على طير أبي الحناء أو "عيشة القازعة" من عنقها، يرفع الفخ عنها، ثم يخيط فمها بريشة ينتفها من ذيلها أو أحد جناحيها.

يدخل الريشة في أنفيها ويديرها على منقارها، ثم يعقدها برفق حتى لا تفتح فاما للعض دفاعا عن نفسها، ثم يعود إلى قسمه غانما صيدا.

يدخل التلميذ من حيث خرج، ويضع غنيمته في محفظته، ثم ينتبه للسبورة ولمعلمته، ولكن مع انعطافات متكررة يراقب بها حوم الطير على "قُرييو"؛ البرقة، يرقة فراشة، أو يصطفي مالوشا يظل يكافح للخلاص من فخه فيجلب بحركته نظر الطير من بعيد. حين يعود محمد إلى بيته يجد أمه بانتظاره وقد رقيت بمحبته إلى الذروة. تنتظره مغتبطة وقد صنعت له غذاء لذيذا. نادرا ما يجد أباه لانشغاله، يتغذى بسرعة، ثم يدخل المسيد، يكتب لوحه من جهتين، ثم يدخل قسمه في الثانية بعد الزوال. قدم مرة وهو يحمل في يده كتاب:: بيان لير إكوميغوندر

Bien Lire Et Comprendre

وبينما هو يدرج إلى بيت أمه والفقير يدرج إلى الزنقة ناداه:
محمد يا محمد اليوم يوم "المعروف" وهي نوبتك،
ليكن طعام المعروف اليوم ألد.

— نعم.

أخذ منه محفظته فأخرج منها الكتاب وشرع يتفحصه،
أخرج دفاتره بالعربية وقرأها، ولكنه عجز تماما عن قراءة
تلك التي بالفرنسية. منحه محفظته مبقيا على الكتاب
الفرنسي، ثم منحه إياه ولم يعلق بشيء. تحلق حولهما
"المحاضرة" وتناقلا الكتاب. يقبلون صفحاته وهم
يستفسرون عن حروفه وجمله. قرأ عليهم شيئا منه فلم
يستوعبوا حرفا واحدا مما خُطَّ فيه، استعار دور المعلم وخلق
بينهم محادثة، يرددون معه وهم لا يحسنون نطق الحروف
الأعجمية، وكان الفقيه لا يزال بينهم، تحسروا على ما فاتهم
من جهل باللغة الفرنسية. ظل دميغو فقيها ناسلا حتى وهن
عظمه واشتعل رأسه شيئا، لم يتخرج على يديه حفظة
القرآن، ولا خيَاطوا الجلابيب، غاض حظه في المسافات،

تنبه إلى فشله في وقت مستقطع فحاججه، ولكن.. تخرّج على يديه جيل يتقن عدة لغات، أضحووا مرشدين سياحيين ينهر لإتقانهم اللغات؛ الأجانب، يدلّون السياح ويرافقونهم إلى الأماكن الأثرية. عرفت طنجة شبيبة متخرّجة من المسجد، تتكلم اللغات بطلاقة بفضل الفقيه دميحو، صار أغلب "محاضريّة" السّي دميحو مرشدين سياحيين يعرفون بمآثر طنجة المعطاءة، بتفوقها على سائر المدن المغربية، طنجة أم المدن، طنجة شمس المغرب، توزع دفءها وتبسط ظلالها وتبلط دماثها حتى مراکش وأغادير.. ظلت كذلك إلى أن

طمست فيها السياحة ودرست درسا من البغال الأدميين، ثم حل عليها منعكسا على سائر المدن العربية؛ موسم حصاد الوهم. ظل المختار كسولا، لم يحفظ القرآن، ولم يتعلم صنعة الخياطة، ولم يواكب في مدرسة. تورّمت يداه في "البرشمان" حتى بات يحركهما في منامه، نالت منه العادة كما نالت من الميكانيكي شارل شابلين.. انتقل إلى معترك الحياة وعمل في المصانع والمعامل، وكلما تذكّر أباه ترحم عليه.

فصل



المدحده القاتل

قطعة

يتناول الحجر الذي يسع قبضته فيهوي به على رأس الطريح المنهار، يصيب جميع بدنه، يمثل دور الصبيان والأطفال حين يتحلقون حول جرد يقتلونه.

يركله بمقدمة حذائه في عينيه وفمه، ربما اعتقد أن رأسه كرة، تتطاير الأسنان من فم الضحية منتشرة كما لو كانت عقيقا في خيط انفرط عقده، يسيل لذلك الدم ويفور..

ظلا على حالتها حتى انقشع الصبح، فتبين أمره للناس، ثم حمل إلى المستشفى ليسعفه، ولكنه قضى فيه، قضى بعدما نطق باسم "عزي" وشريكه اللذين قتلاه.



لم يقتلاه لدنياه وحده، بل قتلاه لدنياه ودنيا والده، ثم ما لبث الشيخ الكفيف أن التحق بابنه مكلوم القلب مجروح الفؤاد.



The image displays a page of musical notation for piano, organized into two systems. The first system consists of two staves: a treble clef staff on top and a bass clef staff on the bottom. The second system consists of four staves: two treble clef staves on top and two bass clef staves on the bottom. The notation includes various notes, rests, and dynamic markings, such as accents and slurs. The music appears to be a complex piece, possibly a sonata or a study, given the density of the notes and the use of multiple staves.



غادر إلى بيت أمه عبر طريق حنّان زمن مجزرة أمريكا
في "العامرية" ثم توقّف،
لا يسكّن حركة من
داخله، ماذا أشاهد؟ هذا
سؤاله.



هل ذا حقيقة؟ وهذا تساؤله.

انطلق لسانه: ..أجل رجل مسن كرّثة، عمى وفقر مدقع
ومطوح، يُرَجُّ كماء مغلّي بصيرة، يقفّف من شدة البرد أهّة،
لطول المعاناة من القشعريرة، ويلبس أسمالا ببوله بلّها، صبي
كبير بفقد العناية، وإنه طفل إذ أصيب بجنّة، فلم يستطع
عقل أيّ صغيرة، أنا لست شماتا بوصفي لحاله، ولست لتيما
مهينا بسيرة..

يجلس إلى عتبة باب كريمة، اعتاد الجلوس إليها كلما أخرجته من براكته الجوع والبرد، لا يفتر عن القفافة حتى يتذوق طعاما يستدفي به فيمنحه شيئا من الطاقة..

شيخ طاعن يعيش مع ولد مراهق وكأنه وحيد، لا شيء، وهل يكون الشيء في اللا شيء؟

يرعاه الإهمال، يعوله السراب، يعتني به الظلم الاجتماعي، يرفق به الجوع، يعرفه مختار الحي، يسكن دماغه، يقتعد اسمه مكانا بارزا في لائحته، وحين يوزع الزيت والدقيق على الفقراء وعلى فترات متباعدة يسرق حصته، تسرق حصص وسعت معدا بحجم معدة الضبع والفهد والأسد، المفترسون قواد، ضباط، متنفذون، يستعملون سيارات الدولة لشحن المساعدات لبيعها. بلي جلد الشيخ حتى سدت عنه مسامه، يستحيل إلى شبح زوار يقتحم أحلام الفقراء، ولا يجرؤ على غشيان أحلام المترفين والمرفهين خشية إفسادها، يستجدي الجيران بحاله مستطعما مستسقيا، يطعمونه ويسقونه، ومن حين لآخر يذهب به شباب "المعدنوس" إلى الحمام العمومي، ثم يصبح نظيفا في جسمه وجلبابه..

جُنَّ جرّاءَ فقدانه لابنه، فقدّه في قتل متعمد، قتله "عزّي"
جبان، يذكر الناس وقاحته وجرأته وفحش كلامه، لا يرى عند
سياج يعود إليه ذا أو
امراة مسنة
تعاني أمراض العظام
والمفاصل
تأخذ حماما شمسيا في
رمال شاطئ
"مرقاة" الذهبية إلا
ويقترب



منها في أدب ومودة وتواضع غريب، يبدأ بسؤالها:

"ألّا شنو كتعملي هنا؟".

فتجيب على البداهة:

"كنتشمنس أبني"، ثم ..

ألست تقولين أن الله خالقك؟

نعم.

وكم شهورا استغرق تصويرك في رحم أمك؟

تسع أشهر.

أنا قادر على تشويه صورتك في دقيقة واحدة، انهضي من
هنا "ألشارفة، ألشارفة".

يهيج ككلب تقرصه البراغيث، يسيح الشاطئ ولا يجروُ قائد المقاطعة ولا عامل المدينة على منعه من احتلال الملك العمومي بسبب خادمة من عائلته تعمل في قصر الحسن الثاني، ينتفض وهو أجبين من فأر، يشرع في سبها وشتمها ونعتها بـ"القحبة" وبنيت الحرام، يسب لها أبها وأمها ودينها..

صارت هذه سيرته مع الناس من كبار السن، ينتقيهم بفراصة المنجّمين، لا يسبّ أو يشتم حتى يترجّح لديه أن ليس وراء من يسبهم حماة، أو ليسوا ممن لا يتجاوزون باتخاذهم إجراء الحياة أو الموت لرفضهم الظلم والإهانة، يحوم حول مقهاه النسر المستخوشي "بوسلهام"، وما إن يرمقه أو ينقل إليه أحدهم خبر حضوره حتى يخرج إليه باشًا بشاشة لونه عارضا عليه طاجينا من سمك وخمور وجعة، يدفعها له رشوة كي لا يحدث فوضى قد تنتهي إلى نفور الزبناء من مقهاه وإتلاف أمتعته.

خبث الرجل فأضحى كالظربان، جبن فصار كالجرذ، اصطاده الشاب "الكُمري" في طريق مرقالة ليلا ففرع فرع الحمار

الوحشي من الأسد وركض هاربا تصطفق إلتاه لعزف عقبيّه
ويصيح: "المخزن الحبيب.. المخزن الحبيب..".
ما أنجاه إلا فراره، لا يسير إلمرافقا بأوغاد يحمونه مقابل
حشيش ونبيد.. قتل "عزي" ابن الشيخ الكفيف، عاونه على
قتل "المهدي" مثليّ يسكن حيّ محمد، يشبعان المهدي
ركلا ورفسا، ثم يغادران إلى العهر والسكر، عندما تمضي
سويعة جريحة تدفعهما ثمالتهما إلى العودة، الطريح الجريح
يجر نفسه كالسلفاة، كلما تخليا عنه واستعاد وعيه زحف
مبتعدا يريد النجاة، يعودان إليه ويجهد بسيط يعثران عليه،
ثم يشرعان في تعذيبه بسادية يترفع عنها عتاة الأبالسة، يقول
له عزي: "باقي ماموتي"، يسب له دينه وريه، يتناول الحجر
الذي يسع قبضته فيهوي به على رأس الطريح المنهار،
يصيب جميع بدنه، يمثلان دور الصبيان والأطفال حين
يتحلقون حول جرذ يقتلونه، ولكنه ليس جرذا، أو قد يكون،
يركله بمقدمة حدائه في عينيه وفمه، ربما اعتقد أن رأسه
كرة، ظل يركله في وجهه حتى أذردّه، تطايرت من فمه

منتشرة كما لو كانت عقيقا في خيط انفرط عقده، يسيل
لذلك الدم ويفور..

ظلا على حالتها حتى انقشع الصبح، فتبين أمره للناس، ثم
حمل إلى المستشفى ليسعفوه، ولكنه قضى فيه، قضى
بعدهما نطق باسم "عزّي" وشريكه في القتل، لم يقتلاه لدنياه
وحده، بل قتلاه لدنياه ودنيا والده الشيخ، ثم ما لبث أن
التحق الشيخ بابنه المهدي، لحق به مفطوم الزهن مكلوم
القواد.

تنقل في حيه المعدنوسي يداعب الأطفال ويتفقد أصحابه،
يستفهم ويسأل عن أحوال الجميع، اعتاد رعاية شؤونهم ولم
يكن يقتصر عليها، يستجمع تظلمات وتظلمات، ويحار إلى
من يرفعها، يرى أن التوجه إلى الظالم بمظلمة توجه خاطئ،
فجأة ارتبك وانطلق لسانه:

ألا يا صبي الحي لم أك عالما، مصابك إلا بعد سمع
الأذينة. انزعج وغضب لأخبار طفل جيرته، ذهب يردد:
يجوع فيطعم ماء كأنه، بصحراء قد آنس شدة غلة، أيكي؟
نعم يكي لوحده، ولا يضمن عليه بشيء إلا باللقمة، دقيق

لقمّح وماء رضاعه، يعاني من البرد ومن طول بلة. أحزنه ما يحدث للصبي، غمّ لما يجري في حياته البريئة، بكيه من قلبه، لام كيانه المزدوج، هذا الإنسان الإنسان، إنسان عادل رحيم، وإنسان ظالم جهول، طاف يقلب الحضارات ليقف على واحدة عبارة عن مصنع يتم فيه مسخ الإنسانية، وأخرى عبارة عن عربة يجرها خنزير أعمى، مال يحذر نفسه من الغضب لأنها قد تحالف الشيطان ضده، جدّ في طلب مرتاج المسؤولية فافتقده، يميل إلى الشيطان الجني فيجده غيبا إلى حد ما، بينما الشيطان الإنسي في رأيه داهية، يميل إلى الغفلة فيجد أنها قد أوقعته في وسط الغشاشين، إنها الدواهي المسقية بمرشاة فكر دوني جلب الفقر والعوز والبروقراطية، طار صوابه للصبي، للحبيب الصغير، يعامله في ذهنه كما لو كان يرثيه، يحرك لسانه: حبيبي الصبي تجوع وأجهله، وتمرض في أشهر دون ستة، يفرط فيك الأقرباء ووالدك، فماذا جنيت وأنت كريشة؟ مصاب حبيبتك الأم هنزي، تجن وداء السل عند الصدارة، يصاب أخوك بنفس مصابها، وإن لم يجن فهو مشلول صبية، بنات صغار

أخواتك من أب، وأمّ يذقن مرارة عيلة، إنها المأساة، هذا ضياع.

إنه الضياع، الضياع.

ضياع ضياع..

هام على وجهه محبطا، استدعى من ذاكرته وعودا صنعت دوامة في رأسه فدارت به حتى قرف وهاج قيئه، يتذكر كلابا ضارية تعود في قيئها ولا تتحرج، يرى أنهم يتقنون الكذب ويخترعون بعقرية، ولكنهم لا يستطيعون ترتيب أكاذيبهم في كل مرة، يرى الغباء في الكذب أن ينسى الكذاب كذبتة، ثم يناقضها بكذبة أخرى، وهام يناقضون كذبهم بقفة منه، إنهم يمشون في الظلام، ولذلك يحتاطون أكثر، إنهم كالأفعى الممسوكة من الذيل تنقلب فجأة فتؤذي.

هام مراكضا يستقل الأسي، ومحبطا يلعن ألسنا تعد ولا تفي، وقلوبا تقسو ولا تحنّ. يلعن إهمالا يحسه جريمة عقابه تدوؤ الحازوق مرتين، وفي الثالثة دفعه حتى يخرج من الفم الذي يعد ولا يفي، يكذب ولا يصدق، يستبيح سب المستشارين وإهانتهم، يستبيح شتم السلطة العليمة، ويتردد

قليلا في الجاهلة، لم يستطع إسكان ذهنه وإراحة باله، يهتز جسمه كما لو كان مصابا بالزهايمر، يحرك رأسه بشكل لافت، يثير الفضول وهو الرزين المتزن، جن الرجل ربما، صار يهذي.. استوقفه صديقه وصديق والده "المعلّمي" كعادته معه كلما لقيه، تفاجأ لحاله ولم يتردد في إمساكه من ذراعه، أخرجه من عالمه مخاطبا إياه:

محمد.. محمد.. ما بك؟ فأجابه على التو:

— أه ه ه ..

☀ ماذا جرى؟ ما خطبك؟

— ويلكم، رضيع تضع له أخته الدقيق بدل الحليب في يشرب المسكين دقيقا مخلوطا بماء الصنبور، رضيع اللبؤات يمتص حليبا دافئا من اللبؤات إذا فقد أمه، تكافل في الغابة، تكافل



عند الحيوانات وماذا عندنا؟ ماذا عندنا؟

☀ محمد..محمد..

— أصبحت القلوب قاسية، كصفوان، مُشمَّعة، في الأكنة،
غلف، فظة، فظة..

انقلب من مزاجه العكر إلى أعكر منه، تنبه للواقف بين يديه
فهاجمه يقول:

أبعد عني، لا تكلمني، أطلق يدي..

☀ ماذا فعلت لك؟ ما هذا القلب؟ وما هذا التشقلب؟

— ماذا تفعل يا حقير، ماذا فعلت بالأمس؟ شاب مجنون
يترجك من أجل لقمة أو لقيمات و"سبسي" واحد أو اثنين
من "الكيف" ويعرض عليك أن تواقعه مقابل ذلك، ما هذا؟

☀ وماذا أفعل له؟

— إنك أنت السبب، فهو مجنون، لولا استدراجك له ربما
وإغواءه، بل وفحشك به عند موقد الحمام فيما مضى لما
عرض عليك مواقعه، تغريه بلقيمات وشاي و"حشيش"
واستدفاء في "الفورناتشي".

انخلع من يده كما ينخلع الضرس بكالآب الطيب وذهب
يخاطب نفسه بكلمات لا تفهم رغم ولوجها الآذان، سار

وهو ناغم ساخط، يرفع وجهه إلى السماء رهباء من الله،
ورغباء إليه، يقول لصاحبه: "باغاد مني، باغاد مني" ..



فصل:

المذاق الدلسي

فطيرة:

من نسانهم من لا ترفض طلبا لـ"كاوري" إذا ما دعاها أو
اصطادته، تضطر إلى ساعات طوال لاستنهاض شهوته ولا تمل،
المهم: المال للعطلة السنوية، منهم من يجمع أمتعته وألبسته
ملتقظا إياها وهي مرمية في الشوارع والأزقة، يقصدون أسواقا
أسبوعية، ينتظرون بفارغ الصبر انتهاء زمن التسوق، يجمعون
ما يخلفه "الفلامانيون"، اعتادوا على اقتناء المستعملات دون
ثمن مدفوع، كل شئ مستعمل، ولأوكازيون طعم خاص "دُلسي"
مذاقه، أثاث مستعمل، لباس مستعمل، ونساء أوكازيون.

Piano

The image shows a musical score for piano, consisting of two systems of staves. The first system includes a treble staff and a bass staff, while the second system consists of a single treble staff. The music is written in common time (C) and features a sequence of chords and melodic lines. The first system's treble staff contains a series of chords: C4-E4-G4, C4-E4-G4, C4-E4-G4, and C4-E4-G4. The bass staff contains a series of notes: C3, D3, E3, F3, G3, A3, B3, C4, D4, E4, F4, G4, A4, B4, C5. The second system's treble staff contains a series of chords: C4-E4-G4, C4-E4-G4, C4-E4-G4, and C4-E4-G4.

The image displays three systems of piano sheet music, each consisting of a treble staff and a bass staff. The first system shows a melodic line in the treble staff with eighth-note patterns and a bass line with a steady eighth-note accompaniment. The second system features a more complex treble staff with sixteenth-note runs and a bass line with a similar eighth-note accompaniment. The third system is a repeat of the first system's structure. The music is written in a standard staff format with a key signature of one flat and a common time signature.



استقدم إلى أرضنا منذ ثلاثة بلايين سنة، هو الوحيد من بين أشياء الطبيعة يحمل ثلاث حالات، أخذ منه ما يكفي وأدخله بيت الداء، ثم از... ■

انبطح الزمان فامتطى ظهره وحبا به، يحسبه والده، ويحسب نفسه طفلا، ثم ما لبث أن صار كما هو كائن، وصار هو كما لا يزال، ولكنه يتقدم في العمر، للزمن عمر هو بالغه، ووجدته..

يجلس إلى مائدة في مقهى علال بشارع "موريس لومونيي Maurise le monnier"، في بروكسيل 1000.

يحاذي صديقا له يلعب الورق، إلى اليمين وإلى اليسار وفي الخلف وفي الأمام وجوه مهاجرة لفظتها البادية على حين غفلة من حماتها.

يغص المقهى برجال أميين، وشبان في الفكر والثقافة كالقُعب
المثقوب.

عمالقة عباقرة في التقردن والتردُن، لا يقيمون وزنا إلا
للإسمنت، يلعبون "البارتي"، يقيمون بـ"دومينو" لعبة النرد
فوق لوح خشبي مربع عليه رسم اللعبة من بضع عشرات من
السنتمترات يغطيه لوح زجاجي يضربون عليه النرد، يقيمون
بخمسين فرنكا ومائة من الصباح حتى المساء والليل، لا
يبرحون أماكنهم إلا إلى دورة المياه أو إلى "البُونطاج"، في
دوائر ومكاتب "الشوماج".

فاسدون في أخلاقهم، فاشلون في تربية أبنائهم، وقحون في
تناول أعراض بعضهم بعضا، منهم من يسترزق بعضوه مع
"شارفات وشاففات"، المهم:
المال للعطلة السنوية.

فيهم من لا يرفع الخمار عن عقله، يضطرون تحت ضغط
الحاجة لمواقعة الشواذ في "لابورس" وإن وقوا في
المراحيض العمومية، المهم:

المال للعطلة السنوية.

من نسائهم من لا ترفض طلبا لكأوري إذا دعاها أو اصطادته، تضطر إلى ساعات طوال لاستنهاض شهوته ولا تمل، المهم:

المال للعطلة السنوية.

منهم من يجمع أمتعته وألبسته ملتقطة إياها وهي مرمية في الشوارع والأزقة، يقصدون أسواقا أسبوعية، ينتظرون بفارغ الصبر انتهاء زمن التسوق، يجمعون ما يخلفه "الفلامانيون"، اعتادوا على اقتناء المستعملات دون ثمن مدفوع، كل شيء مستعمل، وللأوكازيون طعم خاص "دُلُسيّ" مذاقه.

أثاث مستعمل. لباس مستعمل، ونساء أوكازيون.

كلما شرعوا في جمع الخردة التي يخلفها التجار، امتعضوا منهم، وحنقوا عليهم، ثم ابتدأوا يتلفون أثاثهم وأمتعتهم وألبستهم.

يكسرون ويمزقون ويتلفون ولا يسمحون لهم إلا بما انفلت ونجا من التلف، يظنون واقفين حتى تُلقى مخلفاتهم في شاحنة الأزبال.

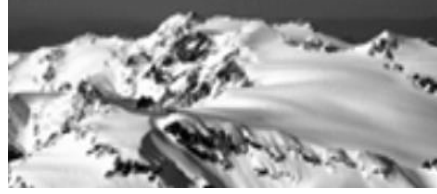
ينشط أولئك في شهر مايو ويونيو نشاطا ملحوظا.
إلحاح السفر ونداء الوطن ذو نكهة روحية. فتيات البؤس
والحرمان يضغطون أكثر وأكثر في أواخر الربيع وبداية
الصيف. تنتظرهم بوابة البوغاز راقصة فرحة، ضاحكة
مستبشرة لدخول المدينة سالمين غانمين.
لا تحاسبهم أم المدن المغربية على مصادر أموالهم إذ لا
مقياس لها.



يستقدمون سيارات بلوحات ملونة بالأصفر، والأبيض،
والوردي. ألوان براقعة لماعة محببة للفتيات و"الهجالات"
اللواتي انخدعن بمظاهر البجوحة.
ينتظرنهم بإحساس للقيم يقف عند محطة الصفر المطلق،
يجلسن معهن من الجنوب المغربي البئيس رفقة مختارة.

يهرَّبُ أحيانا نساء إخوانهن حسب مقاييسن للجودة وجذب الزبون.

يكثرين في غفلة عن حفدة ابن بطوطة "برطمات" مفروشة، و"كرسونيات" مسحتها حديثا يد الطلاء استعدادا لاستقبال



جرذان الثلج، ويلتقي الجميع في مضمار المهرجان.

شباب موزيون، فتيات "موضيات"، "هجالات" خبيرات، نساء متزوجات مهربات، سيارات ملونة، مراكب مغرية، ألوان بيضاء وصفراء ووردية، معاكسات مؤدبة، تسابق على الصفوف الأولى في "الأطوموبيلات".

الكل يتداخل في الكل، والجزء ينفلت كالإلكترون المتأين. سيارات مستعملة، ونساء مستعملات.

لا يقدمون لوحدهم. تمتلأ الطرقات و"الأوتورات" بمهاجرين يتميزون بنساء غير مستعملات إلا من قبلهم. حافظوا على هويتهم.

تحرروا من جهلهم، من تخلفهم، ومن أميتهم بفضل جهود
مضنية شارك فيها علماء وجماعات إسلامية وتكتلات حزبية.

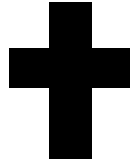
لم يستهدفوا الإسمنت
ويهيئوا به لوحده وقد
وُفقوا في الحصول عليه؛
وبصحتهم.

استهدفوا الارتفاع
الفكري، واصطبغوا بلون
تراثهم الثقافي.

راموا دور العبادة، تكتلوا



وخيرا فعلوا.



بدو مهاجر لم ينضع بالأضواء فرّخ في
بلاد الغربة ونجح في ربط السلف بالخلف.

ويدو مهاجر آخر انضع لها وفرّخ في بلاد
فخسر نفسه وأهله وولده..



فصل:

بنات حاتم الطائي

قطعة:

إن ارتداء اللباس الأوروبي باتقان وبحسب الموضة يدل على تحضر..

جميلاً، وربما يملك أسلوباً تعلمه في الفضائيات ونوادي الكليب.



يلبس

إلى زوجها فتجده "كَيَحْشَمُ، ما مزيون، كَيَعْرِفُ يَشْطُحُ، ما كَيَعْرِفُ يَغْنِي" لا

تنظر ما

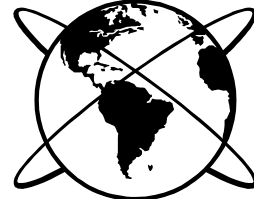
يتأنق، يلبس التقليدي، وإذا لبس السراويل والبذلات " ما كَنَجِيشِي" معاه لأنه "مهاوكر" لا يتقن الحديث، ولا يتقن في الكلام الذي يخفي الكلام، يهيم الفتيات والنساء ويستجبن بسرعة قياسية، تدفع بعضاً منهن نيات حسنة، ولكنهن لا يدركن حقيقة "الزّلاوليا" لا يرينهم ذناباً يتخفون خلف جلد الحمل، لا يرينهم ثعالب أو ثعابين، منهن من تستر تجاربهها الفاشلة، تجتر الأسي، وألم الأمراض الجنسية الخبيثة، ومنهن من لا يسترنها، يجربن لعشرات المرات والمآت ولا يزلن، يعتبرن أنفسهن طاهرات وخير من المومسات.. إذا ذهب الصيف احتفظن بذكريات غاشمة، ولكنها تبقى على بعض الأمل، تتكرر الحالات لسنوات حتى يضيع الزمان وسط المكان.



The first system of music consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains a sequence of notes: quarter notes G4, A4, B4, C5, quarter notes D5, E5, F5, G5, quarter notes A5, B5, C6, D6, quarter notes E6, F6, G6, A6, quarter notes B6, C7, D7, E7, quarter notes F7, G7, A7, B7, quarter notes C8, D8, E8, F8, quarter notes G8, A8, B8, C9. The lower staff is in bass clef and contains: quarter notes G2, A2, B2, C3, quarter notes D3, E3, F3, G3, quarter notes A3, B3, C4, D4, quarter notes E4, F4, G4, A4, quarter notes B4, C5, D5, E5, quarter notes F5, G5, A5, B5, quarter notes C6, D6, E6, F6, quarter notes G6, A6, B6, C7.

The second system of music consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains: quarter notes G4, A4, B4, C5, quarter notes D5, E5, F5, G5, quarter notes A5, B5, C6, D6, quarter notes E6, F6, G6, A6, quarter notes B6, C7, D7, E7, quarter notes F7, G7, A7, B7, quarter notes C8, D8, E8, F8, quarter notes G8, A8, B8, C9. The lower staff is in bass clef and contains: quarter notes G2, A2, B2, C3, quarter notes D3, E3, F3, G3, quarter notes A3, B3, C4, D4, quarter notes E4, F4, G4, A4, quarter notes B4, C5, D5, E5, quarter notes F5, G5, A5, B5, quarter notes C6, D6, E6, F6, quarter notes G6, A6, B6, C7.

The third system of music consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains: quarter notes G4, A4, B4, C5, quarter notes D5, E5, F5, G5, quarter notes A5, B5, C6, D6, quarter notes E6, F6, G6, A6, quarter notes B6, C7, D7, E7, quarter notes F7, G7, A7, B7, quarter notes C8, D8, E8, F8, quarter notes G8, A8, B8, C9. The lower staff is in bass clef and contains: quarter notes G2, A2, B2, C3, quarter notes D3, E3, F3, G3, quarter notes A3, B3, C4, D4, quarter notes E4, F4, G4, A4, quarter notes B4, C5, D5, E5, quarter notes F5, G5, A5, B5, quarter notes C6, D6, E6, F6, quarter notes G6, A6, B6, C7.



بمنتزهات المدينة، في الصالونات، على الشواطئ، في
الطرق، في الشوارع تطفئ مظاهر الفرحة، تتحرك عضلات
البشاشة مرغمة، يظهر الحبور المصطنع، يتكيس
المتكيسون، وتتكيس المتكيسات لأداء الأدوار وإتقانها،
تتحرك الأنامل لتحسس الأوراق النقدية لإخراجها ودفعتها
ثمنا لسلمة محصلة، أو خدمة مقدمة..

تتداخل الأذواق وبالكاد تتباين، تنسجم الميول متطلعة إلى
مثل أعلى يقف على قمة هرمه ذوق بيل
ومونيكا لوينسكي، يتسابقن إلى أسلوب
جربته مونيكا في البيت الأبيض، في مكتب
رئيسها تجتو مثل حية خرجت للتو من جلدها تلحس قضيبا
لا يتطهر من البول، عاشته وعاشته والرئيس مستو على



كرسي يتلقى مكالمات دولية ومحلية، تدير زوجها ظهرها له
لبرودته، تبحث عن فحل فلا تجد غير ما تبيعه الصيدليات،
يدير من كرسيه وبعريه وخبثته شؤون العالم.
ينتشي أيما انتشاء بحصار العراقيين وقتلهم، ترفعه فرحته



إلى الذروة عند رؤيته ثوكل مكالمات، يغتبط أيما اغتباط
ليتامى بإرهابه مروّعين، ولأطفال لا خبز لهم ولا معتصم وهم
بحصاره الآثم مجوّعين، يطرب لجرائم إسرائيل ويسعد أيما
سعادة بقتل أطفال غزة ويستحسنه، ثم يرقص متهللاً ويتمايل



ثملا ويشرب نخب ذبحهم.

تتخلل الأجواء والأفضية نساء وفتيات ساذجات غافلات يتعلمن دروس القضاء على الغفلة والسذاجة، الأساليب العتيقة في الاستمتاع بالجنس مرفوضة، التبرُّم من تذوق النساء والفتيات ممقوت، التفاخر بمعاشرة أكبر قدر ممكن منهن فحولة منشودة، نساء، فتيات، هجالات، متزوجات، يائسات المحيض، باهتات، متألمات، غنيات النضارة وفقيراتها تستهويهن سيارات مكيفة أنيقة، تعطي القمم تلك



التي تحمل شارة دوبل

في w، أما

فللمحظوظات فقط، يسوقها شبان ورجال ليس لهم من رجولتهم إلا الذكورة، يقفون إلى المرأة أكثر مما يقف النساء والفتيات، تقف البنت والمرأة من أجل إثارة الرجل بغية زواج مرغوب، أو شهوة مطلوبة، ولكن مقابل أجره، وقد تكون مجانية، نساء كريمات يفقن بكرمهن حاتما وابن حاتم وأبا حاتم، يقف "العواويل" وهم أزواج مخلّفون على فتيات في سن بناتهم، يقفون بأيد على المقاود وأذرع منصوبة على نوافذ مفتوحة، في غرناطة تقدم شاب إلى الامتحان لنيل

رخصة السياقة، امتحنه أحد أفراد عائلته، وكان قمة في السياقة، وأعجوبة في حفظ القوانين، ولكنه لم يجتز، أسقطه ذو رحمه لسبب وحيد هو أنه كان يسوق بيد على المقود وذراع مبسوطة على النافذة. يقفون على نساء يتحولن أو يمضين إلى حال سبيلهن، يعاكسونهن متفنين، يتسلحون بفن كلامي ييزون به شاعر الجن المجيد بَعْ لولا ما يظهر عليهم من قناع لا يتبينه إلا المحرب الخبير بهم، يغرونهن إلى أن يبدو الأمر لبعض المتزوجات جميلا، تشرع في المقارنة بينه وبين زوجها فتجد فرقا كبيرا، ينظرن إلى الذي يعاكسهن ويهتم بهن نظرة إكبار، وشهادة استحقاق.

"نحن جميلات فعلا ولولا جمالنا لما عاكسنا الشاب والشيخ". هذا قول بعضهن.

"نضارتي، حسن قوامي، رشاقتي وضوء ثغري يهز الأعمى فكيف بالمبصر؟". هذا قول إحداهن.

"ملاحظتي، شعر رأسي المنساب على وجنتي، نهدي الراصدتان محطات لا بد للوقوف عندها للاستمتاع بهما، ولذلك يكثر المهتمون بي".

هذا قول شامتهن.

"ساقاي الجميلتان بفضل خطيب الجمعة أبي الفاضل الذي أعطاني نقودا اشتريت بها "كريم" للدهان، قصة شعري المتميزة بفضل نقود والدي يثيران البليد الحس". هذا قول بنت فقيه لم يفقهها والدها. "جلبابي الشفاف المصنوع بإتقان على مقاص جسدي المكتنز؛ يميزه، وعورتي الخارجة في "المارشاريير" يثيران المتزوج بأربعة إن وجد، فكيف بالمتزوج بواحدة؟". هذا قول بنت مُجَلَّب ملتح مُطْرَبَش لا يفتر عن الذكر وارتياح المساجد، ولكنه "شكّام" ..

يعتقد الكثيرات أن ارتداء اللباس بإتقان وبحسب الموضة يدل على يد بيضاء مبسوطة عن سخاء..

يلبس هنداما جميلا، وربما يملك أسلوبا تعلمه في الفضائيات ونوادي الكليب، تنظر إلى زوجها فتجده "كَيْحَشْم، ما مُرُون، ما كَيْعَرَفْ يَشْطَحْ، ما كَيْعَرَفْ يُعْنِي" لا يتأنق، يلبس التقليدي، وإذا لبس السراويل والبذلات ما كَنْجِشِي معاه "لأنه أكثر من غبي "مهاوُكْر" لا يتقن الحديث، ولا يتفنن في الكلام الذي يخفي الكلام، يهيم

الفتيات والنساء ويستجبن بسرعة قياسية، تدفع بعضا منهن نيات حسنة، ولكنهن لا يدركن حقيقة من يعاكسونهن من "الزلاوليا" لا يرينهم ذئابا يتخفون خلف جلد الحمل، لا يرينهم ثعالب أو ثعابين، منهن من تستر تجاربها الفاشلة، تجتر الأسي، وألم الأمراض الجنسية الخبيثة، ومنهن من لا يسترنها، يجربن لعشرات المرات والمآت ولا يزلن، يعتبرن أنفسهن طاهرات وخير من المومسات.. إذا ذهب الصيف احتفظن بذكريات غاشمة، ولكنها تبقي على بعض الأمل، تتكرر الحالات لسنوات حتى يضيع الزمان وسط المكان.



فصل:

ظنان من العنصرية

قطعة:

دفع ممتلى الجسم مرادا يقول له:
(لا أريد أن تضع ثانية واحدة من جهد أحدكم، لا تظن أنك في
المغرب، في بلد الفراغ، الفرد منكم يقف إلى الحيطان ثلاثين سنة
ينتظر فرصة للعمل فلا يجدها، وإذا جازف في قوارب الموت
ووصل حقولنا فليلق بأوساخه في البحر، أو يتركها في بر
المغرب.



The image displays three systems of musical notation for piano, arranged vertically. Each system consists of a treble clef staff and a bass clef staff. The first system shows a simple melody in the treble staff with whole notes and a bass line with quarter notes. The second system features a more complex melody in the treble staff with eighth and sixteenth notes, and a bass line with a rhythmic accompaniment of eighth notes. The third system continues the complexity with a treble staff melody and a bass line featuring a dense, rhythmic accompaniment with many sixteenth notes and some triplets.



في انتظار الانسحاق الكبير، ربض الخيال في بُعدٍ
معقوص، لم يشأ أن يستبدله، تركه هناك ينساب بانسياب
الزمن. وعبر مجازفات ومخاطرات.

وسط خضم لا يقاوم، حملوا أحلاما وآمالا بللتها مياهه.

نزلوا طريفة بمطاردة، ثم حملوا إلى غرناطة بمقايسة.

وجاء موسم جني الزيتون.

في ربوع الأندلس تنبت المباركة.

في طنجة وربوع المغرب الأقصى تجنى
في أكتوبر.

وفي غرناطة وربوع إسبانيا تجنى في يناير وفبراير..

يسكنون أرميا Armilla ولاس غابياس Las Gabias

وسانطا في Santa Fe.

مراد ورايح من قسنطينة.
فلاديمير وفردريك من موسكو.
جاك وخافيير من أرخينتينا.
قدور وعلي وعياد من بادية العروبية، ومحمد معدنوسي من
طنجة.
كارلوس Carlos بدوي ثري.

يملك
يملك
فيها شجر
يقف
ويتبع الشمس قبل نضوجه. وإذا نضح نكرها. لا يقدها أو
يعبدها..

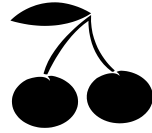


مستودعات للثوم والبصل.
حقولا شاسعة واسعة يقف
الزيتون حريصا مسايروا.
خجولا يعدل من هيئته؛
خلفوا وراءهم ذرية ضعافا خافوا عليهم صيّم حكوماتهم.
يخشون إمعانها في إفقارهم وتجويعهم.
ينتظرنهم على أحرّ من محرّك (بوجو Peugeot) قضى
ليلتين دافعا.
ينتظرون أمتعة تُغنم في حرب الجنابة.

يودون زحزحة الفخر حتى لا يظل مراوحا مكانه. ينتظرون
القدم الموفق والعوذ الحميد حتى يتعالين على جيرانهن..
على رماد جمر الغضا لابن عربي أقيمت قرية سكنية، وقفت
ثابتة وجذور الأشجار لا تزال تتحسس طريقا تحتها إلى ضوء
الشمس، منها ما لا تزال تتغذى على مواد عضوية للرحالة
ابن جرير.

حلت قرية لاس غابياس Las Gabias محل شجر الزيتون

والإجاص والكروم ..



في الأفق البعيد على مرمى

البصر يرى شجر الزيتون



متعامدا تدغده الريح. لا يضاھيه في الرؤية غير أفق

السماء، تصطفيه الطير المغردة لتضع فيه



يذود عن عشها

ذكرها، ثم يفرد

لها من فرط سعادته، يغدو الحسون

ويروح وسط شذو الطبيعة ولا يقوى



على كتم فرحته..

ينطلقون من مستودع للثوم والبصل.

يركبون عربة يجرها التراكاتور.

كارلوس لا يسمح للبهائم بركوبها.

يحب اتخاذها مطية من طرف المهاجرين.

تتحرك بهم وسط حقول وهي تهتز كأنها جان يرح الأرض أو
يخترق السماء، في اهتزازها يقفز الأجير دون أن يقفز، يقف
المهاجر السري بعضلات قابضة وبأسطة تحفظ عليه توازنه
وهو يتحرك في كل الجهات، يجلس الآخر على شباك يُسَط
تحت الأشجار ليتساقط عليه الزيتون عند ضرب الغصون
بالقضبان وهز الجذوع بالماكينات، لا تكاد إلبته تلامس أرضية
العربة لتطمئن حتى تهتز، يقضون ساعة حتى يصلوا. يبدأون
عملهم بجدية ونشاط، يرشدهم شيخ نحيف يحمل جينات
هرقل.

باكو Paco شيخ أعجف بقلب أجوف يسع نصف كيلو غرام
من الحقد، وطنين من العنصرية، يوجهه ولي نعمته فيلبي.
يحضر الباطرون فيحل محل باكو. إذا رآه العمال انفعلت
قلوبهم وبلغت حناجرهم، تكاد تنطلق إلى الأكف لولا ما

يمسكها من المهج. ترج جوارحهم خوفاً وهلعاً منه، يسبهم، ينهرهم، يدفعهم بيديه ورجليه وهم يجنون الزيتون، يجنونه في ركض تلو ركض يتلوه ركض.

دفع ممتلىء الجسم مراداً يقول له:

((لا أريد أن تضيع ثانية واحدة من جهد أحدكم، لا تظن أنك في المغرب، في بلد الفراغ، الفرد منكم يقف إلى الحيطان ثلاثين سنة ينتظر فرصة للعمل فلا يجدها، وإذا جازف في قوارب الموت وقبل أن يصل حقولنا فليلق بأوساخه في البحر، أو يتركها في برّ المغرب))..

لا يراجع أحد في كلامه أو يرد على إهاناته.

ينعتهم بالحمير والبغال والخنازير، ويتجنب الإساءة إلى الشاب المعدنوسي.. قدما إلى كارلوس، وما كاد يقبى عنصريته ويتلذذ بقسمات الوجوه وهي تذلل وتذل حتى أشبعه سبا وشتما، نعتاه بأقبح النعوت، ووصفاه بأبشع الصفات.

حاول أن يمثل دور الشهم الشجاع فعوجل بلكمة أيقظته من سباته وغروره.

يقف بينهما محمد حتى إذا حاول كارلوس فعل شيء دفعه بقوة ينهره، وإذا رفع يديه يسقطها له ببذاء. يسبانه ويشتمانه وينعتانه بالحمار والخنزير والبغل وهو يدخل جلده ويتضاءل كهوائي راديو إلى أن استسلم للذل والصغار. راحا وشيء من الإحساس بالكرامة يصطحبهما، وشيء من رد الاعتبار إلى بدو العروبية يثني عليهما.

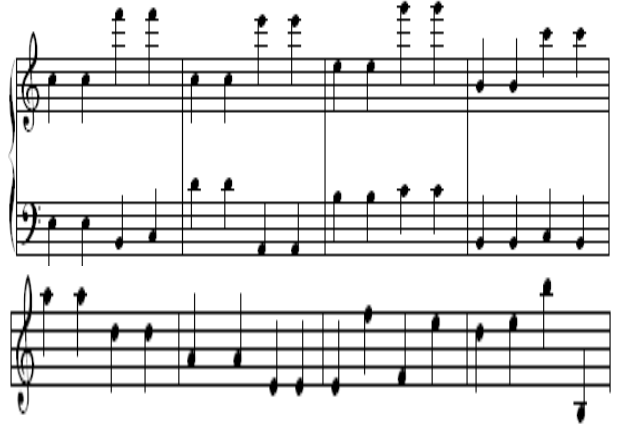


فصل

انغلاق على الكلبنة



للكلب أب وأم. يقضي حاجته من أنثاه فتحمل منه. يمنحها
جيناته، ثم يتركها ولا يبالي، ولكن الأم الكلبة لا تنشئ جروها على
غير تعاليم الكلاب. لا تبتس لغياب الأب ورعايته. ترعى جروها
في تشدد وتزمت وانغلاق تام على الكلبنة. لا تقبل إلا تكون كلبية،
ولا تريد إلا أن تظل كذلك. لا تقبل إلا أن ينشأ جروها كلبا، حتى إذا
ضل في الكبر ظل كلبا ولم يتحول إلى حمار أو بغل..



The first system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains a series of chords, each marked with a star symbol above it. The lower staff is in bass clef and contains a sequence of eighth notes.

The second system of musical notation consists of two staves. Both the upper and lower staves contain eighth notes, with some beamed eighth notes in the upper staff.

The third system of musical notation consists of two staves. The upper staff contains a sequence of eighth notes. The lower staff contains a sequence of eighth notes, with some beamed eighth notes at the beginning.



عند إفراز جسمه لهرمون الأدرينالين غضبا على
العنصرية، وفي يوم نبت بعد ضياع ثلاثة ملايين وستمئة ألف
عصبة من جسمه، جلس في مقهى "لِسْبُوا" عند شارع
الملوك الكاثوليك.

مقهى يلتقي فيه المغاربة والسوريون والجزائريون.. الحبيب
من "جبل الحبيب"، كاد يسعد لولا اعتداؤه على لولا العربية،
يقيم بغرناطة ينتظر الانتظار، تخلف عنه قليلا ولكنه يلحق
به، يرأسه بشأن الإمعان في الانتظار ولا حرج، ينتظر وهو
جزء من شعب ينتظر منذ خمسين عاما ولم يزل، ينتظر خيرا
سرقه السراق وعجز عن اللحاق بهم وانتزاع المسروق منهم،
لطالما التمس لهم أعدارا، ولكنهم لا يعفون أبدا.. نبت له
صبي مع غجرية عوان كأنها طاجين مراكشي، تشبه الجرة

والحاوية، إذا سارت سُمع أنين الأرض، وإذا نطقت ارتبكت لها ذرات الأثير، طفلها الجميل مشاكس علم، بُني من جينات دواب بادية جبل الحبيب، هاجرت إلى طنجة و"تطنجوت" جراء ضيم مضيض في السياسة الفلاحية والزراعية، تنهجها الحكومة منذ زمن ولم تزل، هجرة من البوادي إلى المدن، وهجرة من المدن إلى حواضر إسبانيا وقراها، في غرناطة وسرقسطة وسائر أراضي شبه الجزيرة

الإيبيرية؛
الأيبيرية؛
بينى
الأطفال وفي طنجة
ومثيلاتها يُبنى
الأطفال بروتين
"الأنيما" وفيتامين



وتعاليم



بروتين

الدَّجَل ..

أجسام تسير وكأنها لا تحمل قلوبا. أدمغة تقيس وتزن ولكن وفق بيئة لا تقيم وزنا للقيم الرفيعة والمثل العليا. تقام "إسطاطوا Estatua" في كل عقل، يقصدونها ويعبدونها، إسطاطوا للقيمة المادية ليس غير، فأن يمرغ الصدق والأمانة

والعفة والغيرة والإيثار والعمو والحلم والرفق والإشفاق في
حظيرة الخنازير ومزابل العهر فلا ضير، وأن يخلط الكلب
بخراء الكلاب وفضلات الجيف الأحياء، فلا ضير.. ينضج
يوسف بسرعة. في العادة والملة والدين يتبع الطفل أباه
ويختتم بخاتمه، يتبع الطفل اليهودي أمه في دينها وملتها.
يوسف مسلم من أب مسلم. أمه "خيطانية" نصرانية تسير به
نحو دينها وملتها. أبو يوسف غيَّاب خيَّاب، إذا حضر فرح
لحضوره الصبي، يأخذ أمه بعيدا كما لو كانا عاشقين
يتخفيان.. هل يضيع الضياع وسط عالم لا نعرفه؟ أم يضيع
الناس وسط عالمنا؟ للكلب أب وأم. يقضي حاجته من أنثاه
فتحمل منه. يمنحها جيناته، ثم يتركها ولا يبالي، ولكن الأم
الكلبية لا تنشئ جروها على غير تعاليم الكلاب. لا تبتس
لغياب الأب ورعايته. ترعى جروها في تشدد وتزمت وانغلاق
تام على الكلبنة. لا تقبل إلا تكون كلبه، ولا تريد إلا أن تظل
كذلك. لا تقبل إلا أن ينشأ جروها كلبا، حتى إذا ضل في
الكبر ظل كلبا ولم يتحول إلى حمار أو بغل.. في عالمهم
يطوف طواف لا يعرف الحدود، يصطاد بطعم لا يستساغ من

المعد، يلقي به عند أول رؤية للمحرومين، يحمل الانبهار ويدقه في روع المهاجرين دقا، منهم من ينتخبهم من البدو الخلص والبدو المهجن، ينتقي بعضهم من مدن بها عفن ساقط من عقول ننتة، حتى البدوية الجبلية والريفية والسوسية والعروبية ممن سكنهن الشيب، وأقبل عليهن الهرم لا تنفلت من قبضته، يعريها ويلبسها أزياء الموضة الشاكية، يجمّلها بالمساحيق والمراهم وأدوات الزينة حتى تبدو على أعلى مستوى من الفتنة والجمال يفتتن لها الضرير.. أذواق ضائعة تدرك هنا، وأساليب مجهولة تركب هنا وهناك، في كل شيء وعند كل شيء يحصل العلم ويتم التعلّم.



جميل للمسنين أن يتعلموا،
وجميل للمسنات أن يتعلمن،
ولكن ماذا تعلموا؟ وماذا
تعلمن؟. قَدُم مثال في طنجة



يقول: "حاول بالأريج أن يقلد مشية فعجز، ولكنه حين أراد العودة إلى مشيته وجد نفسه قد نسيها، فلا هو بمشية الطاووس ولا هو بمشيته).. هل نسوا من هم؟ وإلى من

ينتسبون؟ هل نسوا مشيتهم الجميلة؟ هل لم يعودوا يرونها
أجمل وأحلى، أميَّة وأبهي...؟.

فصل:

لهج بكوكي

قطعة:

يطوف بغرناطة ثاحباً عن مخرج إلى التحرير، يبحث عن زعِّ
مفقود، وشيخ كريم منشود، ولا ينسى الحمراء ورغبتها، والقارئ
وتيلسته.







يمشي على رفات أجداده، يطأ أرضاً شربت عطرا نديا،
يسير سير العليم بحتفه دون أن يتبين أوانه، يهيم أحيانا
ويشرد، ثم يتذكر علة مجيئه وسبب هجرته..
يطوف مستجمعا قرونا.
يبحث عن آثار كليمة.
وجد الحمراء تقف قبالة سييرا نفاذا **Sierra Nevada**.
وقفقتها متواضعة، ولكنها متوجعة.

لا تزال حجارتهـا ولبناتها تتحسس الأُكُفّ والأنامل التي بنتها
وشيدتها.

ريحها لا تزال على حالها، وطعمها لم يتسنّـة.
معلمة خالدة تقف شامخة تحكي قصة المعاناة.

لا تقرض شعرا، ولكنها تتذوقه.

يزورها السياح من أصقاع المعمور ويعجبون لآثار أجداده
فيها. عمارة رائعة. فن جميل، ونقش أخاذ..

دخلها بذهنه وسيدخلها بحامله، يطل منها على غرناطة
ويلقي بنظره منحدرًا نحو "سانطا في Santa Fe؛ بويلو"
يؤرخ لنهاية بئيسة ويوم مشهود، لا يزال مُفَجَّعاً ليوم سلمت

فسخط له النبات
والجماد، سقطت كـ



لا فارس يمتطي سهوته..

يتحسس بقايا وآثار من بقوا فيها ولم
يرحلوا أو يُرحّلوا، لم يقتلوا أو يقتلوا،

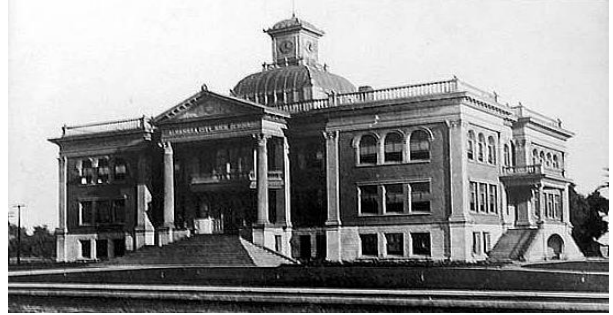


مكثوا إشفافا على بلادهم وهم يحسنون الظن بقدرتهم على
التمسك بدينهم، نسوا أبناءهم وأحفادهم وشيئا فشيئا، جيلا



بعد جيل تنصّر الجميع حتى كاد ينتصر لتنصّرهم الطوب
والحجر.. عاد كمن خرج من جدّته، يتذكر عيش الأجداد
وعبث العباد، لم تستغرب له مياه غرناطة، ولا طيرها
وهواؤها، تأفف له "الصدرو"، وأحفاد "راسوتين"، حتى إله
الإسبان لم يتنبه لما يدبّر، أو يحفل بما يقدر، يأمر من بلاد
العم سام فيطاع في بلاد العم موسى..

هام بممشوقة القدّ يحملها في حقيبتها وتركها موسومة بميسم
الحسن تغترق الأبصار في عليائها، يتجسس على الأرواح
عله يحظى بسر الأسرار، يركب الخطوب إلى العز والسؤدد،
يبعث عنه في كل مكان، يستدعي الماضي ويترجّاه، يريد أن



يبعث من في القبور ليشاركوه فكره وتفكيره، ملّ الأحياء

وسئم دونيتهم، تعطل عنده التفكير، يحاول إصلاحه وإطلاق
عنايه، يفكر ويفكر ولم ينتج عزا وسؤددا، يصر ويصر
ويصرح: ((سأنتجه وسيطالكم)).

فجأة سكن سمعه صوت الحمراء، لقد اطلعت على نواياه
وحضرت:

أراك تحمل همًا ما بعده هم، أراك مكلوم القلب جريح
الذهن لم ؟

— لست أدري إن كنت سأوفق أم لا؟

يلحق العلاء بأهله وأنت أهله، ثم إنك أصلب من
أصلب ما في جسمك، فلا تهن.

— أريد تحقيق ما أراه .

ماذا ترى؟

— أرى ما لا أحب كشفه حتى أوانه.

مع التوفيق، ولا تنسى تحريري.

يطوف بغرناطة ثاحباً عن مخرج إلى التحرير، يبحث عن زِعْ
مفقود، وشَيْعِ كريم منشود، ولا ينسى الحمراء ورغبتها،
والقارئ وتَيْلسته.



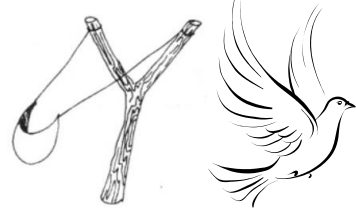
فصل:

ريح أبو عبيد في الحمراء

قطعة:

أرعى بصره يطوف في سمانها، حولها جبال شاهقة، يكسوها
الشيب فتتجمل به شتاء. بها معلمة عزّ نظيرها في الحواضر، ريح
أبو عبدل لاتزال لاصقة بصخورها وحجارتها، بأحيائها القديمة
وأزقتها، صدى كلام أمه: ((ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ
عليه مثل الرجال)) لا يزال يتردد في جبالها وأوديتها. بناياتها
العتيقة شاهدة عيان، تتدى بدمع ليس حلوا أو مالحا، تعصره من
رفات ساكنة رقدت تحت ثراها منذ قضت سنة ألف وأربعمائة
واثنين وتسعين.

The image displays two systems of musical notation for piano. Each system consists of a treble staff and a bass staff. The first system shows a melodic line in the treble staff and a more complex, rhythmic accompaniment in the bass staff. The second system continues the piece with similar melodic and accompanimental lines. The notation includes various note values, rests, and dynamic markings.



استخرج من دماغه أعصابه الجمجمية، ثم عرضها للبيع، وحين وقف بين يديه أندلسي يسأله عن ثمنها، قال: الأعصاب الجمجمية ثمنها ثناء على الله بعدد أزواجها. جلس إلى جانبه يفكر، فهمس في أذنه: من تكون؟ وممن تكون؟ فأجابه: جدي الثامن اسمه عبد الله، وأنا من أصل عربي مسلم. ترك له دماغه كله وهرب. هرب حتى لا يقع فيما وقع فيه جده. أرخى بصره يجول في أفق سمائها، حولها جبال شاهقة، يكسوها الشيب فتتجمل به شتاء. بها معلمة عزّ نظيرها في الحواضر، ريح أبو عبدل لاتزال لاصقة بصخورها وحجارتها، بأحيائها القديمة وأزقتها، صدى كلام أمه: ((ابك مثل النساء ملكا مضاعا لم تحافظ عليه مثل الرجال)) لا يزال يتردد في جبالها وأوديتها، تنهيدته حين تنهّد حيث نبت بويبلو ألندي Pueblo Alende " وهو ينظر طريدا متحسرا إلى الحمراء؛ صارت اسما لموقع تنهيدته، تعرف المنطقة باسم:

.El Supero Del Moro

بناياتها العتيقة شاهدة عيان، تتندى بدمع ليس حلوا أو مالحا، تعتصره من رفات ساكنة رقدت تحت ثراها منذ قضت سنة ألف وأربعمائة واثنين وتسعين للميلاد.

سحنات أبنائها متصلة بجينات جنوية، انسلخوا من قيمهم كما تنسلخ الحية من جلدها، تقطعت بهم الأسباب فلم يعودوا يرون غير ما يرون، جماجمهم فارغة إلا من اللحم والدم، فقههم بالحياة كفقهِ المنغوليان..

تخللهم، وجاس أفضيتهم، جالسهم واستمع إليهم، حاضر في حضرتهم بكلية العلوم السياسية ليجد مستوى من الرقي المعرفي لا يبزّون به بائع مارلبورو Marlboro بالتقسيط في مدينة طنجة.. قوم مسلوبون، صنمهم المقدس أمريكا، ليسوا بدوا في مستوى بدو فحص طنجة في السذاجة، إذ يقصون شعورهم ويرتدون ألبسة على مقاص آخر صيحات الموضة. إذا جلست إليهم في مقهى أو ناد نظروا إليك من طرف خفي، ينظرون بأعين سارقة حتى لحركات بعضهم بعضا، ولكن بملء الانبهار والغفلة.. قوم تنقصهم الخبرة بالحياة، يحيون القرون الوسطى في القرن الحادي والعشرين.



إذا نظمت مسابقة ثقافية
وسابقوا الفسيلة هالة،
والبرعم ضرار في النباهة
والمعلومات والرصيد

المعرفي سبقاهم، يثيرون الإشفاق عند الشقاق، كما يثيرون
الحق في غياب الوفاق..

هم قوم ونحن قوم، هم المظلومون، ولكن من الظلمة؟ نحن
الظلمة، فخيرهم من خيرنا، ولكن خيرنا ليس من خيرهم،
يحتاجون إلينا لرفعهم فكريا وثقافيا، ولكننا منحطون، نحتاج
إليهم، إلى سَقَط ديمقراطيتهم، وثنانة حرياتهم، نتطلع إلى



بجوتهم إلى العمل عندهم بغية
التخلص من الفقر والعوز..

هم قوم محكومون بقوانين تسود الجميع،
ونحن محكومون بقوانين نقفز عليها ك
ونتجاوزها كالظل، كل يفعل بحسب الطلب، ولكن ما
المطلوب؟ المحسوبة. الزبونية. العلاقات المشبوهة.
الانتماءات السلطوية. الولاء المنافق..

تبا للسخيف وليس للسخافة، تبا للحقير وليس للحقارة..
تبا للكذب، للدجل، للخداع، للنفاق، وهل ليس تبا وخسنا
ويبابا للكذاب والدجال والخداع والمنافق؟
ألا بعدا لسيادة الناس كل الناس. ألا قريبا لسيادة القانون.
ففي سيادة القانون يتحقق العدل ويتساوى الناس في الحقوق
والواجبات، وفي سيادة الناس سيادة لمنطق المراحيض.



فصل

المجرة البديئة

نزلا الممدرية كجرمين في مجرة بدنت بالأنوار. يحتلان على
 المتحسس لتعطيل إحساسه بأجرام أدبية مُمَرَّة.
 لهما من الأدب الممدرى ركاب، ومن لغة البكوك غطاء.
 لهما من الزبالة مهاد، ومن الضياع غواش، يقتاتان على مزبلة
 بدينة. منها يلتقطان الشباطة من ملفوظات الملك والأمير
 والرئيس.. يجمعان أطعمة ألقى بها الوزير والوالي والعامل..
 ملفوظات الأديب والمفكر والصحافي شحيحة..



The image displays three systems of piano sheet music, each consisting of a treble staff and a bass staff. The first system shows a melodic line in the treble staff and a rhythmic accompaniment in the bass staff. The second system features a more active treble staff with some chords and a bass staff with a steady accompaniment. The third system is similar to the first, with a melodic treble staff and a rhythmic bass staff. The notation includes various note values, rests, and dynamic markings.



درج في سلم العمارة إلى رقم الأسباط، ثم..

"مرحبا سالفادور".

➤ أهلا بك محمد، غبت عنا كثيرا، كيف حالك؟

— بخير.

➤ هل نخرج؟

— نعم..

نزلا الممدرية كجرمين في مجرة بدنت بالأنوار. يحتلان على

المتحسس لتعطيل إحساسه بأجرام أدبية ممررة.

لهما من الأدب الممدرى ركاب، ومن لغة البكوك غطاء.

لهما من الزبالة مهاد، ومن الضياع غواش، يقتاتان على مزبلة

بدينة. منها يلتقطان الشياطة من ملفوظات الملك والأمير

والرئيس.. يجمعان أطعمة ألقى بها الوزير والوالي والعامل..

ملفوظات الأديب والمفكر والصحافي شحيحة..

ألستهما بارعة في تمييز أذواق المطعومات.

خليط الميكروبات يفرز نكهة من الغازات فريدة.

بقايا بكتيريا أسنان وأضراس لرجال المال والأعمال ترى

عالقة بالفتات. جراثيم لم تكتشف بعد تطل من مسام

المحيا، لا تنوي سلوك الجمرة الخبيثة، لا تود تقليد الإيدز

أو السل. تستجمع الغفلة لبناء الدمار، تحايد الرحمة

لاعتزال المسؤولين وتسرع إلى القسوة بأوان الانتقام.

تمر إلى جانبهما في الشهر

الأخير من حملها، ينتظر

وضعها زوجها في حبور، وينتظر

وضعها مجتمعها في ضجر.



قفزا من قلب القمامة يركضان نحوها، اعترضها سبيلها

فتوقفت، انحنيا برأسيهما ووضعاً أذنيهما اليمنى واليسرى

على بطنها يتسمعان، دفعتهما الأم تذود عن حملها، دفعتهما

لطيفة، كفاها ناعمان، ويدها رقيقتان، لها في بيتها صنوين

لهما؛ تشكو تبؤلهما في الفراش.

قدم آخرون وأحاطوا بالمرأة، بدت كشهدة محاطة ب يرتشف

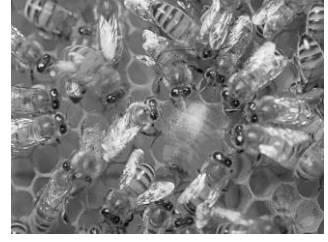
حنانا مفقودا.

بدن المكان بالسلطات

والقضاة والمحامين..

يرتدون جميعا بذلات

صفيقة، ثخن الحيز



بالإعلاميين والمتقنين والأدباء..

يرتدون جميعا أخياشا من خيوط النخامة.

وانطلق الصوت.

انطلق مدويا من ظلمات ثلاث، انطلق يشدّ إليه الآذان كما

كان يشدّها عيسى ويقول:

أقسم ألا أخرج، رحم أمي أدفأ، ورحم دنياكم أنكأ. في جنة

الحب أحياء، وحين تحيا أمي أموت. أسبح في بحر الحنان،

يكسوني الحبور، لن أكبر، لن أصير طفلا، لن أكون رجلا،

لن أصير شيخا، عالم المشيمة أنقى، وعالمكم أشقى، عالمي

أنظف، وعالمكم أقرف، سأعرض الأجنة، ستغيض في

العقم، ستشيخون وتنتنون، ولن تجدوا رحيفا.

إلى بحر الظلمات جلسا، يستمتعان ببحر وسماء يذودان،
في الأفق البعيد جهة العم سام تنزل من عليائها في شموخ
وإباء، باهتة من الحياء، صفراء من الوجل، بينها وبينهما شفق
لولو الغلاف الجوي لما كان، ترقص فيه الذرات رقصات
ساحرة، تصنع جمالا باهرا أخاذا، تسهو فيه العين، تغمض
إجلالا وإكبارا، لا تقوى على النظر ضعفا في التحمل من
فرط هيامها، تغيب كما يغيب الغطاس..
فالق الإصباح يأمرها فتطيع، تنحني راكعة خاشعة، تسير
بتوابعها ممتطية ظهر مجرتنا، ولكن إلى أين؟
إلى حتفها..

معمرّة هي من السنوات؛ بالمليارات، هي الشاهد الغائب
على فحش الناس وظلمهم، على سخفهم وتقردهم، هي
الشاهدة على الناس وسعيهم، سخية أبدا منذ ولادتها، رزق
المخلوقات في البر والبحر والجو منها، حركتهم تصنعها، ما
يدفعهم طاقة من طاقتها، لا تلام على طاقة منحيتها للفاجر
ففجر، لا تلام على طاقة منحيتها للطائع فأطاع، للمتطهر
فتطهر، للظالم فظلم، للسارق فسرق، للحاكم فأفسد..

غابت في جب عظيم، وأفلت إلى حين.
وحضر الأصل، أصل من أصل هو السرمد، ولكن انبثق عنه
الضياء..

فالق الحب والنوى جعله ساكنا، ولكنه ليس سرمدا..
رفعا هامتيهما إلى السماء فأبصرا قمرا في دلال لنجمة،
هنالك أجدى من عيون مجردة، تُرى به أجرام ككوكب
الزهرة، يُرى العجب الذي يذهل اللبّ كلما، تراءى للنّاظر ما
في المجرّة، مشاع غزو الفضاء تُتوّج، بأعظم مشروع لأطول
رحلة، تحقّق فيها ما يؤكّد واجدا، لما كان من مبدأ للنّهاية،
لمرّصد "سوكورو" يقَرّ بنخالق، ورحلة "فوياجير" لأبعد نقطة،
إلى درب تّبانة عشقا لمعرفة، ولو بعد حين قرون عديدة،
أليست بآيات تقوم تحاجج؟ وتسخر من منكري ذي
الجلالة؟ قويّ مریدِ عالمِ قابض باسط كبير متكبر، يُري
الناس وحدانية ذات أبهة، هو الأزليّ الظاهر الباطن الذي،
بلا أوّل في عالم الأبدية..

صدفا عن المحيط، مأسوران بسحره وجماله، يزفران لنسيم
السنوبر السامق، وميموزا العبقة، والكلبيتوس المنعش.

من.. إلى ضيق وضوضاء، إلى نتن وقرف، إلى أذى من

عوادم



فصل

الإغراء المولم

قطعة

غادر إلى البراءة وتركه واهما، خُلف وراءه مداعبا يلامس
عورته، ناعم جميل، ولطيف أنيس، لا يتأفف من الملموس، ولا
يضر من الشذا، يداعب
المحسوس، يتذمر من الفواح، والزهر العبق،
يداعب التافه المرذول، والقذر
الموبوء، لا يميز بين الحسن
والقبيح، أو يتلفت للنقي والوضر،
تطال يده الأجواز، وتملاً الحيز
والأفضية، تتحسس كل شئ، وتلمس أي شئ، تركه له
واصطحبه..



Piano



درجا في سلم العمارة إلى رقم يُنطق بعدد حروف عنوان
أم الرواية الممدّرية، ثم..
ماذا في التلفزيون يا محمد؟ كرة قدم.. أخبار.. أغاني..
ماذا هناك؟".

— في تلفزيون دار البريهي تفاهة تافهة، كبرت وتضخمت
كالورم الخبيث لا يحتاج إلا إلى استئصال..

❖ لماذا تتحامل على قناتك؟

— هي التي تتحامل علي باقتحامها، انظر إلى برامجها المرذولة، انظر إلى عطائها المقرف..

❖ لا، لا، بها ما يفيد، بها ثقافة..

— ولكنها ثقافة المحسوبة والتلميع والتهميش، بها ثقافة تقديس الذات، والذوبان في الذات، فهل سبحان الذات؟

❖ رويد انفعالك يا محمد، لا تدعه ينفلت منك. دعنا مما يعكر فرحتي، فأنا أحب أن أسمع غير هذا، أسمعني شيئاً، ارو لي حكاية، لا، بل اسرد علي رواية تحفظها في ذاكرتك لروائي تختاره أنت، أو أبداع رواية للتو.

— دعك من المزاح.

❖ لا، بل أنا جاد، لقد رويت لي قصة نصفية، وأقصوصة ذاتية، وأنا الآن أطلبك برواية.

— وماذا أسميها؟

❖ سمها ما شئت.

— أسميها: فندق الشجرة، أو بوعراقية.

❖ كما ترى.

— لا، بل يكون عنوانها: الصبي خلّاد، أو خلّاد، فما

رأيك؟

— هي.

— طيب، الفصل الأول منها: أنا ما بعد حداثي.



أنا ما بعد حداثي

خلف أسوار باب الفحص، وعلى بعد أمتار أرقام سنوية
لاشتعال الانتفاضة الأولى، وعند مرتفع أضحى مقبرة لا
تتأبط رفات المجاهدين، يجلس جرم سردي في منتزه قبة
السلطين.

قبة السلطين مشرفة لا يطالها في سحرها وبهاؤها منتزه
"سيدي المناري" ولا خميلة "الرميلات" .. تبدو منه طنجة
مستلقية كأم وضعت جنبها، وتبدو منها الأندلس كعروس نفر

منها عريسها. يرتاد المنتزه الطنجاويون، يستمتعون فيه برؤية البحر، وجبال طريف وطارق. يرصدون من مرتفعه بواخر لآل كوهين، وآل نحوم، يستقدمون الدقيق والسكر والزيت والنفط ويخزنونه في حوانيت بزنقة تطوان. يجلس القرفصاء على بساط شاركت في حبكه مخلوقات مهرة، تقبع تحته في هدوء وصمت، تعمل ليل نهار في تكسير المواد العضوية وتقليب التربة حتى ينتعش البساط ويهوى ويتفجر ألقا ورونقا.



يخرج "بورزة" من مخلاته
"سبسي" ومسحوق نبات
القنب الهندي المخلوط بطابا
Kefe، ثم يشرع في تدخينه،

دخانه ينشئ نشوة تستولد أرجوحة يستقلها عقله مستمتعا
متمايدا.

آه .. وا..

(دخان .. دخان)

ابتعد إلى جهة اليمين.

لست يمينيا.

إلى جهة اليسار.

لست يساريا.

قف في الوسط.

لست وسطيا، أنا ما بعد حدثي.

إذن لا تقم ولا تقعد.

وماذا أفعل وأنت منفعل تطلب مني الابتعاد؟

لا تبتعد، ولا تقترب.

فهل أخرج؟

لا تخرج، ولا تدخل.

فماذا إذن؟

بل لماذا هذه اللماذا؟

أنا أسأل.

لا تسأل، ولا تجب. لا تنطق، ولا تصمت. ما يفعله
الناس قواعد نبتت من ثقافة لا تؤمن بها، تحرر منها، ليس لك
موقع بين بني البشر، وفي كوكب الماء.

وأين موقعي؟

تحت بساط "بورزة".

أأ...

(لم يتركه يكمل)

اخرس، أو أرمي بك في جمجمة جدك.

لم يدعه الجني يتظلم أكثر.

عنفه وهددته.

دخان البخور يصنع سحابا لا وُدق يخرج من خلاله.

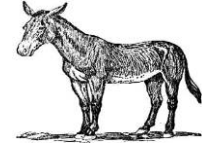
تحتجب خلفه عرّافة طنجة مع ضيوف وقحين، يعتقدون في

تفوقهم عند حضور الخرافة، وأوعية الخرافة.. حضر إليها

"صيوّفة" يدفعه الطمع في كشف غيبه. تنبأت له بغيب مضى

وولّى، كان يجهله، لقد حيبه منزوع المخ لا يعقل شيئا..

يركب
التفتيش
ينطلق
نحو طنجة النصرانية، نحو مدينة طريجة يلامس الخنجر عنقها
تأهباً لذبحها.



بمحاذاة الجمارك عند نقطة
بديوانة البرج.

من مدشر الركايع Rgayae

يحمل جينا وصوفا وعسلا وقطنيات..

يبتاع منه المتسوقون في "فندق الشجرة"..

وعند تأهبه للعودة إلى أهله وذويه، إلى مدشره ورعيه، إلى
فلاحته وزراعته افتقد دابته، لظالما تمردت على ديدنها،
"سرقوها أم ضلت؟".

يتساءل. لم يحدث أن تمردت عليه إلا عند انفلاتها من
عقالها. أظلم الليل عليه وأعتم فقرر المبيت في "فندق
الشجرة" انتظارا للصبح لعل دابته تؤوب إلى رشدها فتعود إلى
مريضها.

لقد اعتادت على ذلك كلما انفلتت من قيدها، أو حررها
الأطفال للتسلية معها، والبالغون للفحش بها. تقصد المراعي،
ثم تعود بسرعة إلا أن يحاط بها. أشرقت شمس بشعاع




مستعار من نجم هرم. أَلقت به على ربوع طنجة فاستدفا لها
جلباب "بورزة" عند منتزه يتشامخ على الملك خوفو، اشتراه
عند استقراره بطنجة. بينما صيِّفة يغالب نعاسه تحت دفي
المدينة وقفت عند رأسه امرأة بدينة من بطنها، يشفق الناظر
إليها ويدعو لها بالفكاك، ترتدي "كرزية" صوفية جميلة بلون
محبوكة على نسق أخذ، تفوح منها رائحة العهن، لم يأبه لها،
أو يحفل بحضورها، أو مات إليه..


لم يبال..

تكلت معه كأنها لم تتكلم، وحين جاء على لسانها الريال
الحسني تنبه وأمعن النظر، حدق وحفل فأصغى..

ماذا؟ 


 هل لك رغبة في عمل تأخذ عليه ريالاً حسنياً؟

انتصب ووقفت أذناه كالأرنب البري، وتحسس من خياله لون
التُّقرة.

ماذا قلت؟ 


 هل تقبل خدمة مقابل الفلوس؟

مري. 


 لدي زوج غائب عني منذ خمس سنوات، ولا أعرف إن

كان حيا، أو ميتا.

إيه.. 

 تذهب معي غدا إلى القاضي وتنتحل شخصيته.

أفعل. 

 حين أطلب منه الطلاق، وأعلن تطليقي منك تجيبه علي

سؤاله لك بأني طالق.

إيه.. 

قلقت زوج صيوفة على تأخر زوجها من تسوقه الأسبوعي،

وقفت كما لو كانت إفريقية سوداء تضع الدمالغ حول عنقها،

تكاد تعلقو "لاباث La Paz" شوقا لرؤية زوجها، تتناول جاهدة

كما لو كانت كوبا كابانا Copacabana تفحص القادمين

من المدينة النصرانية وتتصيد صيوفة..

طمأنها مرافقوه، فزوجها يبحث عن مطيته النشيطة، وعندما يجدها يقدم عليها بمتاعه..

وجاء دورهما، فدخل على قاض قد ركب ست دورات من دورات القمر حول الشمس، ووقف بين يديه.

تكلمي.

أشار إلى المرأة يطلب منها الكلام، فبادره القاضي بغضب:

تكلم أنت، أأأأ رجلا؟

يا سيدي هي التي يجب أن تتكلم، وليس أنا.

نطقت المرأة برغبة زوجها في تطليقها منه.

ولكنه لم يقل شيئا، لم يتكلم، هل ترغب حقا في تطليق

زوجتك؟

لقد طلقته دون شهود، فأنا الآن أشهدك على طلاقها

مني.

حسنا.

ما إن سمعت المرأة الطلاق حتى أخرجت من بين كُرزَيْتِها في

صغيرا يغط في نوم



تقصر ظاهر

عميق جراء إطعامه "النّعّاس"، نبات مخدر يستعمله النساء دون وعي لإسكات أطفالهن بتنويمهم، نوم تحدّثه نبتة الأفيون التي تنبت قليلا في طنجة ولا يعرفها أحد، كم جرعات زادت عن قدرة تحمل الأطفال فأودت بحياتهم.

تقول المرأة في المحكمة:

"خذ ولدك معك، فلا حاجة لي به".

ويردف القاضي:

"نعم خذ ولدك معك".

تناول الصبي وهو منبهر.

ضمه إلى صدره يتحسس سر الحياة فيه، ثم خرج.

ظل طوال النهار طوّفا والصبي نائم.

دار طنجة متسكعا قد تعطل تفكيره، تصدمه أعين فضولية،

وتعيد الصدام حتى تنبه له "بوررّة" فاستوقفه، ثم سأله:

❄ أنت برّاني، ما بك؟

❄ هذا الصبي ليس ولدي.

❄ ماذا؟

ليس ولدي. ❁

كيف؟ ❁

..... ❁

رقّ بورزة لصيوفة بعدما قص عليه قصته. أشفق عليه وعلى الصبي فشرع يدير في ذهنه صورا لتخليص صيوفة من مصيبتة. طلب منه الحضور في يوم حدده له.

وعندما حضر ذهب نحو الدرادب. سارا إلى حي المعدنوس يقصدان حماما عموميا، كان حمام الجزائري ساعتها غاصا بالنساء، صعدا الدرج، وطرق الباب على استحياء، وعندما فتحت "الكلاسة" خاطبها بورزة في ثقة: "زوجي تأخرت علي كثيرا، وقد حان وقت ذهابي إلى عملي، ناولها ولدها حتى لا أتأخر عن العمل". تسلمت الكلاسة الصبي من يد بورزة، وأوصدت الباب خلفهما. كاد صيوفة يطير فرحا. شرع يقبل رأس بورزة ويديه. يدعو له ويدعو حتى.. "أسيدي.. أسيدي". تبعهم نداء ظل يرتفع وقعه شيئا فشيئا حتى تبيناه.

التفتا ليجدا خلفهما الكلاسة تهول نحوهما، ثم استوقفت
بورزة تقول له:

"ما اسمك أسيدي، خدوج زوجة من؟".

❄ زوجة الرجل.

عادت إلى دفي حمامها ترعى صبي خدوج ريشما تستحم أمه.
صرف بورزة صيّوفة، وافترقا.



"سالفادور، هل أعجبك الفصل الأول؟".

❏ انتشيت به، لقد شوقتني لمعرفة مصير خالد، استمر.

— لا، يكفيك هذا.

❏ أرجوك، لا تحرمني متعة المتابعة، فروايتك بنهاية فصلك

الأول تصلح أن تكون مسلسلا.

— إذن فهي مسلسل، دعنا منها الآن، وغدا نتابع.

❖ لا، أرجوك، استمر.

— طيب، لا تطلب ما بعده، فيالي الفصل الثاني.





سهم البنوة

ما إن تخرج امرأة من قلب الحمام، وتنعش جسمها في بهوه، وتهتم بالمغادرة إلا وتسألها "الكأسة" عن اسمها.

تردد اسم خدوج  بقدر عدد فقرات العمود الفقري لولاكنه الألسن كما الوديع، طرق كثيرا لو كان علك الدعاليق يمضغه العرجي شعرا. تكاد تضرب لسماعه الأذان. سكن رؤوس النساء من غير استئذان. اقتعد الدهشة والحيرة. تقف الشفقة حاجبة خدوج وما بقي في الحمام مستحمة واحدة.

البكاء لا يعيد الصبي إلى أمه "المجلومة". والضياع لا يعرف إلى الرحمة سيلا. تبكي خدوج، وتبكي وغازات الهواء تخرج من جوفها بالسوسن فواحة. وكلما ارتفع صوت نحيبها

علا صراخ الصبي تستعلن به حاجته إلى الطعام والشراب، تلك حالة يفقهها الحيوان والطير، يفقهها كل من يملك سر الحياة كما تقول الخبيرات. إنه جائع كثير المجاج، يتضوّر مستطعما، تشتت حاجته العضوية وغريزته لبن أمه.. الحديث بين النساء دار ولم يعد يدور، ولكن الكلاسة في حيرتها لا تزال تدور كخذروف رمى به ضرار وهو يلعب مع أخته هالة. تتخبّط المرأة في استنتاجاتها. "ماذا أقول لزوجي إن سألتني عن الصبي وأنا داخلة به عليه الدار؟" هذا ما يدور بخلدتها. "أأخذها ولدا؟ ولكن لي حفنة من الذكور وحنفية من الإناث، وإن قبلت فهل سيوافق زوجي؟".

واختلت إلى نفسها وإلى
في خلدتها صورا ليس
تحتمي به من حرّ
القلب منفعل، والجسم مضطرب، والصبي يصعد في بكائه
وصراخه، ولعل الموت قد حلّ ضيفا في الحمام ينتظر
القرى، وما العمل؟ تلفظ أقوالا لا مطية لها، يخرج لها رذاذ
الريق دون أثير، وخرجت.

خرجت وتركت خلادا للحيطان يصرخ، وللماعون يعزف
أنشودة الضياع. هرولت على عجلة تستدرجها أجراس دون
فحيح. قطع من المعز للتشابوري Chapuri يركض في
الرفاق متسابقا، يقوده راع كبير بنقص فظيع في إفراز
هرمونات الغدة الدرقية. في تحريك المعيز لرؤوسها تدقّ
الأجراس وهي قلاند في أعناقها إيذانا بحضور بائع الحليب.
تبحث الأمعز في القمامة عن قشور الخضر والفواكه، تلتهم
بحسب المواسم قشور البطيخ والجزر واللفت واليقطين
والرمان والفجل.. الققط تتعارك تحت المائدة، والكلاب
عند الباب بحركة ذيولها مستعطية، ليس من بين القمامة
عظام وجلود للحوم حمراء أو بيضاء، في كل وجبة تحضر
الكلاب والققط فلا تجد الفضلات إلى القمامة سبيلا..
تقلب المعاز جرادل الناس، وتبعثر القمامة. لا يُتذوق طعم
الخبز اليابس لاعتكاف بذاره في سنايله بعيدا عن خزائن
يوسف، يندر كالكبريت الأحمر، لم تكن طنجة حينها تعرف
ظاهرة الخبز المرمي مع القمامة، يشحّ في الدور البُرُّ
والشعير. يتبع التشابوري Chappuri حمار له تقوده

تيريسا Tereza مرتدية سروالا مشخنا بالرقاع، العادّ لها يقف على حروف اسم مبدع طوق الحمامة وانتفاضة الجياح، تجمع القمامة وتضعها على ظهر حمارها وتذهب بها إلى حظيرة خنازيرها. تختلط معازها بكُر كل صباح بمعز معاز آخر، ثم سرعان ما تنعزل.

لم تدفئ خدوج اللبن، لا يزال دفته في ذروته، لا يزال يقطر من عنزة ضريع. سقت صبيها. أزالته عنه برازه. ألقت بخرقه المبتلة. لفته بمنديلها، وشرعت تداعبه بصوتها وملامستها حتى انطلقت أساريه، فعانقته سنة، وتلاحقت في عناقها كموج البحر، ثم غط الصبي في المحيط الهادي.

وضعت في مكان آمن، وتركت نور المصباح يحرسه. استودعته وسط ريح زكية لبدينت فانتات لا يفرزن الكيماويات مثل بدينتنا، وانطلقت.

لم يرتح زوجها لمظهرها، أو يستسخ أولادها حالة صوتها، وحركة جوارحها. سلوكها أثارهم فطوّقوها بالأسئلة. ترد على استفساراتهم دون تركيز. دماغها نشط كما لو كان متمايدا من صعقة مخدر، يستدعي مخزونه ليسعفها بحل. ما رسمته

يستميلها للاستجابة، ولكن قد أحيط بها. تبحث في
الدولاب، وتخرج أدراجها باحثة عن ألبسة بالية، وخرق
فانية، تنوي تقطيعها للاستعمال، ستصنع منها حفاظات.
"خدوج .. خدوج ..".

لم أجد خدوج.

اسم تبحث عنه الكلاسة. لطالما استفسرت عنه رائدات
الحمام. دخل في روعها أنه اسم أم خلاد، تتمنى أن لو
كانت هي أم خلاد، لأنها ربما تكون في الأمومة مسبوقة.
"خدوج.. خدوج.. ما بك؟".

قلق زوجها لسلوكها الغريب. داخلته الحيرة، فزوجه لم تعد
تتكلم كلام العقلاء، فماذا دهاها؟ إنها غائبة عن رشدها. لم
يعهد فيها شيئاً من ذلك قط. ليلة واحدة ويتغير كل شيء.
يمعن في استفسار عقله فلا مجيب.

نهض وجيباً لها فأخذها من ذراعها، ثم أجلسها بجواره. أدار
وجهها من ذقنها بأصابع اللقمة يتأمل صفحته المشرقة،
ولكنه لم يعد مشرقاً كما كان، الوجه السنّي البهّي، الوضيئ
الطلعة، الوضّاح المحيا، المتسرّبل بالملاحة؛ يعلوه

الشحوب، ويستعمره السواد. يحدق إلى عينيها فإذا عليهما
بريق من الألم والأسى، وعلى المُحَيَّا عضلات تخاصم
بعضها بعضا. صوتها لا يرنّ له حبلاه. ذراعها باردتان،
ويداها مرتعشتان.

لا يطعم وجهها من نخاع عظمها. لسانها معقود من فرط
الدهول.

أدخلها عليّ عشّها وطرحها على فراشه متلطفًا شفيقا. دارّ
حافلة، وأبناء بررة. تتعشّق فيها الخدمات طلبا للرضى. أمّ
ودود يخاطب فيها الودّ، ويقام لها الوجد. يتحركون في
خدمتها بأريحية مُتَوَجِّة. سيدة بيت، وأية سيدة! يكادون
يعبدونها، أمّ مَشْفَاقَة مَحْنَانَة. ظلوا رهن إشارتها حتى اطمأنوا
إلى وضعها، وارتاحوا لتحسّن بدا يغشاها، ثم تركوها تنام
وترتاح. لم تستطع خدوج إخراج ألبسة بالية من دولاب
"براكتها" لتصنع منها خرقا للصبي.

حيل بينها وبين صنع الحفظات، ولو أرادت ابتاعها من
الحوانيت فلن تجدها، لم يكن عصرها عصر بامبرس

Pampers، أو بابيدو Babido ، أحيط بها وهي مشدودة مشدوّهة، لا تود كشف سرها واستعلان مرادها.

وحيث غفلوا عنها مطمئنين إلى نومها انسلت مهرولة نحو حي مرشان.

حاذت مقابر الرومان وقد هجرها رفاتها. مقابر لم يكن بعد قد طمس معالمها المجلس البلدي لمدينة طنجة حتى لا يجذب إليها السياح فتنتعش لزيارتهم طنجة البئسة.

لم يكن مستشاروا المجلس قد نبتوا بعد، كانت الجراثيم متربّصة بطنجة من الوادي والحواضر تنتظر جلاء الاستعمار التقليدي، لا يدخلون المدينة الأبية إلا بجواز سفر وتأشيرة، أو بهجرة سرية عبر الغابات والخنادق والبحر.

على جبل من صخر بُني وقفت.

عند الحافة حفرت القبور.

أضحت حفرا تمتلئ بماء المطر فتصير موردا للطير والكلاب والققط حتى حين. يظل الماء منهلا للكائنات الحية حتى تجلده الشمس بسياطها.

أنساها المنتزه ما خرجت من أجله. أمامها بحر لا يزال يتأوه
لضياع الأندلس، تتشامخ عند نهايته جبال تحمل أعلام
النكاية، وفي سفوحها أوركسترا تعزف نشيد العودة.

طافت في الأزقة تستعطي ألبسة مستعملة. ألف الناس في
الغيب الأفقي الشحاذة الموسمية فصاروا يخلون أكثر مما
يتكرمون. في كل صيف تحصل هجرة واسعة للشحاذة من
الجنوب الغني إلى الشمال الفقير ويطفن على ساكنة طنجة
وأحيائها يستعطين الخرق المستعملة، يتسولن في الأحياء
الشعبية بمظهر وسخ يحتج لوسخه ماء دار الدبغ، يصتن
بلكنة مختلفة عن لكنة خدوج، تستعطي معهن بلباس نظيف
وبدن نقي، وهن يتسولن مُتَسَخَات اللباس والبدن.

حصلت خدوج على صرة منخنة بقطر طول المعى الغليظ،
صرة مليئة باللباس المستعمل، ثم عرجت على الحوانيت
واشترت سميدة القمح وهرولت نحو حمامها، تسرع شفيقة

لرعاية الصبي ف

ثم سقته.



أذن الفجر وهي جاثية على سجادة من خوص النخيل تدعو ربها وتدعو ولا تعرف ماذا تطلب منه. الصبي إلى جوارها ممتلى شبعاً، مستدفئ يتحسس ريح أمه الثانية. إلى جواره تجلس خدوج هادئة ترعاه وتدعو له. تنتظر بوطيبة على موعد مع فتح الحمام لدور الرجال بعد صلاة الفجر.

فهل تغادر؟ وإن غادرت، فهل تأخذ معها الصبي، أم تتركه في الحمام؟ وطُرق الباب وما كان ليطلق لولا المزالج من الداخل. لم يعتد بوطيبة على طرق باب الحمام، اعتاد فتحه واقتحام بهوه وذلك منذ سنين. رصّت خدوج مصراعيه، وأحكمت غلقه حتى لا تفاجئ.

انبهر بوطيبة لما فتح الباب، لم يكن يتصور من مثلت بين يديه، مأتاه مستغرب، ووجودها مستنكر، ولكنها هي، هي وألفُ هي..

أدار في رأسه ما أدار ولكنها:

"لم تكن لتحضر لولا توهمها أن الوقت ليس فجراً، فهل ضربها حمار الليل؟ ولكن لم أغلقت الباب؟" تلك قراءة بوطيبة، فبادرها: "ماذا تفعلين هنا، الدور دور الرجال؟".


ألقى إليها بسبعة وعشرين حرفا بالكاد صنعوا فقرة لثقلهم على لسان بوطيبة، قذف بها وهو داخل إلى عمله، فلم ترد عليه، ولكن الرد جاءه، أجابه خلاد. لقد أطلق صيحة أعقبها بثانية وثالثة.. شرع يبكي مدفوعا بترموستا صنعتها له الساعة البيولوجية. يكاد يفصح عن جوعه بكلمات. دارت في رأس بوطيبة ظنون أربعة، وزيدت فكانت بعدد عيون النحلة.


لم يستطع إمالة ظن على ظن. فخدوج في نظره امرأة ملتزمة بالذهاب إلى عشيها في كل يوم، إذ هناك من ينتظرها. وزوجها السي علي رجل طيب، وصديق له، وهو ودود معها، يحسن معاشرتها، علي يألّف ويؤلف، وخدوج لو كانت قد حملت من غير علي؛ أعوذ بالله، لكان أمرها قد انكشف منذ مدة، إذ كيف يظهر لها مولود وهي ملازمة لبيت الزوجية، فما هذا؟ هل تكون ضحية مكبوت مارس العادة السرية فترك نطقته لاصقة بأرضية الحمام لتعلق بفخذ خدوج عند استحمامها وتأخذ طريقها دون انحراف إلى فرجها، ثم إلى رحمها؟ ولكن لا، لم ألحظ حملها طوال السنة، ولم تغب عن عملها يوما واحدا، ظل يسألها وهي تجيب بجملة


واحدة: "هذا ما اعطى الله". طوّقها بالأستلة، وحاصرها بالشكوك، وسيجها بإدانات مبطنة فغضبت ولم تستطع البوح، احتمت بصمتها. يردد بوطية: "كيف؟ كيف؟"، ولا جواب على كيفكته سوى:
"هذا ما اعطى الله".

حفلت خدوج بالصبي وبوطية يفور غضبا، ويلقي من شدقه زيدا. صنعت لنفسها شرنقة وسكنتها، أغلقت عليها بابها إلا من ثقب رفيع تراقب منه بوطية. يتقدم "الكلاس" ويتأخر في بهو الحمام، وبين كل جيئة ينحني على خلاد متأملا ناصيته، وعند رصده لناصية خدوج يمطرها بإيماءات مشبوهة. ظل مهزوزا لا تكاد قدماه تحملانه إلى أن هدا قليلا، وتغيرت نبرة صوته، ثم ألقى إلى خدوج هذه المرة يقول:

"اصدقيني القول، ولا خوف عليك". فتح شرنقتها بمرونته للمماثلة، وفتح شهيتها برقته للمكاشفة، لم تأتزر خدوج بكلاسنوست غورباتشوف لأنها في نظر حفيدها مطبوخة، قد ساهمت في إسقاط الاتحاد السوفيتي، ثم قالت له:
"هل تريد الصدق وتساعدني على مصيبي؟".

تكلمي ولا تخافي. 

..... 

إنه من الآن ولدي، انتهت مشكلتك. 

لم يكن بوطيية رجلا ولودا.

ساكنه الحرمان، وسيج خصوبته العقم. لطالما طفا على
محياه إحساس الأبوة ولا سبيل إليه. لطالما ترجى زوجه في

تبني صبي مجلوب من

المستشفى الإنجليزي،

مستشفى تابع ليمارس فيه

التبشير والتنصير، يفتح باب

لنتاج المعاشرة خارج محار

الزوجية.



لطالما استعطفها وتشفع لها بعاطفة الأمومة، ولكنها كانت

ترفض في كل مرة، تأبى أن تبني ولدا من غير صلبها، لا

تقبل مساكنته. لم يطل على الدنيا بعد العصر الجينومي.

ليس ممكنا في بيئة بوطيية إجراء عملية الاستنساخ. من ينهه

ويوصله إلى أخذ خلية منه، وجمعها ببويضة زوجه؛ ثم زرعها في رحمها؟. تحمس الزوج المسكين وركب عاطفته، صارت مهاده وغواشه، استلقى على نعومتها، واغترف من نعيمها، فاستحلى حلاوتها، وألف عذوبتها.

تناول الصبي فرشقه البرعم بملاحة ودية، وسدد سهما من بنوته إلى أبوته. ضمه إلى صدره وشرع يقبله، يداعبه بلحيته الناعمة فيدغدغه حتى يكاد ينفجر لدغدغته خلاد. غطس في قاع الحال يستدرج إحساسا للطفو على الجوارح. لم يذق المسكين طعم الأبوة ولا عاش لحظتها، ظل منتشيا بحمل خلاد بين ذراعيه حتى أخرجته خدوج بتنيهاها:

"لقد بدأت أسمع هديرا يستبان منه صوت الرجال، فلعلهم قادمون للاستحمام". فتح بوطية الباب وهو يقول:

"احكمي إغلاقه بالمزالج ولا تفتحيه لأحد، تذرعي بأني غائب، وسأعود بسرعة. أحمل جوهرتي الغالية لأستودعها كفا ناعمة، وقلبا رحيفا، ثم أعود".

طلع الصبح على ربوع طنجة، وعلى موكب زوج بوطية. تركب دابة مع متسوقين من مدشر حكاما؛ تنتسب إليهم،

قدمت بصحبتهم، ثم فارقتهم في فندق الشجرة. دخلت زوج بوطيية بيتها لتجد أمها ترعى صبيا جميلا استودعه لديها بوطيية، ظننته أول أمرها بُرُعم أحد من جيرتها، وما إن علمت بعد استفسار سريع حتى استشاطت غضبا، ونفذ منها عقلها عبر أخمص قدمها اليسرى، وصاحت في وجه أمها:

"يتبنى بوطيية ولدا وأنا لم أوافق عليه، لم لم ترضي استوداعه؟ ألسنت تعلمين أني أنا العاقر وليس بوطيية؟ أين هو؟ أين؟".

فردت عليها أمها:

"لقد خرج منذ حين".

"سألحق به وأرميه بولده هذا، وليتني أعلم أمه الساقطة".

أقبلت زوج بوطيية تحمل خلادا حتى أشرفت على الحمام العمومي وهي تجر معها غضبها، ويدفعها من الخلف كف الفضيحة. تريد تشويه سمعة زوجها، وفضحه أمام الناس. ليس بذهنها مكان لفضل بينهما لا ينسى، أو عشرة لا تداس دوسا، لا محبة شفيعة، أو معاشرة منيعة، ولما وقفت على مدخل الزقاق رمقت حشدا من الناس حافلين بما يجري،

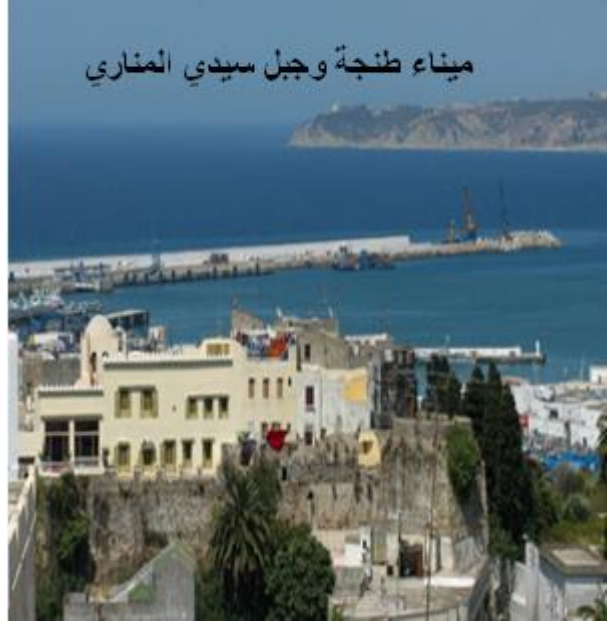
يتجمهرون لمعاينة ما جدّ في زقاقهم، وحين اقتربت
متسلحفة باندهاشها، تمشي على زقاق ناءت بقدميها، رأت
زوجها مقيدا وإلى جواره خدوج وهما يدفعان بمائة وثمانية
عظمة من عظام الأُكفّ، أياد قاسية تمعن في التجريح
والإهانة. ما إن تبينت من مظهر الإدانة، وكانت تتسلق
الشك لحظة بلحظة حتى عقد قلبها على أبوة بوطيبة للصبي
خلاد. يقنت على يقينها، وكيف لا وهذه كالآسة الحمام قد
ضبطت مختلية به في مكان عمله؟ "الله يعطي الصحة
للجيران الذين فضحوهما". استدارت تبحث عما بيتت،
امرأة، أو بنتا تستودع عندها الصبي لغاية في دخيلتها.
رصدت جباها وديسة لم توح لها بالاطمئنان، فأسرعت
بالصبي إلى زبالة لم تكن قد أنبتت بعدُ جامع الموحدين، ثم
وضعت الصبي في جهة من جهاتها، ولولا خشيتها من
صياحه لألقت به مثلما تلقى أكياس القمامة وأكوام الزبل، ثم
عادت إلى المهرجان تنوي المساهمة فيه. تسللت من بين
المتجمهرين حتى اقتربت من بوطيبة، غض طرفه بعدما رماها
بعين شفيعة يهرق منها الدمع، وتبرق منها البراءة، ولكن

المرأة قرأتها إدانة وتجريماً، اقتربت أكثر، ثم سددت ضربة
دامية بكف حدائية إلى بطن بوطيبة، وأثنت بالثانية على
خدوج، ولولا تدخل الشرط لاستعارت أكفاً ما بعد حدائية
ولزادت من الطعنات. اعترفت زوج بوطيبة بعزمها على قتل
زوجها الخائن، وخليته الساقطة. وحين ساقوها إلى الزبالة

التي رمت فيها الصبي وتركته يرتع في نتن وقرف؛ لم يعثروا
له على أثر.



"سالفادور.. سالفادور.. لست الروائي الساحر، ما بك؟ تبدو



في عالم خلّاد، عد إلى عالمك، لقد انتهيت، فلا تطلب مني
سرد الفصل الثالث".

❖ بل أطلب.

— لقد انتهيت وعييت، فلا تحاول لأنك لن تحصل على
مرادك، لقد قررت.

❖ من فضلك استرسل.

— كلا.

اغتسل سالفادور وتأنق. تعطر وتحذلق، ثم ابتداءً يرقص.
يدعو صديقه للرقص معه. تناول الجعة واستزاد منها مهملاً
نصائح "برونو". ثمل بسرعة دفعت به إلى الصبا والطفولة،
داعبته حكاية الشلاغمي وفعال حكاكه، عاودته النشوة في
سن الثمانين، تاق إليها وتطلع إلى نشوتها، يجول ببصره في
فناء بيته فلا يجد غير صديقه ورفيقه، محلّصه وحاميه،
يحاول تجاوز حياته، يسعى إلى الدوس على أخلاقه، يود
هتك الستار، يهم ويهم ولا يقوى، يريد أن يقفز إلى حاجته
فلا يتقدم خطوة واحدة.. ألح أن يصطحبه إلى غرفة نومه..
تركه فيها يستبدل ثيابه وجلس إلى التلفزيون.. تمر أمامه

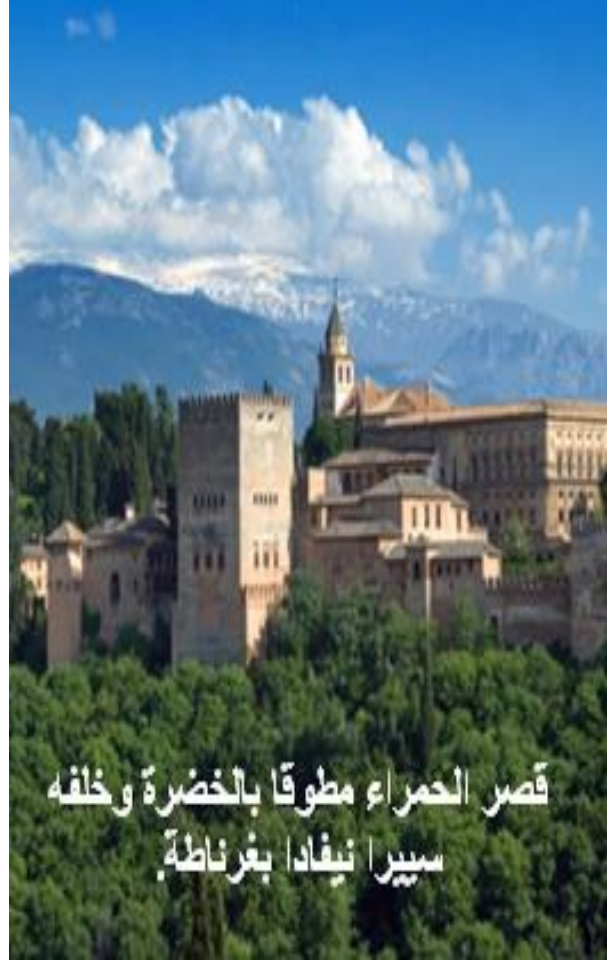
صور، تعقبها أخرى، وحين كانت الصورة الخامسة خرجت من قلب التلفزيون كعفريت مشاكس، مثلت بين يديه، ثم ضاعت وسط نداءات سالفادور.. دخل عليه غرفته، وجدته مستلقيا على فراشه كيوم ولدته أمه، ألفاه عاريا متدعرا، ألقى بصره على سواة تخرج في مؤخرته كإناث القردة، تبدو بلون جيفة كلب أكلته الديدان وتركت جلده عرضة للشمس المحرقة في جبال بحر مرقالة، اختلطت في ذهنه صور مُضَيَّبَةٌ لا تبين، ظن أن صديقه قد اختلط عليه الأمر فتوهم أنه في ريو ديجانيرو، ربما ظن أنه في حضرة سافل، وربما لا، ظن أن محمدا حفار، وربما لا، يضع يديه على وسادة، تستقر وجنته على ذراعه، يطلّ من طرف خفيّ، ينظر إلى محمد وينتظر ردة فعله، يدعو بهيئته مغريا، لا يدعو شفاها لحيائه ونعم الحياء هو، لو كان امرأة ربما ضعف، ولكن أين هو الإغراء؟ شيخ نحيف، وعجوز جفيف، نشف جلده، وتجعّد وجهه، وتورّم لحمه، واحدودب ظهره.. لو كان الغاطس في وقاحته غلاما ربما يكون جذابا، ولكن لـ"الشلاغمي"، ولكن أين بوشلاغم المرشاني؟ غادر إلى

البراءة وتركه واهما. خَلَفَ خلفه مداعبا يتحسس عورته،
ناعم جميل، ولطيف أنيس، لا يتأفف من الملموس، ولا
يضرجر من المحسوس، يداعب الورد الفوّاح و العبق،
يداعب النافه المرذول، والقذر الموبوء. لا يميز بين الحسن
والقبيح، أو يتلفت للنقي والوضر.

تطال يده الأجواز، وتملأ الحيز
والأفضية، تتحسس كل شيء، وتلمس



أيّ شيء، تركها له واصطحبها.



فصل

الحليم الراحل

قطعة

يقتحم الحنين ولا يستأذن، يجر إليه المتقدمين لانعطافهم،
يحملهم على مطية من خلايا وأعصاب أمرة، يسبح في أبعاد
مدركة، يسير في طرق متصلة ليقف عند محطة مرغوبة، حضر
المركب واستقله يصيح: طاكو ليبري، لا، سبسنوت، لا،
موناسطيرو، لا، الطرومبا، وُخ، وُخ..
يرمي بخذروفه على خذروف صديقه، ثم "غامت".
ينظر إليه أبوه بشهية أكله وهو يلعب مع الأطفال، نظرات الود
والحبور تأسره فيطيل الاستمتاع بطفله..
تركه يلعب ورحل.. رحل وأمعن في الرحيل..
تركه يلعب.. بقي يلعب.. ولا يزال يلعب..



The first system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains a melodic line with eighth and sixteenth notes, ending with a quarter note. The lower staff is in bass clef and contains a bass line with eighth and sixteenth notes, ending with a quarter note. There are no accidentals or other markings in this system.

The second system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains a melodic line with quarter notes, ending with a half note. The lower staff is in bass clef and contains a bass line with quarter notes, ending with a half note. There are no accidentals or other markings in this system.

The third system of musical notation consists of two staves. The upper staff is in treble clef and contains a melodic line with eighth and sixteenth notes, ending with a quarter note. The lower staff is in bass clef and contains a bass line with eighth and sixteenth notes, ending with a quarter note. There are no accidentals or other markings in this system.



يقتحم الحنين ولا يستأذن. يجر إليه المتقدمين
لانعطافهم.

يحملهم على مطايا من خلايا وأعصاب آمرة. يسبح في أبعاد
مدركة. يسير في طرق متصلة ليقف عند محطة مرغوية.

حضر المركب واستقله. يصيح: طاكو لييري. لا، سبْسبوت.

لا، موناستيرو. لا، الطُرومبا. وَخَّ..

وَخَّ.. يرمي بخذروفه على خذروف
صديقه، ثم "غامت". ينظر إليه أبوه

بشهوة أكله وهو يلعب مع الأطفال.

نظرات الود تقذف شذا الأبوة. حبور

القلب يستقطر زهر البنوة، يأسرونه

فيطيل الاستمتاع به



تركه يلعب ورحل.. رحل وأمعن في الرحيل.. تركه يلعب..



بقي يلعب.. ولا يزال يلعب.

بيانات عن صاحب الكتاب

محمد محمد البقاش أديب باحث وصحافي من
مواليد حي المعدنوس منطقة الدرادب مدينة طنجة سنة 1954.
عمل مدير ورئيس تحرير مجلة (الجيرة) التي كانت تصدر في
طنجة، وتوقفت بسبب انشغالها في طباعة الكتب الثقافية التي
تخرجها على شكل سلسلة.
عمل رئيسا للقسم الثقافي بمجلة (المهاجر)، و جريدة (صوت
المهاجر) اللتين كانتا تصدران في غرناطة بإسبانيا...
أستاذا محاضرا في المؤسسات الثقافية بغرناطة في المعهد
الأوروغويي، والكليات منها محاضرة عن الإرهاب في كلية
العلوم السياسية بغرناطة بتاريخ: 14 / 12 / 2001 .
حاضر في المؤسسات الثقافية بطنجة منها محاضرة خاصة
للأستاذة الإسبانية الذين يقدمون من شتى المدن الإسبانية
يتطوعون في جمعية الأمل المغربية لتعليم اللغة الإسبانية..
كانت المحاضرة عن الهجرة السرية في المعهد الوطني للعمل
الاجتماعي INAS بتاريخ: 13 غشت سنة 2008م بمناسبة
صدور كتابه الهجرة السرية (مجموعة قصصية) مترجما إلى
اللغة الإسبانية في نفس السنة.
ومحاضرة عن الأدب الممدري في غرفة التجارة والصناعة
والخدمات بطنجة في: 13 مارس 2009.
عمل معدا ومقوما لبرنامج: دنيا المرأة، وبرنامج: أدبيات بإذاعة
مدي أنطر (إذاعة المنار اليوم) ببروكسيل سنة 1987 – 1988.
وأستاذا بالمدرسة العربية ببروكسيل سنة 1987 – 1988.
ومعلقا سياسيا بإذاعة ميدي 1 ببروكسيل سنة 1987 – 1988.

فاز بجائزة أحسن رسالة صحفية بجريدة الشرق الأوسط سنة 1988.

فاز بجائزة المرشد للقصة القصيرة سنة 2006.

فاز بجائزة ناجي نعمان للإبداع سنة 2007.

منحت له مطلع سنة 2009 الدكتوراه الفخرية وهي درجة تمنحها واتا WATA الدولية للمتترجمين واللغويين العرب للشخصيات العربية التي قدمت إسهامات بارزة في ميادين الترجمة والعلوم اللغوية واللغة العربية والثقافة والإبداع، وذلك بهدف تكريم وإبراز الشخصيات الأكثر عطاءً وإبداعاً وتأثيراً في حركة الثقافة العربية.

نشرت له أعمال بكل من جريدة الشرق الأوسط، والسياسة، والحياة الجديدة، وحق العودة، ومجلة الناقد، والمهاجر، والوعي، ومعظم الصحف المحلية والجهوية الصادرة في طنجة..

- مدير سلسلة الكتب الثقافية لمنشورات مجلة الجيرة.

- رئيس جمعية الجيرة للتفاعل الثقافي.

- مدير ورئيس تحرير طنجة الجزيرة (جريدة إلكترونية).

نشرت له الكتب التالية

- تانية الانتفاضة (ديوان شعر بقصيدة واحدة في ألف بيت) الطبعة الأولى سنة 1998 والطبعة الثانية 2002.
- الكلام الذهبي (مجموعة حكم) الطبعة الأولى سنة 1998 والطبعة الثانية 1999.
- حكومة الجردان (قصة بالكاريكاتير للأطفال) الطبعة الأولى سنة 1998.
- الديك المترشح (قصة بالكاريكاتير للأطفال) الطبعة الأولى 1998.
- الهجرة السرية (مجموعة قصصية) الطبعة الأولى سنة 1998 وهي أول كتاب عن الهجرة السرية من مضيق جبل طارق والطبعة الثانية سنة 2003 والنشرة الإلكترونية الأولى وقد صارت فيها المجموعة من الأدب الممذري سنة: 2007 والطبعة الأولى بالإسبانية سنة: 2008.
- انتفاضة الجياح (رواية) الطبعة الورقية الأولى سنة 1999، والنشرة الإلكترونية الأولى 18 فبراير 2008م، وقد صارت من الأدب الممذري.
- التفكير بالنصوص (بحث أكاديمي) الطبعة الأولى سنة: 1999.
- وجه العالم في القرن الحادي والعشرين (دراسة مستقبلية للمؤسسات الدولية المالية والاقتصادية والسياسية) الطبعة الأولى سنة 1999.
- الإعلام والطبيعة. (الجزء الأول) الطبعة الأولى سنة 2001.
- الأقصوصة الصحفية (تقنية الكتابة والبناء) منشورات المهاجر غرناطة فبراير 2002.
- الليالي العارية (أقصوصات صحافية) الطبعة الأولى سنة 2008.

- ظلال الطفولة (مجموعة قصصية من الأدب الممّدرى للصغار والكبار) النشرة الإلكترونية الأولى نوفمبر سنة: 2008، والنشرة الورقية الأولى 2009.
- طنجة الجزيرة (رواية من الأدب الممّدرى للصغار والكبار) الطبعة الورقية الأولى: 2009، والنشرة الإلكترونية الأولى: 2009.

وله أعمال جاهزة تنتظر دورها في الطباعة مثل: النظرية الممّدرية (في الفكر والأدب والفلسفة..) والإعلام والطبيعة (الجزء الثاني). والألق المتمرّد (شعر). وسيمفونية الكون (قصص ممدري) وطنجة النصرانية (رواية من الأدب الممدري)..

الاتصال بالمؤلف

العنوان بالمملكة المغربية:

محمد محمد البقاش

طريق الجبل، زنقة المعدنوس، رقم: 10، طنجة، المغرب.

Mohammed Mohammed Bakkach

Route de la montagne, Rue de Persil ; n 10 ;

Tanger ; Maroc.

Site :

www.tanjajazira.com

www.bakkach.c.la

www.aljyra.c.la

www.almamdaria.c.la

Email:

mohammed_bakkach@hotmail.com

Asociacion.aljyra@hotmail.com

0671046100

الهاتف النقال للمغرب:

(+212) 671046100

الهاتف النقال للخارج:

مؤلفات الكاتب



في الأعلى من اليمين إلى اليسار:

- 1- الذئب المرسح (قصة بالكاريكاتور) -2- الهجرة السرية (قصة)
- 3- الهجرة السرية (قصة) -4- La Inmigración Clandestina
- 5- انفصام الجماع (رواية) -6- الباني العاربة (أقصوات) -7-
- الأقصوية الصحفية (دراسة) -8- ثأية الانفصام (سمر) -9- التفكير بالنصوص (بحث أكاديمي) -10- حكوة الجردان (قصة) -11- ظلال
- الشفولة (قصة متدري) -12- الكلام الذهبي (حكم) -13- وجه العالم في القرن 21 (دراسة) -14- الإعلام والطبيعة (دراسة) -15- طبعة الجزيرة (رواية) ..